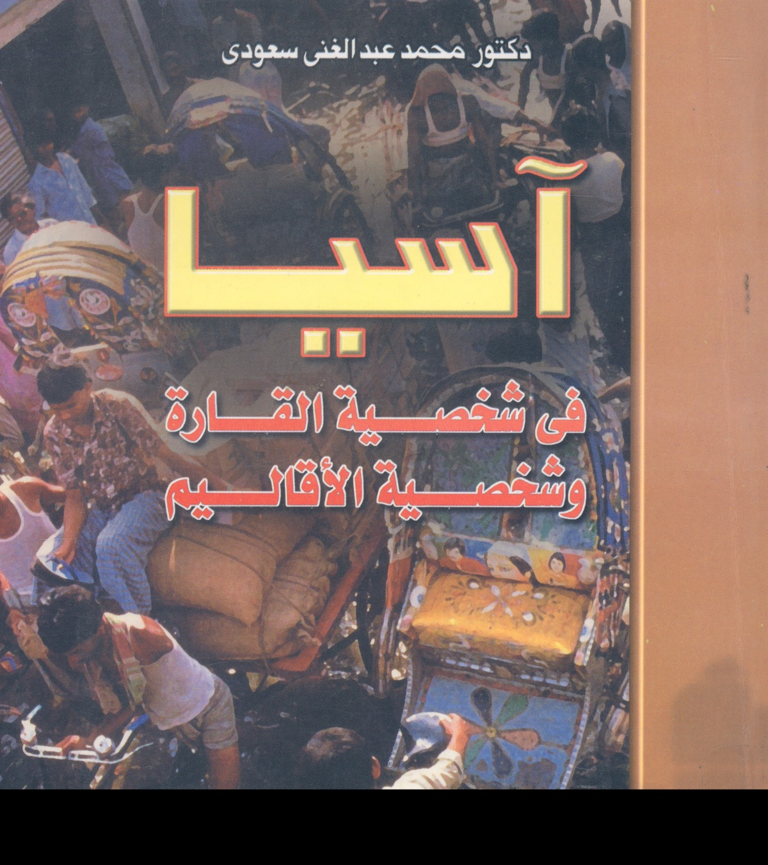
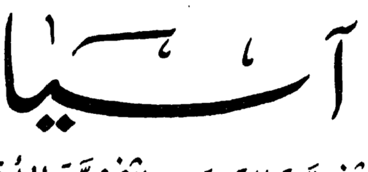


دكتور محمد عبد الغنى سعودى

آسيا

فى شخصية القارة وشخصية الأقاليم

دكتور
محمد عبد الغني سعودي
أستاذ الجغرافيه
معهد البحوث والدراسات الأفريقية
جامعة القاهرة



في شخصيّة القارة وشخصيّة الأقاليم

أسم الكتـــاب: آســيا في شخصية القارة وشخصية الاقاليم
أسم المؤلف: د/ محمد عبد الغني سعودي
أسم الناشر: مكتبة الانجلو المصرية
أسم الطـــابع: مطبعة محمد عبد الكريم حسان
رقــم الايــداع: 5589 لسنة 2003
الترقيم الدولي: I-S-B-N 977-05-1978-2

الفهرس

رقم الصفحة

الباب الأول : آسيا

الفصل الأول : في شخصية القارة ١

الفصل الثانـي : الأرض والبشر ٢٥

الباب الثاني : آسيا الشرقية

الفصل الأول : في شخصية آسيا الشرقية ٥١

الفصل الثاني : الصين ومنغوليا ٥٦

الفصل الثالث : مثلث جاكرتا (اليابان ـ كوريا ـ تايوان) ٨٩

الباب الثالث آسيا الجنوبية

الفصل الأول : في شخصية آسيا الجنوبية ١١٧

الفصل الثاني : الهنـــــد ١٣٢

الفصل الثالث : باكستان ـ بنجـلادش (الشـمال الجبلـي ـ والجنوب الجزري)........................ ١٦٠

الباب الرابع : آسيا الجنوبية الشرقية

الفصل الأول : في شخصية جنوب شرقي آسيا ١٨٢

الفصل الثانـي : دول في صلب القارة (فيتنام ـ لاوس ـ تايلاند ـ ميانمار) ١٩٣

الفصل الثالث : دول جزرية وشبة جزرية (ماليزيا ـ سنغافورة ـ بروناي ـ إندونيسيا ـ الفلبين) ٢٠٣

الباب الخامس : آسيا الجنوبية الغربية

الفصل الأول : في شخصية آسيا الجنوبية الغربية ٢٢٧

رقم
الصفحة

الفصل الثاني : تركيا ـ إيران ـ أفغانستان ٢٤١

الباب السادس : آسيا الوسطي والشمالية

الفصل الأول : في شخصية آسيا الوسطي ٢٨٢

الفصل الثاني : دول آسيا الوسطي (كازاخستان ـ أوزبكستان ـ تركمنستان ـ طاجيكستان ـ قرغيزستان ٢٩٦

الفصل الثالث : آسيا الشمالية ـ سيبيريا ٣١٢

البـــــــاب الأول

آسيــــــــا

الفصل الأول

في شخصية القارة

بـــدايـــة ونهـــايـــة

القارة الوحيدة التي تمتد من ١٠° جنوب دائرة الاستواء ، إلى درجـــة ٨٠° شمالا، فلا توجد قارة تشاركها هذا الامتداد، من ثم ضمت الأقاليم المناخية جميعـــا: الاستوائي، والقطبي، وما بينهما، ثم كان لامتدادها بين درجتي ٢٨° ، ١٤٥° شـــرقا أن اتسعت عرضا اتساعا لا تنافسها فيه قارة أخرى، وبالتالي تكونت أكبر مســـاحة من اليابس تبلغ نحو ٤٦ مليون كم٢، أو بمعنى آخر لها نحو ثلث اليابس وحدهـــا، من ثم أصبحت شديدة التنوع جيولوجيا، وتضاريسيا، ومناخيا، ونباتيـــا، وبشـــريا، واقتصاديا، تضم عوالم جغرافية متباينة، وكل عالم مختلف عن الآخر.

ولكن دعونا قبل أن نبحث في مدى هذا التنوع، وما يجعل القارة متفردة أن نسأل أنفسنا، أين تبدأ آسيا وأين تنتهي خاصة وأن هناك لسان يمتـــد منـــها نحـــو الغرب يطلق عليه أوربا، لا شك أن جميع حدودها واضحة مـــن الشـــمال والشـــرق والجنوب ومن الجنوب الغربي، لأن الحدود هنا محيطيه بحرية، ولكنها في الغـــرب مع أوربا؟ يصبح التساؤل أين تنتهي أوربا، لتبدأ آسيا؟

في بنيتها وتضاريسها ومناخها ونباتها لا تختلـــف القارتـــان إلا بـــاختلاف درجة العرض، والقرب أو البعد عن البحر، فسلاسل وسط آسيا تمتد فـــي سلاســـل وسط أوربا، والسهل الروسي شمالا يمتد في أوربا مع شيء مـــن الضيـــق، وفـــي الجنوب نجد أن نهايتهما متشابهة ممثلة في الجزر وأشباه الجزر، من ثم يقـــال أن أوربا امتداد لآسيا، أي هي الأخ الأكبر لأوربا بل إن تسميات أوربـــا وآســـيا هـــي

تسميات إغريقية، يبدو أن مصدرها بحر ايجه حيث لفظ آسو Asu معنـــاه مشـــرق الشمس، أي الشرق، وهو الذي أطلق حينئذ على تركيا وما وراءها، على حيـــن أن لفظ إرب Ereb معناه مغربها أي الغرب، ويطلق على اليونان وأوربا بعامة، ومـــن ثم ظهرت تسميات المشرق والمغرب، فالأوربيون إذا قالوا الشـــرق فمعنـــاه آســيا، وحين يضيفون لفظ الأدنى فهو الشرق القريب بالنسبة لـــهم (الدولـــة العثمانيـــة) والشرق الأوسط، أي الشرق الذي يتوسط القارات، أيضا بالنسبة لهم. هذه التعبيرات ليست بذات دلاله لآسيا نفسها، فبالنسبة لليابان مثلا الشرق هـــو المحيـــط الـــهادي والأمريكتين، على حين أن الغرب هو صلب القارة الآسيوية، فآسيا متطرفة بالنســـبة لأوربا ولكنها مركزية بالنسبة لأهلها ويؤكد هـــذا الانتشـــار الســـكاني والـــهجرات الآسيوية إلى آسيا، فبرغم أن الروس يطلقون على أنفسهم أوربيين، فهناك مثـــل " يقول إخدش جلد الروسي تجد تحته تتاراً، ولإن كان فيه شئ من المبالغة، فليس من شك أن فيه قدرا من الصحة، ويتفق الجغرافيون الروس على أن بداية آســـيا هـــي السفوح الشرقية لجبال الأورال، وبالتالي تصبح الأورال بكاملها أوربية على حين أن بحر قزوين آسيوي.

مساحة ضخمة ونقل متخلف

آسيا مساحتها ضخمة ولكنها مندمجة، مسافاتها شاسعة ولكن دون وســـائل نقل جيدة كما هو الحال في أمريكا الشمالية، مما أدي إلـــى ضعـــف قلبـــها وتـــأخر شماليها، ذلك أن الإنتاج التجاري لا يجب أن يبعد أكثر من ١٥ كم عن اقرب ســـكك حديدية، أو نهر صالح للملاحة، أو طريق للسيارات، وبالتالي يصبح إستخدام البغـــال والحمير والخيل والإبل والعربات أو القنوات هي الوسائل الأساسية للنقل، وبطبيعـــة الحال لا تتفق بدائية النقل مع إمكانات التطور الاقتصادي، وإن كانت هنـــاك أقـــاليم ثلاثة تتمتع مثلا بشبكة جيدة للنقل وتتمثل في القسم الغربي من الاتحـــاد الروســـي، والهند حيث شبكة خطوط حديدية جيدة، والصين حيث تمثل طرق السيارات والأنـــهار والقنوات وسائل جيدة، ولكن للأسف نجد أن اتصال هذه الأقـــاليم ببضعـــها ببعـــض

ضعيف للغاية، فهناك طريق أو طريقان يربطان الهند بميانامار (بورما) وطريق حديدي وطريقان بريان يربطان باكستان بجنوب غربي آسيا، هذا فضلا عن ثلاثة خطوط حديدية وبعض الطرق الصحراوية التي تربط الصين بروسيا الاتحادية، وبالتالي يصبح جزءاً كبيراً من آسيا الداخلية صعب الوصول إليه بوسائل النقل الحديثة، ولعل منغوليا والتبت خير شاهد، بل أن سيبيريا الشمالية أيضا ليس لها سوي أنهارها والتي تتجمد لجزء كبير من العام، فإذا ما ذاب جليدها، كان ذوبان أعاليها قبل مصباتها.

متضرسة بامتياز وصرفها الداخلي واضح

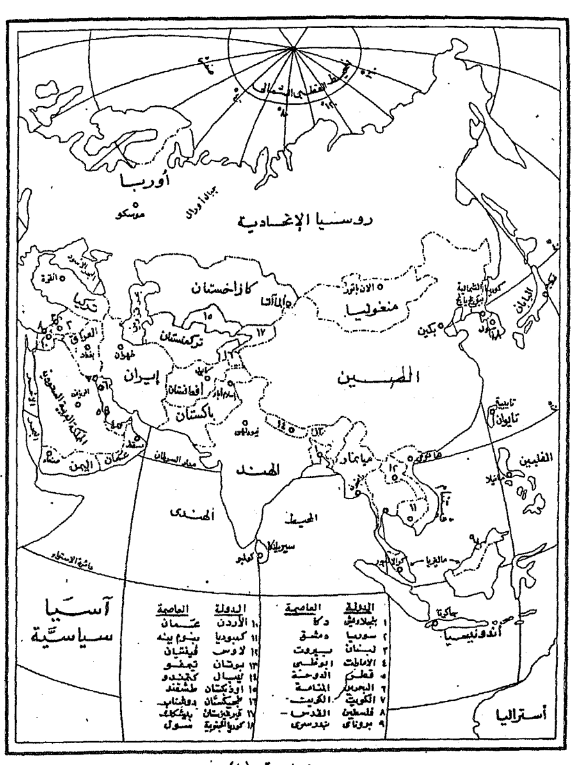
في تضاريسها فريدة آسيا، وتتمثل في نواياتها وعقدها الجبلية وما يشع منها من سلاسل جبلية تعبر القارة من الشرق إلى الغرب، وتحصر هذه السلاسل بينها هضابا مرتفعة، فلا توجد منطقة من بحر ايجه حتى بحر الصين يمكن فيها عبور القارة من الشمال إلى الجنوب أو العكس دون عبور جبال مرتفعة أولا، وممزقة شديدة التمزيق ثانيا وجميع ممراتها على ارتفاع يزيد على الألف متر إلا في بدايتها ونهايتها، من ثم كان عبورها يكاد يكون مستحيلا شتاء، هكذا تقوم الهيمالايا (*) وأخواتها بإعاقة الاتصال ، ومع حدة تضاريسها، تجد حدة في الانتقال من الأقاليم المناخية والنباتية جنوبها، وتلك التي تقع شمالها، من الموسمي الرطب الحار جنوبا إلى الصحاري المعتدلة والباردة شتاء، وتنفرد آسيا أيضا في تضاريسها بأن بها أعلى قمة جبلية على سطح الأرض ممثله في قمة افرست (نيبال) أقل قليلا من ١٠ آلاف متر (٩٦٧٦ متر) والقمة الثانية في العالم وهي قمة جودوين على الحدود الباكستانية الصينية بارتفاع نحو ٨٦١١ متر، وعلى النقيض نجد آسيا بها أعمق بحيرة في العالم، وهي بحيرة بيكال بعمق ١٥٠٠ متر فتصبح أعمق بحيرة أخدودية في العالم وهناك أيضاً هضبة التبت بارتفاع يزيد على ٤ آلاف متر وحوض تاريم الذي ينخفض منسوبه عن سطح البحر.

(*) الهيمالايا كلمة تعني " موطن الثلوج الدائمة " في اللغة السنسكريتية.

وتقوم تلك السلاسل الجبلية وهضابها التي تحتل وسطها كفاصل بين كتل قديمة جيولوجيا تقع إلى شمالها وجنوبها، الكتلة الأوراسية في الشمال والدكن وشبه جزيرة العرب، والصين الهندية في الجنوب، كما أنها فاصلة بين السهول المتسعة في الشمال كسيبيريا، وسهول أحواض الأنهار في الجنوب كأحواض أنهار الجانج والسند والبراهما بوترا.

وإذا كانت السلاسل الجبلية التي تعبر القارة في وسطها كانت بمثابة حماية للجهات الداخلية من غزو خارجي، فهي في نفس الوقت عائق أمام حركة التجارة والاتصالات الشمالية والجنوبية، وتعمل على أن تعاني سهولها ـ وهي أحيانا على هيئة أحواض ـ من العزلة، ومنها ما يعاني من انخفاض الحرارة الشديدة والثلج معظم العام (سيبيريا)، ومنها ما يعاني من جفاف شديد وحر لافح كصحراء جوبي غربي الصين وجنوب التركستان.

ومن حيث التصريف المائي تنفرد آسيا وحدها بثمانية أنهار من بين أطول خمسة عشر نهرا في العالم، ومع ذلك فهي قارة الصرف الداخلي بامتياز centripetal فهناك نحو ١٣ مليون كم٢ صرفها داخلي تحتل قلب القارة شمال السلاسل والهضاب الوسطي، فأمطار هذا الإقليم حين تسقط إما تنتهي في بحيرات ملحية، أو تفقد نتيجة التبخر. بل إنه حتى أنهارها التي تصب في المحيط القطبي، هي أقرب إلى الصرف الداخلي نظرا لتجمدها معظم العام، وإذا انصرفت مياهها نحو الشمال، كان ذوبان منابعها قبل مصباتها مما يجعلها تفيض ويضيع جزء كبير من مياهها قبل أن تصل إلى المحيط.



	الدولة	العاصمة
١	بنجلاديش	دكا
٢	سوريا	دمشق
٣	لبنان	بيروت
٤	الإمارات	أبوظبي
٥	قطر	الدوحة
٦	البحرين	المنامة
٧	الكويت	الكويت
٨	فلسطين	القدس
٩	بروناي	بندرسري
١٠	الأردن	عمان
١١	كمبوديا	بنوم بنه
١٢	لاوس	فينتيان
١٣	بوتان	تمفو
١٤	نيبال	كتمندو
١٥	أوزبكستان	طشقند
١٦	طاجيكستان	دوشانبي
١٧	قيرغيزستان	بيشكك
١٨	كوريا الجنوبية	سول

شكل رقم (١)

قارة التطرف المناخي والتنوع النباتي ونموذج الموسميات

وظروف آسيا المناخية والنباتية، ليست أقل من ظروف تضاريسها تطرفا، من الأقاليم الساحلية التي تشهد التأثيرات البحرية إلى الأقاليم الداخلية التي تعاني من قارية شديدة، ثم تأتي الجبال لتضيف تطرفا آخر ما بين شمالها وجنوبها، وكان لامتداد اليابس الآسيوي العرضي لنحو ثلث محيط الكرة الأرضية على حين أن القارات الأخرى امتدادها شمالي جنوبي أكثر من امتدادها الشرقي الغربي، ما أدى إلى أن قطب البرودة في العالم يقع في سيبيريا (ـ ٤٠م) ولم يقع عند القطب، فإذا ما تركنا هذا الإقليم إلى أقصى جنوب القارة وجدنا الحرارة المصحوبة بالرطوبة الدائمة وبالتالي جمعت آسيا الأقاليم المناخية جميعا، من المداري الرطب في أقصى الجنوب إلى البارد الجليدي في الشمال، وما بينهما من موسميات ومعتدلات دفيئة ومعتدلات باردة، حتى الصحاري الحارة الشديدة الجفاف، وانعكس وجود مساحات كبيرة شديدة الجفاف، وأخرى شديدة البرودة، على الاستخدام الزراعي لمساحات كبيرة من الأرض، فضلا عن أن خرائط الطاقة المناخية **climatic Energy** تضعها في ترتيب متأخر بالنسبة لطول فترة إنعدام أو ضآلة النشاط البشري خاصة في قلبها وشماليها.

على أن الظاهرة الجديرة بالذكر أيضا أنها قارة الموسميات، رغم أن هذا النوع المناخي ممثل في قارات أخرى، لكنه ينظر إلى الموسمي الآسيوي باستحياء بفضل اتساع اليابس الآسيوي مجاوراً لأكبر كتلة محيطية ممثلة في المحيط الهادي وامتداده في المحيط الهندي.

ولئن كانت الموسميات ترتبط بالمطر الصيفي سر الحياه وسر التجمع البشري الضخم في جنوبي وشرقي القارة، فإن مساحة الصحاري كما تشير إليه الأقاليم النباتية تقترب من ١٨ مليون كم٢، ربما لا ينافسها في هذا سوى أفريقية، وإن كانت صحاري أفريقية حارة، على حين أن صحاري آسيا حارة وباردة. وكما قال أحد الجغرافيين " هذه هي القارية في أكثر صورها وحشية "

.This is continetality in its fiercest

ولما كان النبات هو ملخص للظروف الطبيعية من سطح ومناخ وتربة، فإن ضابط الإيقاع الأساسي هو المناخ، فإذا ما تعددت مناخات آسيا وجدنا كذلك خريطتها النباتية، من الغابات الاستوائية والموسمية في الجنوب، إلى التندرا على السواحل الشمالية للدائرة القطبية، وما بينهما من اشجار صنوبرية (تاييجا) في سيبيريا، وأشجار المعتدلات، وحشائش الاستبس، إلى شوكيات الصحاري الحارة ونخيلها، إلى الجبال سيدة الموقف في مناخها ونباتها.

أم البشر أم حاضنته؟

كنا نطلق على آسيا الأم حتى منتصف القرن العشرين، لأن الأنثروبولوجيين كانوا يرجحون بأن جنوب غربي آسيا هو مهد البشرية الأول، حتى توصلوا أخيرا إلى أن الأمومة انتقلت إلى أفريقية بعد اكتشاف دكتور ليكي وزوجته عدة جماجم بالقرب من إقليم كافيروندو في كينيا للإنسان العاقل ترجع إلى ٦٠ ألف عام، على حين أنها ترجع في أوربا وآسيا إلى ٣٠ ألف عام أي متأخرة عن أفريقية. وبالتالي آسيا تفقد أمومتها البشرية تماما، ولكنها حاضنة البشرية، تبنت البشر ليخرجوا منها شرقا وغربا، شرقا ليعمروا العالم الجديد فيما عرفوا باسم الهنود الحمر (لاهم هنود ولا هم حمر) فهم من مغول آسيا، وتأصلت السلالات في آسيا في عصور ما قبل التاريخ، وظلت الموجات والهجرات الكثيفة تندفع من قلبها طوال العصور التاريخية لتستقر في شرقي أوربا، كما خرجت هجرات الساميين وغيرهم من جنوبي غرب آسيا لتعمر الشمال الأفريقي.

وإذا كنا قد رأينا تنوعا في الهيئة الطبيعية للقارة landscape، فإن الهيئة البشرية لا تقل تنوعا، بل قل الهيئات البشرية؛ من المغول إلى السلاف، والأتراك والدرافيديين إلى القوقازيين، إلى الأقزام negritto في جزرها الجنوبية، ويتبع هذا تنوع لغوي لا يفوقه سوى التنوع اللغوي الأفريقي، فقد رصد المهتمون بشئون اللغات عشر عائلات لغوية على الأقل، تتفرع منها مئات اللغات واللهجات.

سقف العالم السكاني ولكنها ريفية

وكما تضم آسيا سقف العالم ممثلة في البامير، وأعلى قمة ممثلة في إفرست، فهي أيضا سقف العالم السكاني، وحاضنة لأكثر من نصف سكانه أجمعين ٣٦٩٠ مليون نسمة، ويقدر أنهم سيبلغون ستة مليارات ونصف عام ٢٠٥٠، أي أنها تضم أكثر من سكان العالم عام ٢٠٠٠، وفي توزيعهم يتحلقون في معظمهم حول القارة في شرقيها، وجنوبيها، وجنوب شرقيها بينما قلبها خالي أو بتعبير أدق شبه خالي، وتضم من حيث الحجم السكاني أول (الصين) وثاني (الهند) ورابع (إندونيسيا) وسابع (باكستان) وثامن (بنجلاديش) وتاسع (اليابان) دولة في العالم سكانا أي لها ستة من العشرة الأوائل!

ولا شك أن هذا الحجم يرجع إلى الزيادة السكانية، رغم أنها انخفضت الآن إلى ١٦,٥ في الآلف سنويا بعد أن كانت ٢٢,٧ في الآلف عام ١٩٧٤ ولئن كان هذا يرجع إلى نسبة المواليد تدور ٢٥ في الآلف، فإن هذه الزيادة ترجع بدرجة أكبر لانخفاض نسبة الوفيات إلى ٨,٥ في الألف عام ١٩٩٧، مما يدل على زيادة في تحسن الأحوال المعيشية والصحية، والذي ظهرت آثاره أيضا في زيادة متوسط العمر من ٥٦ عاما إلى ٦٥ عاما بين عامي ١٩٧٥، ١٩٩٧، وانخفاض وفيات الرضع من ٩٨ في الآلف إلى ٦٥ في الألف في العامين المذكورين. ومن تناقضاتها أنها تضم أكبر الدول تقدما وأكثرها تخلفا، وإذا ترجمنا هذا بالمعيار الاقتصادي سنجد اليابان يزيد فيها نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي إلى ما يزيد على ٢٥ ألف دولاراً أمريكي سنويا إلى جانب بنجلاديش التي لا يزيد نصيب الفرد فيها على ٢١٠ دولاراً أي اقل من دولار واحد في اليوم وهو الرقم الذي يعتبر خط الفقر الدولي، أي أن أهل بنجلاديش يعيشون تحت هذا الخط. وكما فازت آسيا بمقاعد ستة بين الدول الفائزة بحجم السكان فقد فازت أيضا بست مقاعد من العشرة مدن الأوائل من بين الثلاثمائة مدينة التي يزيد سكانها على المليون، وكلها شرقي وجنوبي القارة ممثلة في طوكيو / يوكاهاما، اوزاكا / كوبي في اليابان، وسول في كوريا،

وشنغهاي في الصين، وكلكتا، وبمباي في الهند، ولكن ليس معنى هذا أن الدول الآسيوية ذات أغلبية حضرية، فآسيا ريفية ومازالت بالدرجة الأولى، فنسبة الحضرية فيها تدور حول ٣١%، وإن كان هناك تفاوت وهذا شئ طبيعي، بين حضرية زائدة في اليابان وباكستان ودول الخليج حتى ليطلق عليها دول المدن لتبلغ ذروتها في سنغافورة لتصبح المدينة الدولة، فهي حضرية من قمة رأسها إلى أخمص قدمها. وإذا كان وسط المدن أشبه بنظيرتها في أوربا، فإن وجه الاختلاف أنك في آسيا إذا ما تركت هذا الوسط نحو الأطراف ستجد الانتقال نحو الريف سريعا، وليس هذا الانتقال في استخدام الأرض فحسب، بل أيضا في الزمن، إذ يمر الإنسان من القرن الحادي والعشرين إلى القرن التاسع عشر في مسافة لا تزيد على ٢٠ كم.

أرض الحضارات العريقة أُم الحكماء والأنبياء

وعلى المسرح الآسيوي قامت حضارات قديمة، في أقصى الغرب حضارات سومر وبابل وآشور في ارض الرافدين (العراق) مقابلة للحضارة المصرية القديمة أو بعدها، وفي أقصى الشرق كانت الحضارة الصينية القديمة، وكان فضل هذه الحضارات على الإنسانية عظيما " فالأبجدية " الوسيلة التي نعبر بها عن أفكارنا كتابة خرجت إلى الوجود في أرض كنعان (فلسطين ولبنان) والأراميون قدموا لغتهم التي صارت وسيلة لتعريف الغرب بحضارته نفسها وبحضارة الآخرين، والعرب أوجدوا بواسطة نظامهم السياسي الظروف المناسبة لتلاقي حضارات مختلفة في دولة كبيرة (الخلافة)، في ظلها أسهم عرب ومسلمون بنصيب في الفلك والرياضيات والملاحة وسائر العلوم.

والصينيون هم الذين إخترعوا الورق باكتشاف مادة تكون الكتابة عليها أسهل منها على الحرير أو الغاب نظرا لأن الحرير غالي الثمن، والغاب ثقيل الوزن. كما اخترعوا الجلد، صحيح أن المصريين القدماء اخترعوا هذا ولكن الحبر الصيني (الشيني) أخذته أوربا عنها، أي طريقة الخلط بسناج المصابيح، وتبع هذا اختراع الطباعة، وإذا أخذنا نتحدث عن فنون الصين العديدة، فالذي لا جدال فيه أن صناعة

الخزف التي انتشرت في العالم كله، كانت عند الصينيين فنا من الفنون الكبرى.

هذه نماذج وليست حصرا، فمن فضل آسيا أنها قدمت للعالم أهم ما في حياة الإنسان الحضارية ممثلة في الدين. ولآسيا أن تفخر على العالم أجمع فيما يختص بأديان البشر، بمعتقداتهم الروحية، فكما أن آسيا أرض الحضارات القديمة، فهي أيضا أرض الديانات القديمة (ولا يعادلها في هذا سوي الديانات المصرية القديمة)، بل مازال فيها بلايين السكان يدينون بالهندوسية والبوذية والكنفوشيوسية وغيرها، قام بها مفكرون، أو مصلحون اجتماعيون لإصلاح مجتمعاتهم في جنوبي وشرقي القارة بحسب روءاهم ولم يقولوا أنهم رسل من عند الله، هذا فضلا عن ديانات التوحيد الثلاث، اليهودية، المسيحية، والإسلام، وإذا كان معقل المعتقدات الأولي جنوبي وشرقي القارة، فإن معقل ديانات التوحيد هو غربي آسيا، ولم تتقوقع هذه الديانات في معاقلها الأولي، ولكنها انتشرت واكتسحت العالم أجمع، بل أمن بها مؤمنون في أوطانهم قبل أن تزحف إليهم، فلما أن لها أن تزحف، كان زحفها رائعا كاسحا، إنهارت أمامه نظما دينية أكثر تعقيدا لشعوب وأرقي حضاريا كاليونان والرومان، فكان انتصار الوحدانية ختام تطور هام في التفكير القديم، بينما كان تعدد الآلهة كان الطابع المميز قبل ذلك، فآسيا أرض دعوة موسى وعيسي ومحمد عليهم جميعا السلام، ألا تستحق أذن أن نطلق عليها أم الأنبياء؟

آسيا الزراعية

اليوم في ميدان المحاصيل الغذائية تأتي آسيا الأولي بامتياز في إنتاج الأرز ٩١% من الإنتاج العالمي، لا غرو فسكانها أكلة الأرز، والبعض يطلق على سكانها أصحاب حضارة الأرز، وخاصة في جنوبي وشرقي القارة، فهنا أهم الدول المنتجة للأرز في العالم، وذلك لمناسبة الظروف الطبيعية والبشرية لإنتاجه خاصة الأمطار الموسمية الوفيرة، ووفرة الأيدي العاملة، مستخدمين في ذلك السهول الرسوبية والمرتفعات التي أمكن تدريجها، وتأتي الصين في المقدمة بإنتاجها الذي يقترب من

٤٠% من الإنتاج العالمي، يليها الهند، ثم اليابان التي تطورت زراعته فيها باستخدام الآلات الميكانيكية الصغيرة الحجم كالمحراث البخاري، كما نجحت في استنباط سلالات تنمو في ٩٥ يوما فقط، من ثم أمكن زراعته حتى دائرة عرض ٤٢ شمالا في جزيرة هوكايدو، ومن الدول الرئيسية إندونيسيا، وبنجلاديش بل ولا تخلو دولة من دول جنوبي وشرقي آسيا من زراعته (*).

(*) الآلهة التي تسرق الأرز

من الأساطير المتداولة عن زراعة الأرز، بل وغيره من الحبوب كالذرة والبام (القلقاس) يحكي أن أهل سنـ ـ في الصين لم يكن لديهم البذور اللازمة لزراعة حقولهم، فما كان منهم إلا أن أطلقوا سراح طائر أحمر، طار في الفضاء محلقا حتى بلغ مخزن أرز آله السماء، وعاد يحمل بذور الأرز السماوية، ومن أساطير سكان أحد جزر إندونيسيا، أن رجلا صعد إلى السماء، وعاد إلى الأرض بأرز غير مقشور مخبأ داخل جرح في ساقه.

ووفقا لأسطورة يتداولها الناس في إحدى ولايات شرقي اليابان، أنه لم يكن يوجد أرز في اليابان، في بداية الأمر، وذات يوم سرق الإله " إيناري " بضع حبات من أرز كارا (الصين)، وخبأها في جوف قصبة كبيرة سد طرفيها العلوي بالورق، وقلبها واتخذها عصاة يتكأ عليها أثناء سيره، وعاد إلى اليابان ومعه أول حبة أرز دخلت اليابان، ونظرا لأن الإله قد خبأ حبة أرز في قصبة مقلوبة، فإن المزارعين يعمدون دائما إلى غرس قصبة مقلوبة في ارض البذر.

روح الأرز:

ومن السمات البارزة في طقوس زراعة الأرز تواتر ظهور مفهوم روح الأرز لذلك فالآسيويون يمارسون طقوساً تتضمن محرمات في كل مرحلة من مراحل الزراعة، تتضمن محرمات صارمة في كل مرحلة من مراحل زراعته، وكما يجب أن يتم حصاد الأرز بدون إغضاب روح الأرز، ومن ثم هرسها وفي الأجزاء الوسطي من شبه جزيرة ماليزيا جاءت هذه الأسطورة التي تصور روح الأرز على شكل بشر، تروى إحدى هذه الأساطير.

وفي قديم الزمان، لم يكن الأرز يُحصد في حقول، ففي صباح كل يوم تظهر في منزل الفلاح حبة أرز وتجد طريقها إلى القدر الذي يُطبخ فيه الأرز، وتشرع ربة البيت في طبخ حبة الأرز بدون أن تكشف غطاء القدر إذ أن ذلك يُعد من المحرمات (بانتانج). وما أن يُحل العصر حتى يكون القدر قد امتلأ بالأرز الجاهز للأكل. وفي صباح يوم من الأيام، عزمت ربة البيت على الذهاب إلى المزرعة فحذرت أطفالها من أن يرفعوا غطاء القدر أثناء غيابها. وأثار ذلك فضول ابنتها الصغيرة فلم تكد الأم تبرح البيت حتى غافلت الطفلة أختها الكبيرة وهرعت إلى القدر، وكشفت غطاءه فوجدت في داخله فتاة صغيرة: ولم تلبث الفتاة الصغيرة أن اختفت تاركة في مكانها حبة أرز. وحين علمت أختها الكبيرة بالأمر غضبت غضباً شديداً وعنفتها بقسوة.

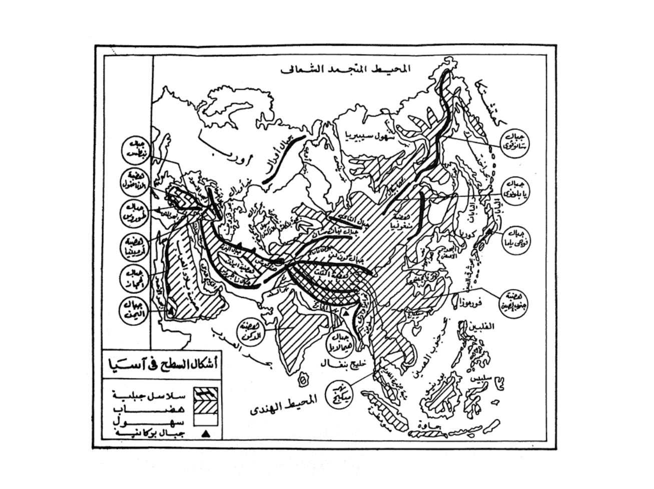
وعندما عادت الأم ووجدت القدر خاوياً من الأرز علمت أنه كُشف غطاؤه فعمت بدورها ابنتها الصغيرة لعصيانها أوامرها وارتكابها فعلا محرما، بيد أنه لم يجد الندم على ما فات وكان على الأسرة منذ ذلك اليوم أن تكد وتكدح ليل نهار من أجل زراعة الأرز وحصده ونقل حبه إلى البيت ".

الموطن الأصلي للنباتات والحيوانات التي أسهمت آسيا بتقديمها للعالم

عالم جنوب غربي آسيا	عالم جنوب شرقي آسيا	الصين
بعض أنواع من القمح	قصب السكر	الحمضيات
بعض أنواع من الشعير	اليام	الخوخ
بعض أنواع من الذرة الرفيعة	الأرز	فول الصويا
التفاح	الموز	الشاي
التوت		بعض أنواع من الذرة الرفيعة بعض أنواع من الشعير
الكروم	• الجمل بنوعيه وحيد السنام **dromedary** ومزدوج السنام **bactrian**	
البطيخ	• الحصان بدأ استئناسه بالقرب من جبال القوقاز. • الماعز والغنام في الهمالايا الغربية.	

في ميدان الإنتاج الزراعي والحيواني كانت آسيا صاحبة الفضل في استئناس كثير من النباتات المزروعة وتحويلها غلات زراعية يستفيد بها الإنسان، فضلا عن تدجين الجمل والحصان والماعز والأغنام.

أما القمح فنصيب آسيا منه ضئيل بالنسبة للأرز فهو أقل من ثلث الإنتاج العالمي (٣١%) ومع ذلك فالصين ثالثة دول العالم إنتاجا له، ومع ذلك لا يكفي الإنتاج الاستهلاك المحلي لضخامة عدد السكان وارتفاع مستوي المعيشة، وتواصل الصين التقدم في زراعته للكفاية المحلية، خاصة أنه محصول شتوي هناك لا ينافس الأرز المحصول الصيفي الرئيسي، كما يزرع في روسيا الاتحادية، ودول الكمنولث في الاستبس أو التركستان خاصة بعد استنباط أنواع تنمو بسرعة لقصر فصل الصيف، وهذا كما تعرف الهند وباكستان وإيران وجنوب غربي آسيا بعامه زراعته حتى لقد وصلت زراعته إلى المملكة العربية السعودية اعتمادا على الري من المياه الجوفية.


المحيط المتجمد الشمالى
كمشتكا
سهول سيبيريا
أوروبا
جبال أورال
جبال بنطس
هضبة الأناضول
جبال طوروس
هضبة أرمينيا
جبال الحجاز
جبال اليمن
جبال ستانوفوى
جبال يابلونوى
جبال فوجى ياما
هضبة منغوليا
جبال ألتاى
كوريا
اليابان
هضبة جنوب الصين
فورموزا
الفلبين
بحر الصين الجنوبى
هضبة التبت
هضبة الدكن
جبال هيمالايا
خليج بنغال
بحر العرب
المحيط الهندى
بورنيو
سلبيس
جاوة
أشكال السطح فى آسيا
سلاسل جبلية
هضاب
سهول
جبال بركانية

ولا تسهم آسيا كثيرا في زراعة الذرة، فهو ليس بمحصول أساسي هناك، مادام سكان آسيا الشرقية والجنوبية أكلة أرز، وآسيا الغربية أكلة قمح، ومع ذلك فهو يزرع في الصين والهند وباكستان. وإذا انتقلنا إلى المكيفات وجدنا أنها تسهم بنحو ١٤% من إنتاج البن في العالم حيث يوجد تركز كبير له في إندونيسيا وخاصة جزيرة جاوه والفلبين والهند واليمن، ومن المنتظر أن يزداد إنتاج آسيا منه في المستقبل.

وتتصدر آسيا قارات العالم في إنتاج الشاي بإنتاجها أكثر من ثلاثة أرباع إنتاج الشاي في العالم (٧٧%) وتحتكر منطقتي جنوبي وشرقي آسيا إنتاجه، وتأتي الهند في المقدمة ويزرع فيها في السهول والمرتفعات على حد سواء، ويعتبر أحد صادرات الهند الرئيسية، كما تشتهر سيرلنكا بالشاي السيلاني الذي يسهم وحده بنحو ثلثي صادرات الجزيرة، وتأتى الصين بعد الهند في إنتاج الشاي وكذلك يزرع في الجزر الجنوبية في اليابان، فضلا عن جزيرة جاوه في إندونيسيا.

ولا تلعب آسيا دورا أساسيا في زراعة الكاكاو، فدور الكاكاو هنا أقل من دور البن حيث لا تسهم آسيا إلا بنحو ٤% من الإنتاج العالمي، وتكاد ماليزيا تنتج معظمه.

وتسهم آسيا بما يزيد قليلا على ربع الإنتاج العالمي من السكر، معظمه سكر القصب في جنوبي وشرقي القارة خاصة الهند والصين والفلبين وتايلاند وإندونيسيا وباكستان، وترجع نجاح زراعته في تلك الأقاليم لتوفر الحرارة والمطر، ولا تصدر آسيا كميات كبيرة من السكر نتيجة الاستهلاك الكبير.

وفي ميدان الألياف يأتي القطن في المقدمة، تسهم آسيا أقل قليلا من نصف إنتاجه العالمي، كما تنتج الصين وحدها نحو نصف الإنتاج الآسيوي، وبذلك تحتل الصين المرتبة الأولي بين الدول المنتجة له، وتستهلك الصين معظم إنتاجها، إذا فضلت تصدير الملابس الجاهزة، هذا كما يزرع القطن القصير التيله في الهند، والتي تعتبر رابعة دول العالم إنتاجا، ويزرع أيضا في باكستان اعتمادا على الري

ومعظمه طويل التيله، ويزرع في تركيا وسوريا، هذا كما أدخل السوفيت زراعته في دول آسيا الوسطي كازاخستان وأوزبكستان اعتمادا على الري، وكانت هذه الأخيرة تسهم بنحو نصف إنتاج قطن الاتحاد السوفيتي سابقا.

وفي ميدان الصوف لا تسهم آسيا كثيرا (١٥%) وتأتي الصين في المقدمة بإنتاجها الذي يعادل نصف الإنتاج الآسيوي، ويرتبط إنتاج الصوف بتربية الأغنام، غير أن آسيا هي الوحيدة صاحبة نسيج الكشمير، الذي ينسج من شعر نوع معين من الماعز يعيش على سفوح الهيمالايا، وهو ناعم الملمس ذو ألوان جميلة، وترتفع أسعار الملابس المصنوعة منه، لأن الرأس الواحدة من الماعز لا تعطي إلا ما يتراوح من ٣ ، ٤ أوقيات في العام.

وتأتي اليابان في المرتبة الثالثة إنتاجا للألياف الصناعية في العالم بعد الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا الغربية، كما شاركت برؤوس أموالها وخبراتها في إنتاجها خارج اليابان، كما هو الحال في كوريا الجنوبية، وتايلاند، وتايوان، وتصدر هذه الدول الأخيرة أكثر من ٥٠% من إنتاجها إلى الخارج، ويرجع نجاحها إلى جانب العوامل السابقة إلى دخولها هذا الميدان متأخرة مما أتاح لها الاستفادة بآخر التطورات التقنية في هذا المجال، ولا ننسي الصين في هذا المجال الذي دخلت بإنتاج متطور ومتزايد لمواجهة الطلب على المنسوجات للشعب الصيني، فضلا عن تصديره ملابس جاهزة بعد خلطه بالألياف الطبيعية من القطن والصوف.

مهد الحرير الطبيعي الصين، ونشأة فكرة تربية دود القز هناك، ثم انتقلت إلى اليابان، والهند وغربي آسيا وأوربا الجنوبية، وكان الحرير الطبيعي يمثل سلعة رئيسية في تجارة القوافل من الصين نحو الغرب (طريق الحرير) تستهلكه الطبقات المترفة، وإذا قلنا الحرير الطبيعي في العالم فنحن نقصد الشرق الأقصى، ونقصد الصين بالذات، فلها أكثر من ٩٠% من إنتاجه يليها اليابان وكوريا، وإن كان يجد منافسة جادة من الألياف الصناعية (الريون والنايلون) لرخصهما، وفي نفس الوقت لها بريقه ونعومته، وأن كان يعيبهما تسخين الجسم وعدم امتصاص العرق.

وإذا كانت الصين سيدة الحرير الطبيعي، فإن الهند والصين وبنجلاديش وتايلاند هي الدول الأربع الأولى المنتجة في العالم للجوت، أي أن آسيا لها ٩٥% من إنتاج الجوت العالمي، وتستخدم ألياف الجوت أساسا في صناعة الأكياس والأجوله والخيش لتعبئة السلع كما يدخل في تنجيد الأثاث والحبال، ولا تستخدم في صناعة ملابس الإنسان (لخشونته) إلا للطبقات الفقيرة جدا، وهو بهذا على التضاد من الحرير.

وآسيا سيدة المطاط الطبيعي دون منازع، فلها أكثر من ٩٠% من الإنتاج العالمي وتصبح منطقة جنوب شرقي آسيا وجنوبيها هي المنتج الوحيد في القارة، وإذا كانت آسيا سيدة المطاط الطبيعي فماليزيا هي سيدة آسيا في إنتاجه، فلها وحدها نحو ٤٠% من الإنتاج العالمي، وذلك لملاءمة الظروف الطبيعية لإنتاجه، وان كانت تأتيها الأيدي العاملة من الدول المجاورة للمساعدة في زراعته، وتليها إندونيسيا فلها نحو ٢٥% من الإنتاج العالمي، الذي يأتي معظمه من جزرها، ثم تأتي تلايلاند، والهند وسيرلنكا. أما ميدان المطاط الصناعي فتبرز اليابان كدولة أولي في آسيا تليها الصين.

وكان لامتداد آسيا من المناطق الاستوائية إلى المناطق القطبية، أن امتد فيها نوعا الغابات الحارة والغابات الباردة، الأولي في الجنوب والثانية في الشمال الأولى، في إندونيسيا والملايو والفلبين والهند والصين الهندية، والثانية في سيبيريا الأخشاب الصلبة والأخشاب اللينة من خشب التك إلى الصنوبريات، وحظيت القارة بنحو ١٠% من لب الخشب في العالم ومعظمه من قسمها السيبيري، واليابان، والصين.

وتأتي آسيا في مقدمة القارات في ثروتها من الماشية (نحو ٣٠%)، وتأتي الهند على رأس آسيا في أعداد الماشية (١٥%) ثم الصين وبنجلاديش، هذا فضلا عن تركستان وغرب سيبيريا، غير أننا إذ تركنا الكم إلى الكيف سنجد أن الاستغلال التجاري غير موجود في الهند، فالبقرة لها تقديسها لا تمس، من ثم يزداد

عدد الأبقار بما يزيد عن طاقة المراعي فتتحول إلى حيوانات عجفاء.

وموطن الخنزير جنوب شرقي آسيا، من هناك كانت بداية استئناسه، وتأتي آسيا على رأس القارات إنتاجا للحوم الخنزير (٣٧%)، وخاصة الصين التي تسهم وحدها بنحو ٣١% من إنتاج لحوم الخنازير في العالم، حيث تتركز تربيته في شرقيها.

وتعتبر مياه آسيا المطلة على المحيط الهادي وامتدادها في المحيط الهندي من مناطق الصيد البحري الأولي في العالم، ولدولها الشرقية مكانتها العالمية في الصيد، لذلك تأتي اليابان بمركزها الأول إنتاجا للأسماك لاتساع مصايدها التي لا تقتصر على المحيط الهادي، بل تمتد إلى البحار والمحيطات الأخرى، وكذلك روسيا الاتحادية، ذلك أن أحد مصايدها البحرية الرئيسية هي المطلة على المحيط الهادي وممتدة إلى بوغاز بهرنج، ثم تأتي الصين في المركز الثالث ، فالهند، وكوريا، وإندونيسيا.

آسيا المعدنية الصناعية

رغم أن آسيا أكبر القارات حجما، فهو لا يعني أنها أغناها معدنيا (حتى الآن) ورغم أن معظم القارة مسح جيولوجيا، فمن الصعب إطلاق تعميمات على الثروة المعدنية، كما أن هناك مكامن واحتياطيات ضخمة معروفة الآن، ولكن يقف أمام استغلالها أنها من نوعية غير جيدة، أو لموقع سحيق، أو عدم اجتماع موارد الطاقة مع الخامات المعدنية، فالهند لديها ثروة حديدية ولكنها تفتقر للفحم، وعلى العكس الصين لديها ثروة فحمية ضخمة ولكن حديدها قليل، واليابان فيها الامكانات الصناعية ماعدا الخامات، وقد استثني من هذا روسيا الاتحادية حيث وفرة في الفحم والحديد، ومكامن للبترول في سيبيريا، ومع ذلك فلا يمكن الجزم بثروتها المعدنية في المستقبل وإمكان استخدامها خاصة بعد التطور التقني في البحث واستخراج المعادن، وإذا ذكر البترول في العالم، لابد ويذكر غربي آسيا، إيران والعراق ودول

الخليج، وبعدها دول الكمنولث الروسي، حتى ليمكن القول بــان آســيا هــي قــارة البترول، فإلي جانب بترول الخليج العربي المنطقة الأولي إنتاجا وتصديرا واحتياطيــا في العالم، تتزايد أهمية آسيا بترولا وغازا طبيعيا مرة أخرى بعد ظهوره فـــي دول آسيا الوسطي، فمن الست دول التي خرجت من تحت عباءة الاتحاد السوفيتي، هناك ثلاث منها وهي كازاخستان وتراكمنستان وازربيجان بها احتياطيــات ضخمــة مــن النفط والغاز، وكلها تطل على بحر قزوين، مما جذب بشدة شركات نفـــط عملاقــة، ودولا، وأصبحت المنطقة إقليم جذب وشد بين روسيا والولايات المتحدة الأمريكية بل وإيران وتركيا أيضا. ولعل ما يحدث بشأن أفغانستان والعراق من جــانب الولايــات المتحدة الأمريكية لا يفسر إلا بإصرارها على السيطرة على مكامن البترول الرئيسية في العالم، دع عنك احتياطات البترول والغاز الطبيعي في سيبيريا الغربية والشرقية، وشمال بحيرة بيكال، فضلا عن احتياطي آخر في المحيط القطبي الشـــمالي وجــزر سخالين ومياهها.

وفي ميدان الصناعة لابد وأن نشير إلي التطورات التي حدثت فـــي الربــع قرن الماضي، وهي ظاهرة النمور الآسيوية وفي تحليل ظاهرة النمـــور الآســيوية اقتصاديا (سنغافورة، تايوان، هونج كونج، كوريا الجنوبية) هو الافتقار إلى الأيدي العاملة الرخيصة في دول العالم الصناعية الكبرى، مما أدي إلى الموافقة على نقل بعض مواقع الإنتاج إلى هذه الدول التي تتمتع بأيدي عاملة رخيصة، ومنظمــه، ومنضبطة في العمل، مما أدي إلى صب مليارات الدولارات في المنطقة لإنتاج بعـض السلع سواء من الولايات المتحدة الأمريكية أو اليابان لتطويق الاتحـــاد الســوفيتي والصين.

والواقع أن العالم الصناعي المتقدم قد أقام فـــي القــرن التاســع عشــر والنصف الأول من القرن العشرين صيغة للعلاقات الاقتصادية بين الدولة الأم وبيــن مستعمراتها، تحتكر الدول الاســتعمارية الأم الصناعــات التحويليــة كالمنســوجات والآلات، بينما يفرض على المستعمرات وأشباهها التخصص في الزراعة والتعديــن لتغذية الدول الاستعمارية بحاجتها من الخامات (قطن ـ حديد ـ بترول ...)، ثــم

كانت فترة الخمسينات إلى أواخر الستينيات حين ظهرت تجارب جديدة نتيجة لتفكك الاستعمار فشهدت الدول الحديثة الاستقلال قيام ما عرف باسم إنتاج السلع التي تحتاجها هذه الدول الوليدة لتحل محل الواردات (إحلال الواردات). أما الفترة الثالثة وهي التي تمت منذ السبعينيات وكانت هذه واضحة في الشرق الأقصى بصفة عامة، فبدلا من قيام صناعات تحل محل المصنوعات المستوردة كان تطوير الصناعات القائمة على أساس التصدير فمن صناعة المنسوجات (القرن التاسع عشر) إلى صناعة الصلب وبناء السفن (القرن العشرين) إلى الإلكترونيات، وأقامت دول نمور شرق آسيا هذه الصناعات، وإن بدأت تركز على الإلكترونيات، وأصبحت منافسا خطيرا للأوطان الأم.

في المحيط الدولي

شهدت آسيا قيام كثير من الامبراطوريات وخرجت هذه الامبراطوريات لمسافات كبيرة خارج مواطنها الأصلية: الفينقيون، المغول، الفرس، الأتراك، وكل هؤلاء بنوا إمبراطوريات، بل وحتى الاتحاد السوفيتي كان أشبه بالإمبراطورية امتدت من موسكو، كما حاولت القوى خارج القارة ممثلة في إنجلترا، هولندا، واليابان قهر أقطار الأطراف، بل وحتى الولايات المتحدة الأمريكية لها قواعدها من الخليج إلى الباسفيك. والواقع أن آسيا من الكبر والتعقيد بحيث لا يمكن أن تخضع لإمبراطورية واحدة، ولا توجد قوة كبري قادرة على إدارة حتى أطرافها الخارجية أكثر من بضعة قرون، ولم تظهر إمبراطورية يمكنها أن توحد أكثر من نصف القارة.

في بداية القرن العشرين كان في آسيا عشر وحدات سياسية مستقلة ثم تضاعف هذا العدد بعد الحرب العالمية الثانية، وما كان مستعمرات نال استقلاله، وانتهي فتات الاستعمار برجوع هونج كونج، ومكاو إلى الصين الأم، وظهرت أسماء جديدة، فعرفنا ميانمار بدلا من بورما وأصبح الآن عدد الدول الآسيوية المستقلة ثمانية وأربعين.

وهناك أربع دول في آسيا يمكن أن تعد من الدول الكبرى وهي الصين، واليابان والهند وروسيا (بما ذلك الجزء الأوربي) وفي نفس الوقت هناك دول ضئيلة بالمقياس السياسي، ضعيفة وتتمثل فيها مقومات الدولة بالكاد مثل لاوس، وبوتان. وبعض دول القارة غني كما هو الحال في الدول المحيطة بالخليج العربي، فضلا عن اليابان وكوريا الجنوبية، وبعضها فقير للغاية كبنجلاديش، ومعظم دول القارة متخلفة نسبيا، كما أن هناك مساحات واسعة خالية من الإمكانات الاقتصادية وأن بدأ القدر يبتسم لبعضها كما حدث لدول آسيا الوسطي أذربيجان وكازاخستان تركمانستان وأخواتها بظهور البترول والغاز الطبيعي.

وقد حددت الولايات المتحدة الأمريكية استراتيجيتها للهيمنة على العالم من خلال الهيمنة على جنوب غربي آسيا أو الشرق الأوسط كما يقولون حيث بترول الجزيرة العربية والخليج بعامة ومنابع البترول المستقبلية والغاز حول بحر قزوين وآسيا الوسطي من ناحية وأن يكون وجودها في شمال وشرقي آسيا: اليابان وكوريا الجنوبية والفلبين وإندونيسيا، وجنوبا في استراليا ونيوزيلند من ناحية أخرى لتكون مستعدة لصحوة الصين العظمي.

وفي الحق كانت المفاجأة التي شهدها العالم في الثلث الأخير من القرن العشرين هي صحوة آسيا بشكل خارق وعلى الأخص منذ السبعينيات، فقد انطلقت اليابان كقوة اقتصادية (صناعة وتكنولوجيا) منذ الستينيات حتى الآن، وتبعتها كوريا الجنوبية، وتحاول الصين اللحاق بالركب.

فهذه القوى الجديدة نمت وتنمو في صمت دون ضجيج، وهذا الصمت هو جزء من الطبيعة والثقافة في آسيا بصفة خاصة في اليابان والصين، انظر كيف نهضت اليابان من كبوتها بعد الحرب العالمية الثانية وتدميرها تماما، بل وضربها بالقنابل الذرية، ظلت تعمل في صمت، وحتى استعادت قوتها، بل وأصبحت منافساً خطيرا للعالم الغربي بعامه، وهكذا تعمل الصين الآن، مما جعل الباحثين يتوقعون تغييرا جذريا في آسيا سوف يؤثر في ميزان القوى العالمي.

فقد أصبحت اليابان في السبعينيات ثاني أكبر قوة اقتصادية في العالم، ثم كانت الصين (ربع المعمورة) الصاعدة منذ عام ١٩٤٩ وخاصة منذ التصحيح الاقتصادي عام ١٩٧٨، تسرع بمعدلات للتنمية الاقتصادية لم يعرفها التاريخ البشري حتى الآن، بلغت أحيانا ١٢% سنويا، وأن انتظمت حول ٧,٥%، مع صعود قدرتها الاستراتيجية والسياسية على مستوى عالمي معترف به، وإذا اتحدت الكوريتان في شمال شرقي القارة لابد وأن يعطيهما هذا وزنا سياسيا واستراتيجيا عظيما، كذلك الحال في منظمة الأسيان التي ترتكز حول فيتنام وماليزيا. إذا أضفنا أيضا أن هناك ثلاث دول تمتلك السلاح النووي في آسيا غير إسرائيل، وهي الصين والهند وباكستان، فضلا عن روسيا وريث الاتحاد السوفيتي وقيام كوريا الشمالية بأبحاث الأسلحة النووية مما يؤكد على تمسك هذه الدول الآسيوية باستقلالية القرار والسيادة على قدم المساواة مع القوي النووية العالمية، أدركنا أهمية آسيا.

ويعتقد المخططون الاستراتجيون، في الولايات المتحدة الأمريكية أنه بعد انتهاء الاتحاد السوفيتي ستمثل منطقة آسيا المحيط الهادي مركز المخاوف الأمريكية الأمنية بدلا من أوربا خلال الخمس وعشرين عاما القادمة.

فتقرير مركز دراسات البنتاجون (وزارة الحرب الأمريكية) " يعتبر أن آسيا هي مركز تهديد وخطر مستقبلي وليست أوربا بعد أن إنهيار الاتحاد السوفيتي، وسوف تبرز أربع قوي كبرى حتى عام ٢٠٢٥ وهي الصين وروسيا واليابان والهند، وهي القوي المرشحة لأن تنافس أمريكا في الباسفيك عموما، وشرق آسيا خاصة، ولما كان السلام الذي يصلح في أوربا لا يصلح في آسيا الشاسعة البعيدة الأطراف، فالمتوقع حرب باردة في وسط آسيا.

وأصبح المجهود الرئيسي لآلة الحرب الأمريكية في بطن آسيا والخليج، وتركيا، وفي المحيطات والبحار حولها، بوارج، وحاملات طائرات تمثل خنقا استراتيجيا لمداخل البحر الأحمر، وبحر العرب، والخليج العربي وقواعد في المحيطين، الهادي والهندي.

ومن مظاهر هذا الاهتمام وأسبابه يمكن أن نقول أنه إلى جانب ازدياد حدة المشكلة الفلسطينية، التي تزداد حدتها وتغاضي الولايات المتحدة الأمريكية عما تفعله إسرائيل، بل وتدعمها ماديا، وسياسيا في الأمم المتحدة بإخراج كارت الفيتو عندما تحس بأن هناك إدانة لها، على اعتبار أنها ممثلة لها في الإقليم هناك : ـ

- أزمة طائرة التجسس الأمريكية اقرب السواحل الصينية والتي أجبرتها الصين على الهبوط، مما يدل على أن هناك صراعا استراتيجيا صامتا بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين الشعبية، لا بدعم الولايات المتحدة الأمريكية لتايوان فحسب، بل أيضا خشية الصعود الصيني المتعاظم المنافس للولايات المتحدة الأمريكية.
- لعبة توازن القوي النووية في الشرق الأقصى بين الهند وباكستان والصين، والتي تجلت في تقوية الصين لباكستان من الناحية العسكرية والتكنولوجية، إذ ساعدت باكستان في تصميم القنبلة الذرية التي سبق أن اختبرتها الصين في لوب نور Lop nor عام ١٩٦٦، ومنذ ذلك الحين بدأت باكستان تبرز كقوة منافسة للهند حيث أصبح لديها إمكانات تصنيع الأسلحة النووية. ورغم ذلك فبالرغم من تسلح باكستان نوويا، فإنها لن تصبح مكافئا للهند لوجود فوارق في مصادر القوة. بالرغم من المخاطر المتوقعة من وجود أسلحة نووية لدي الطرفين فإن الاختبارات النووية التي قامت بها كل من الهند وباكستان في مايو ١٩٩٨ ليس نذيرا لحرب نووية في المنطقة، بقدر ما هو استعراض للعضلات.
- تصاعد النزاع الهندي الباكستاني في كشمير إلى مستوى اقترب من المواجهة المسلحة بينهما عام ٢٠٠٢، ولما كانت الهند تعلم تماما حاجة الولايات المتحدة الأمريكية إليها للضغط على الصين، فقد رأت أن هذه قد تكون المحطة الراهنة لإغلاق ملف كشمير نهائيا بالاستيلاء عليها.
- الهجوم الأمريكي على أفغانستان والبقاء فيها في تخطيط لوجود

أمريكي في آسيا الوسطي والجنوبية، ومن ثم يمكن أن تشكل تهديدا للصين ليس من المحيط الهادي فحسب، بل ومن وسط القارة أيضا، ويرتبط بذلك تضاؤل النفوذ الروسي في آسيا الوسطي، وصعود النفوذ الأمريكي مع نهاية القرن الماضي، فقد ثبتت القوات العسكرية الأمريكية قواعد لها، ودست شركات البترول الأمريكية أنفها في بترول بحر قزوين.

- في نفس الوقت أنشئت منظمة شنغهاي للتعاون بين روسيا والصين ودول آسيا الوسطي الخمس ماعدا تركمنستان كرد على ازدياد النفوذ الأمريكي، ذلك أن روسيا بعد أن انفراط الاتحاد السوفيتي، إلى شظايا، وجدت أنها وحدها لم ولن تكون ندا للولايات المتحدة الأمريكية فحسب، بل ولا للاتحاد الأوربي أو اليابان، وباستغلال وضعها كدولة أوربية آسيوية توثيق علاقتها مع كل من الصين والهند أكبر عملاقين في القارة لتكون مثلث استراتيجي عسى أن يعوضها من بعد ضعفها قوة.

تحديات تواجه القارة

ومع ذلك فبرغم بروز آسيا في ساحة السياسة العالمية، بحيث، فهناك تحديات كثيرة تقابل دولها مثل مشكلات الحدود السياسية التي تثور بين الحين والحين، فلا يوجد حد سياسي يحوز رضاء الطرفين على جانبيه، ولكن مع ذلك فالحد الطبيعي قد يكون خيرا من غيره، الصحاري، الجبال، والبحار المتجمدة هذه تمثل عقبات طبيعية على الأرض، لا الجو، وإذا كانت هذه تمثل عقبات أمام تحركات الجيوش، فهي أيضا تمثل عقبة أمام حركة التجارة والإنسان، ولا توجد حضارة مزدهرة منكفأه على نفسها، أي بدون أن تأتيها منشطات من الخارج، وهنا يمكن القول فيما يختص بالحدود السياسية أن آسيا شهدت كثيراً من تغيرات الحدود خلال

العقدين الماضيين وكثير من الحدود غير واضحة التحديد، أو تقوم عليها نزاعات. وليس من شك أن مشكلات الحدود السياسية والمناطق المحتقنة تمتد من البحر المتوسط إلى الباسفيكي، وقد تحرك نحو نصف الحدود من أماكنها خلال القرن العشرين، بل وحتى الآن لا تتقبل كثير من الدول حدودها، فهي غير راضية عنها: سوريا تريد استرجاع الإسكندرون، إيران تدعي أحقيتها في البحرين وجزر الإمارات، وآفة الآفات إسرائيل التي تريد أن تمتد من النيل إلى الفرات، وأفغانستان تنظر إلى غرب باكستان على أنه جزء منها، وتختلف الهند والصين على الحدود في السفوح الجنوبية للهملايا، وتطالب الصين بكل الجزر في بحر الصين الجنوبي إلى الجنوب من دائرة عرض ٤٠ شمالا، وتأمل اليابان في عودة جزرها التي كانت لها في شماليها وجنوبيها كما تدعي الفلبين مصالح لها في شمالي بورنيو، وهناك النزاعات بين الكوريتين.

هناك شعور القوي الكبرى في القارة كالصين والهند وروسيا بعدم الرضا عن وضعهم الدولي الذي لا يمكنهم من أداء دورهم الإقليمي، وزيادة الحركات الانفصالية التي أصبحت ظاهرة في إندونيسيا، والفلبين، وسيرلينكا وفيجي وجزر سولمون. المحيطات أسهل وأرخص وسائل الحركة الدولية، وبدون سهولة الوصول إليها تعاني الدول الحبيسة سياسياً واقتصادياً، فلم تعد هذه المحيطات موانع الآن، بل أصبحت ساحات للطرق البحرية العالمية، ودول حبيسة كأفغانستان، نيبال، منغوليا ذات توجيه بري،، على عكس اليابان والملايو وسنغافورة توجيهها بحري، الاتحاد الروسي له واجهة على المحيط القطبي الشمالي ولكن المشكلة أنه مغلق لجزء كبير من العام، ومن ثم كان الفكر الروسي منذ القدم الاتجاه نحو البحار الدفيئة البحر المتوسط، والخليج العربي، والبحر الأصفر.

لكل دولة آسيوية في معظم الأحيان ميناء على الأقل، وبالتالي فهي على صلة بتجارة المحيط فيما عدا منغوليا، أفغآنستان ولاوس ونيبال وبوتان فهي دول حبيسة أما العراق والأردن فهي شبه حبيسة فكل منهما له منفذه وأن كان يمثل نافذة ضيقة، من ثم نجد أن هناك دول كلبنان وسيريلنكا والملايو وشنغافورة والفلبين

شعوبها ذات عقلية بحرية وكذلك هونج كونج والبحرين وسنغافورة، وعلى العكس نجد دولا ذات توجيه بري كالصين والهند، ومن المحتمل أن ما يقرب من ٢% أو ٣% من سكان آسيا قد رأى المياه المالحة، والسفن البحرية.

ومن وجهة نظر الجغرافية الطبيعية إن وحدة القارة ،أو اتحادها الفيدرالي يبدو أمرا مستحيلا، فآسيا ستظل قارة مفتتة ، فالجبال السامقة والصحاري القفار هي مناطق عزله، تقسم القارة إلى جزر، ونوايات منفصلة، فعلى سبيل المثال فالاتصالات الثقافية بين الهند والصين تقتصر على البوذية، وكذلك التجارة البرية بين دول القارة محدودة، ولا توجد بؤرة في الداخل تلتف حولها القارة، بحيث وصفت آسيا بأنها قارة طاردة فالاتصالات بين أجزائها بحرية أكثر منها برية.

ورغم هذا وإذا كانت آسيا بوضعها هذا لم يكن لها رأي في الشئون العالمية في القرن العشرين فمن المرجح أن رأيها سيسمع في الألفية الثالثة بحكم حجمها البشري وتطور سكانها، وسواء كانت دولها فقيرة، أو غنية فهي قارة يتضاعف سكانها في ثلاثة عقود أو أربعة ومع يصحب ذلك من الأخذ بالتكنولوجيا المتقدمة مما قد يحمل معه وزنا سياسيا في الشئون العالمية.

الفصـــل الثانـــي

الأرض والبشر

البنية والتضاريس

يمكن تقسيم آسيا من ناحية البنية والتضاريس إلى أربعة أقسام كبرى.

أولاً : السهول الشمالية وتأخذ شكل مثلث من الأراضي المنخفضة يحدها شمالاً المحيط القطبي، ويضم هذا الإقليم معظم سيبريا، وامتدادها الغربي هو السهل الأوربي، وتضم هذه السهول أحواض أنهار أوب وينسي ولينا التي تنصرف نحو المحيط القطبي الشمالي، بينما نجد أراضي القسم الجنوبي الغربي ذات صرف داخلي تنتهي إلى بحر ارال، ولما كان انحدار الأرض تدريجيا للغاية تجرى هذه الأنهار في بطء شديد، وتتجمد مياهها معظم العام إلا في شهور الصيف حين يذوب جليد منابعها قبل جليد مصباتها، فلا يمكن لمياهها الوصول إلى البحر بسهولة إلا في نهاية موسم الصيف، وتتحول هذه السهول إلى مستنقعات ضخمة في أوائل الصيف.

ثانياً : الهضاب الجنوبية القديمة: وتتمثل في :هضبة شبه جزيرة العرب التي تنحدر بشدة نحو البحر الأحمر (انكسار) وتكون أكثر تدرجا في انحدارها نحو الشرق حتى تصل إلى سهول الفرات. كما تتمثل في هضبة الدكن، وانحدارها في معظمها من الغرب إلى الشرق، حافتها الغربية تعرف باسم الجات الغربية، وحافتها الشرقية الأقل ارتفاعا تعرف بالجات الشرقية، وتقطع سطح الهضبة عدة أنهار مثل ماهانادى وجودافري، ومن المعروف أن الهضاب الجنوبية هي بقايا قارات قديمة (جندووانا)، من ثم كانت صخورها نارية ومتحولة في معظمها وهناك سيبيريا في الشمال، وكتلة الصين في الشرق وتتميز بصلابتها الشديدة، لأنها تمثل صخور القاعدة الأركية.

ثالثاً : السلاسل الجبلية الوسطي، وهي أعظم الظاهرات التضاريسية

في خريطة آسيا الفزيوغرافية، وهي فريدة بين القارات جميعا في أن هذه السلاسل تتفرع من نوايات أو عقد هضبية، Knot فلا توجد منطقة من بحر إيجه حتى بحر الصين يمكن فيها عبور القارة من الشمال إلى الجنوب والعكس بدون أن تعبر جبالا وعرة، بل شديدة الوعورة، وجميع ممراتها الجبلية على ارتفاع يزيد على الألف متر إلا في بدايتها ونهايتها، وتعمل هذه السلاسل الجبلية المعقدة على عزل السهول في جنوبها عن تلك في شماليها، وتقطع القارة إلى اشلاء.

وقد تكونت هذه السلاسل الجبلية بين الكتل الشديدة الصلابة والمقاومة في أشباه الجزر الجنوبية، ونظيرتها في الشمال، حيث يوجد هناك تتابع من السلاسل الالتوائية، وترجع نشأتها إلى الزمنيين الأول والثاني، حين كانت هذه المنطقة يشغلها بحر تيثيس جد، البحر المتوسط، وأن كان أكثر اتساعا منه الآن وفي هذا البحر المقعر القاع تجمعت الرواسب، ثم عملت الحركات البانية للجبال على ضغط هذه الارسابات، مكونة هذه الصخور في نهاية الزمن الثاني تقريبا وخاصة في الكاينوزوى، ولعل الهمالايا هو أحدث هذه السلاسل الناتجة عن تلك العمليات، والذي يعتبر من أحدث الجبال الالتوائية في العالم، ومثلها تمتد الكتل الجبلية من تركيا إلى اليابان (*). إذا بدأناها من الغرب واتجهنا نحو الشرق نجد سلاسل جبلية مزدوجة تبدأ من نوايات أو عقد وتتفرع منها، في آسيا الصغرى جبال طوروس موازية لحوض البحر المتوسط، بينما سلاسل بنطس موازية للبحر الأسود، وتحصران بينهما هضبة الأناضول، ثم يتجمعان معا، ومن عقدة أرمينيا يبدأ تفرع شمالي باسم جبال البرز جنوب بحر قزوين، وامتداها هندكوش وتعرف نظيرتها في الجنوب باسم جبال زاجروس ثم تصل جبال سليمان زاجورس بهندكوش، وتحصر الثلاثة هضبة إيران وتلتقي جبال سليمان مع هندكوش عقدة البامير (سقف العالم ثم يعود التفرع

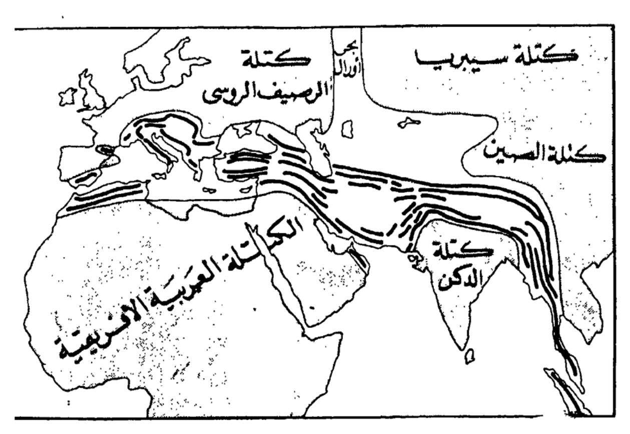
(*) من أربعين مليون عام تحركت هضبة الدكن نحو الشمال (أي نحو بحر تيثيس القديم فسببت في ارتفاع الصخور الجيرية التي كانت في قاع البحر القديم، وتكونت شرائح فوق بعضها مثل كعكة ضخمة متعددة الطبقات، بهذه الطريقة بدأت جبال الهمالايا وأخواتها في التشكيل، ومنذ ذلك الوقت ترتفع قمة إفرست بمعدل دائم وهو ٢ ملليمتر في العام.

مرة أخرى. جبال هيمالايا في الجنوب حيث أعلى قمة في العالم (إفريست) أما الشمال فهناك جبال كوين لن والتاي، ثم فرع شمالي آخر هو تيان شان، وهذا الأخير تتفرع منه فروع عديدة، وما بين جبال الهيمالايا وكوين لن تقع هضبة التبت أعلى هضبة في العالم وإلى الشمال من كوين لن، هناك هضبة أقل ارتفاعا، تغطي معظمها مستنقعات في فصل الصيف، وبينما يقع حوض تاريم (٧٠٠ ـ ٢٠٠٠ متر) بين سلاسل كوين لن وتيان شان فهو حوض جاف، تنصرف مياهه إلى بحيرة داخلية. وتمتد هضبة جوبي باتساع كبير إلى الجنوب من سلاسل التاي ويابلونوى، هذا ونلاحظ أن التصريف المائي للأنهار الرئيسية المتجهة في الشرق ينتهي إلى المحيط الهادي، أكبرها أمور، ويانجستي وهوانجهو.

وهنا يجب أن نذكر مجوعات جبلية أخرى من السلاسل الالتوائية تبدأ من النهاية الشرقية للهمالايا نحو الغرب ثم الجنوب في ميانمار (بورما) وتعرف باسم أركان يوما وتواصل امتدادها في جزر أندمان وسومطرة وجاوة وغيرها ويقطع الهضاب المحصورة بين السلاسل عدة مجاري مائية مثل سالوين وميكونج وأعالي اليانجستي. أما المجموعة الأخرى من الجبال تمتد على هيئة حلقات على طول الساحل الشرقي للقارة مكونة جزر كوريل اليابان والفلبين ... الخ، تناظرها مجموعة أخرى على اليابس المقابل ممثلة في ستانوفوى وفرخويانسك.

رابعا: السهول وتمتد في أحواض الأنهار الكبرى وفي الأقاليم الداخلية ذات الأمطار القليلة مثل قراقورم في وسط آسيا، وصحراء تكلا مكان في غربي الصين وجوبي في منغوليا، وثار في باكستان والهند. والظاهرة الرئيسية فيها أنه لا توجد بها أودية نهرية تسود مساحات كبيرة في القارة كما هو الحال في أفريقية أو الأمريكتين، ولكن مجموعات من الأنهار تشع من الوسط وتتجه نحو الأطراف فعلى طول الساحل القطبي تنتهي أنهار أوب، وينسي، ولينا وهي من مجموعة الأنهار الطويلة، على حين أن هناك مجموعة لا تقطع مسافات طويلة مثل دفينا باشورا ويانا، وكوليما، ويستقبل حوض الباسفيكي أنهار أربعة رئيسية وهي أنهار طويلة ممثلة في أمور وهوانج أو الأصفر ويانجستي وميكونج. ويستقبل المحيط الهندي

ثلاثة أنهار كبيرة من حيث التصريف المـــائي لا مـــن حيـــث الطـــول ممثلـــة فـــي البراهمابوترا والجانج والسند، فضلا عن أنهار أصغر مثل إيراوادي ودجلة والفرات، هذا وهناك مساحات سهلية بالنسبة لما حولها تبلغ مساحتها نحو ١٥ مليون كـــم٢ تصريفها داخلي أي لا تنصرف إلى بحر، وتسهم قلة المطر وارتفاع البخر في عـــدم وجود الدفع الكافي للماء للوصول إلى البحر، ومن المعروف أنه في عصور ســـابقة كان بحر آرال أكبر اتساعا وامتدادا بحيث كان يصل إلى بحر قزوين والذي بـــدوره ينتهي في البحر الأسود. من أمثلة هذه الأحواض الداخلية ثلاثة أحواض كبرى وهي تاريم وزونجاريا غربي الصين، فضلا عن حوض طوران شرق بحر قزوين.



الكتل القديمة والجبال الإلتوائية (بحر تثيس)

شكل رقم (٣)

خامساً : السلاسل الجبلية في آسيا الشرقية والجزر، وهي أقواس feestons من الالتواءات امتدت على حساب المحيط الهادي، وتمتد أقواس الجزر الممتدة شرق اليابس الآسيوي من اليابان، جزر كوريل، إلى الفلبين وجزر إندونيسيا، من ثم كان معظمها جبلي، وجبالها مرتفعة لأنها تنتمي إلى التواءات الزمن الثالث (الحركة الآلبية كسلاسل وسط القارة) وأن كانت هناك أحيانا التواءات أقدم أثرت فيها عوامل التعرية، لذلك لا تظهر في شموخ الجبال السابقة، كما هو الحال في شرقي جزيرة سومطرة. ونظراً لحداثة هذا الإقليم جيولوجيا تميز بعدم الاستقرار، ويظهر هذا في تعرضه للزلازل بين الحين والحين، فضلا عن البراكين الخامدة والنشطة أحيانا، مما كان له أثر سلبي على الحياة والمنشآت، وأن كان فضل البراكين عليها عظيما في نفس الوقت بسبب ما تخرجه من مصهورات تتحول إلى تربة خصيبة بعد أن تبرد وتسقط عليها الأمطار، وبالتالي فهي السبب في خصوبة التربة.



شكل رقم (٤)

السلاسل والهضاب فى غربى ووسط آسيا
بحيرة بلكاش
بحر آرال
التاى
تيان شان
نان شان
القوقاز
البحر الأسود
بنطس
الأناضول
طوروس
عقدة أرمينيا
البحر المتوسط
البرز
هندكوش
زاجروس
هضبة إيران
الخليج العربى
شبه جزيرة العرب
البحر الأحمر
ممر خيبر
ممر جومال
ممر بولان
هيمالايا
جبال
هضبة التبت
قراقورم
كونلن
أركان يوما
شبه جزيرة الدكن
(الهند)

شكل رقم (٥)

الأحوال المناخية والنباتية

العوامل المؤثرة في مناخ آسيا:

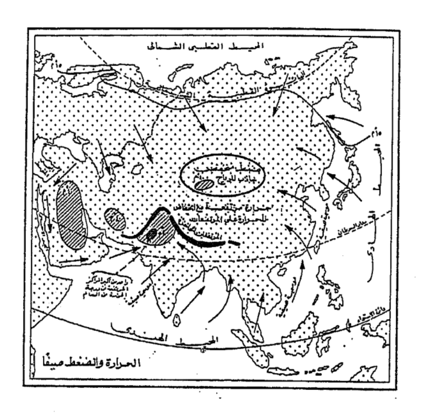
- إذا كانت آسيا أضخم القارات مساحة، فهي مجاورة أيضا لأكثر المسطحات المائية اتساعا وهو المحيط الهادي، فضلا عن المحيط الهندي، ومن ثم كان تأثير هذين المحيطين عليها عظيما، على حين أن أثر البحر المتوسط والبحر الأحمر ضئيل، ورغم بعد المحيط الأطلنطي فقد تصل تأثيراته أحيانا إلى ٥٠٠٠ كم عابرة أوربا إلى آسيا، وأما المحيط القطبي فأثره في المطر ضئيل، يتمثل في بعض التساقط الخفيف في شمالي القارة، وان كان مصدرا مغذيا للهواء البارد. كما كان لامتداد القارة العرضي بما يقرب من نصف مساحة اليابس – على عكس القارات الأخرى، امتدادها الشمالي الجنوبي أكثر من امتدادها الشرقي الغربي – أثره في اشتداد القارية بها، فهناك جهات تبعد عن البحر بما يزيد على ثلاثة آلاف كيلو متر، وأدت هذه القارية إلى أن أصبحت أقل درجات الحرارة فيها (قطب البرودة) وشتاؤها أكثر برودة من شتاء أي قارة أخرى. وإذا كانت متوسطات درجات الحرارة تميل إلى الانخفاض بوجه عام كلما اتجهنا نحو الشمال، فإن الأهم والذي يوضح القارية هو المدى الحراري، فهو في سنغافورة وسيريلنكا لا يتعدى درجة واحدة، على حين أنه بالقرب من مدار السرطان يبلغ ٥ درجات ثم يرتفع في سيبيريا إلى ٨ درجات بينما حول بحيرة بيكال ١٥° درجة، ليبلغ المدى أيضا في فرخويانسيك قطب البرودة إلى نحو ٤٠° درجة، ومعنى ذلك أن المتوسطات في قارة آسيا مضللة للغاية.
- يبرز فيها أيضا ذلك الحاجز الجبلي المؤلف من هضاب وسلاسل جبلية شديدة الارتفاع في وسط القارة والتي تكاد تقطع جنوبي القارة عن شماليها إذ ينتقل من المناخ الموسمي ذو المطر الصيفي الغزيرة في الهند، إلى الإقليم الصحراوي إذا ما عبرنا جبال الهيمالايا.

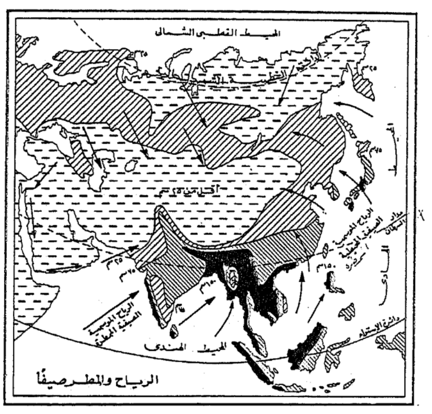
- وأثر التيارات البحرية ضئيل يقتصر على الجهات الساحلية في شرقي القارة، فهناك تياركمتشتكا البارد في أقصى الشمال الشرقي، تيار اليابان الدافئ الذي يمر بجوار سواحل اليابان.
- وكان لتجاور مساحة اليابس الكبيرة والمسطحات المائية الضخمة، أثره في ظهور الرياح الموسمية التي تلغي دورة الرياح العامة، وتصبح الموسمية ظاهرة آسيوية، أكثر منها في أي قارة أخرى في نفس العروض.

أسباب هبوب الرياح الموسمية :

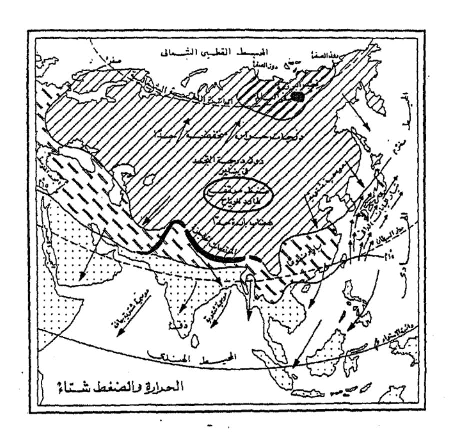
عندما تتعامد الشمس على العروض المدارية الشمالية وتشتد الحرارة اشتدادا عظيما في القارة الآسيوية بحيث تزيد على ١٥° تقريبا عما ينبغي أن تكون عليه بالنسبة للعروض التي تقع فيها، يتكون انخفاض جوي عظيم يزيد عمقه عن الانخفاض الاستوائي، وتنجذب نحوه الرياح التجارية من النصف الجنوبي للكرة الأرضية، وفي هذا الفصل ينمحي الانخفاض الاستوائي تماماً، وتهب الرياح مباشرة من استراليا إلى الانخفاض الآسيوي (الموسمية الصيفية الممطرة على جنوبي وشرقي آسيا). ومما يميز الأمطار الموسمية أن أكثرها يسقط على السواحل الغربية خصوصاً إذا كانت هذه السواحل جبلية كما هي الحال في السواحل الغربية لشبه جزيرة الهند.

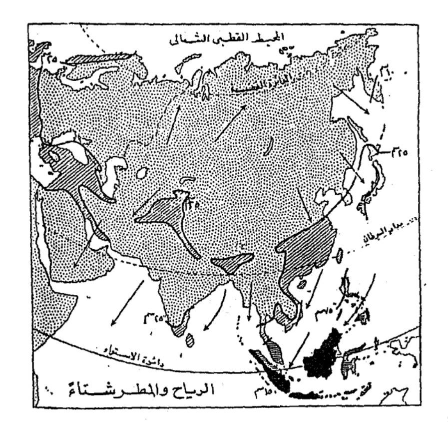
وعندما تنخفض الحرارة خلال شهور الشتاء تنخفض الحرارة في وسط آسيا بنحو ٢٥° عما ينبغي بالنسبة للعروض التي توجد فيها، ويتكون ضغط مرتفع هائل تتضاعف فيه قوة الضغط المرتفع الذي يتركز عادة في تلك العروض، ويزداد اندفاع الرياح التجارية (الموسمية الشتوية) التي تخرج منها جافة إلا إذا مرت على البحر وقابلت اليابس مرة أخرى. وهناك من الجهات ما يتمتع بسقوط الأمطار الموسمية في كلا الفصلين، ومن أمثلة ذلك مدراس (شرقي الهند) ويمتد موسم المطر فيها إلى تسعة شهور أو أكثر.


المحيط القطبي الشمالي
المحيط الهندي
الحرارة والضغط صيفاً


المحيط القطبي الشمالي
المحيط الهندي
الرياح والمطر صيفاً

شكل رقم (٦)


المحيط القطبي الشمالي
الحرارة والضغط شتاء
المحيط الهندي


المحيط القطبي الشمالي
الرياح والمطر شتاء
دائرة الاستواء

شكل رقم (٧)

والمعروف عن الأمطار الموسمية الصيفية أنها تنهمر بغزارة هائلة، مما يؤدي إلى انسياب المياه على وجه الأرض انسيابا يجعل مقدار ما يستفاد به منها في أعمال الري والزراعة مقداراً ضئيلا للغاية. ومما يدل على شدة انهمار المطر في هذا الإقليم أن متوسط ما يسقط في غربي الهند، وميانمار وماليزيا يزيد على ٣٠٠ سم، فإذا ما علمنا أن هذا يسقط في فصل واحد عرفنا معنى الأمطار الموسمية.

الصورة العامة لفصل الشتاء : يتعرض وسط وشمال القارة إلى انخفاض شديد في درجات الحرارة وتكون منطقة ضغط مرتفع على القارة، فتخرج منها الرياح لتحل محل الهواء الدافئ الصاعد على المحيطات (الموسمية الشتوية) وبالتالي تسود هذه الرياح الباردة الجافة كل القارة الآسيوية شمال الهضاب الوسطى وهي جافة إلا إذا مرت على البحر والتقت باليابس كما هو الحال في اليابان فيسقط بعض المطر وتنخفض درجة الحرارة إلى ما دون درجة التجمد في يناير، أما في جنوب هذه المرتفعات الوسطى فيكون المناخ أقرب إلى الدفء. أذن فالصورة العامة برودة في ثلثي القارة الشمالي، ودفء في ثلثها الجنوبي، وجفاف معظم القارة إلا في الجزء الشرقي. وجنوب شرق الهند فضلا عن جنوب غربي القارة سواحل الشام وتركيا لمرور أعاصير البحر المتوسط عليها.

الصورة العامة لفصل الصيف : ترتفع درجة الحرارة على اليابس سواء في القسم الجنوبي أو الأوسط من القارة حتى لتزيد في وسط القارة على ٣٠م، ومثلها في هضبة إيران، وتزيد في شبه جزيرة العرب وصحراء ثار في الهند لتبلغ أحيانا ٤٥م، ويتحول وسط آسيا إلى منطقة ضغط منخفض أي هواء صاعد وتحل محله رياح محيطية محملة ببخار الماء من المحيطات المجاورة (الموسمية الصيفية الممطرة)، وحيث تعترض الجبال مسيرة الرياح تسقط الأمطار غزيرة، وفي ظل تلك الجبال ترقد الصحاري . وهذه الرياح الممطرة هي باعثة الرخاء والحياة، وإن كانت لها جانبها السلبي، إذا سقطت أمطارا غزيرة فوق المتوسط العام بكثير أو إذا اختل توقيت الهبوب، فهنا تتحول الرياح الموسمية الصيفية الممطرة إلى صانعة الفيضانات والخراب والمجاعات.

أذن فصورة آسيا في هذا الفصل مرتفعة الحرارة في معظم أجزائها، الجنوبي والوسط، وتقل الحرارة بعد ذلك كلما اتجهنا شمالا، مع أمطار غزيرة على جنوبي وشرقي القارة نتيجة هبوب الرياح الموسمية الصيفية، هذا وهناك شريط يسقط عليه المطر في جنوبي سيبيريا يسقط عليه قدر من المطر نتيجة وصول أعاصير المحيط الأطلنطي، وأن كان لا يقارن بأمطار جنوبي وشرقي القارة. أما إندونيسيا فمطرها طول العام (استوائي) فضلا عن تعرضها صيفا وشتاء للرياح الموسمية الخارجة من والداخلة إلى القارة، ونظرا لمرورها على المسطحات المائية، فتكون مشبعة ببخار الماء.

الأقاليم المناخية والنباتية

الإقليم الاستوائي الجزرى

ويظهر في المناطق المنخفضة في المناطق المحيطة بدائرة الاستواء، ويظهر في إندونيسيا بصفة خاصة، وجنوبي الملايو، ويتميز بسقوط المطر طول العام وأن كان له صفة الموسمية لأن الإقليم يقع بين كتلتين من اليابس الأسيوي، والأسترالي من ثم فالمطر هنا خليط بين الاستوائي والموسمي، لتعرض الإقليم لرياح من الشمال صيفا، ورياح جنوبية شتاء، ولا تقل كمية المطر الساقط عن ١٢٥ سم، ولا يزيد على ٢٥٠ سم، والحرارة مرتفعة بوجه عام، وأن اختلفت بحسب الارتفاع وتسود الغابات الاستوائية (إلا حيث قطعت) وهي غابات كثيفة متشابكة الأغصان، يلتف حول جذوعها النباتات المتسلقة وتتميز أشجارها بأنها صلبة لا يسهل تشكيلها، ومن أشجارها المطاط، ونخيل الزيت، والماهوجني، والأبنوس وفي الجهات الساحلية تنمو أشجار المانجروف (غابات المستنقعات الساحلية) وقطعت مساحات ضخمة وزرعت بالمطاط والموز والأرز والكاكاو وجوز الهند.



الموسمي الحار

ويسود شمال الإقليم الاستوائي ويمثله مناخ الهند وتايلاند والصين الهندية وبقية الملايو والفلبين، ومطره صيفا بسبب الرياح الموسمية الصيفية الآتية من المحيط، على حين أن شتاء الإقليم جاف لتعرضه للرياح الموسمية الشتوية الخارجة من القارة، وان كانت هناك بعض الجهات التي تسقط مطرها شتاء أيضا، كما هو الحال في الفلبين والأجزاء الجنوبية من شرقي الهند لمرور الرياح على البحر ثم التقاؤها باليابس مرة أخرى، لذلك كان مطر الصيف يمثل ثلاثة أرباع المطر الساقط عليها وتبلغ الكمية بين ١٠٠ سم، ٢٠٠ سم وقد تبلغ ٣٠٠ سم أحيانا.

وتنقسم السنة إلى ثلاثة فصول :

١ ــ موسم مطر بين يونيه إلى ديسمبر، وكلما اتجهنا نحو الشمال تأخر موسم بدء المطر.

٢ ـ موسم جاف بارد في يناير وفبراير، ولا يسقط المطر إلا في الفلبين وسواحل الصين الجنوبية، والملايو، وأقصى جنوب الهند لمرور الرياح الموسمية الشتوية على مسطحات مائية مثل التقائها باليابس مرة أخرى، كذلك في إقليم البنجاب في الهند وباكستان لمرور أعاصير البحر المتوسط الشتوية.

٣ ـ فصل حار وجاف، من أشد شهور السنة حرارة قبل سقوط المطر إذ تتراوح بين ٣٠م، ٣٥م، وقد تسقط بعض الأمطار الربيعية في بنجلاديش ويزرع عليها الأرز والشاي في أسام.

وتنمو غابات اقل كثافة يطلق عليها المدارية شبة النفضية نظرا لأنها تنفض أوراقها في فصل الجفاف، وأشجارها تشبه أشجار الإقليم السابق، وأن كانت أقل كثافة وأهم أشجارها التيك Teak أو الساج وأشجار النخيل بأنواعها كجوز الهند، ونخيل الزيت، وأشجار الغاب الهندي (الخيزران). ولا شك أن الإنسان قد أزال معظمها لزراعة الأرز والشاي وغيرها.

الصحراوي الحار

ومعظمه في جنوب غرب آسيا، شبه جزيرة العرب وإيران وصحراء ثار في الهند، ووادي السند الأدنى، ويصل متوسط الحرارة في يونيه إلى ٣٨ من وهو إقليم الشوكيات والصحاري الرملية والصخرية.

الصحاري المعتدل البارد

ويمتد في وسط آسيا خاصة في التبت، وصحراء جوبي وحوض تاريم، وهضبة إيران، والتركستان بوجهٍ عام، ويقترب في حرارته من الصحاري الحارة في فصل الصيف، (وأن اختلف بحسب الارتفاع) لصفاء السماء وتسخين الأرض القارية الجافة، هذا بينما تنخفض حرارة الشتاء أحيانا إلى درجة التجمد، نظرا للقارية الشديدة وهبوب الرياح الشمالية، ويزداد طول فصل الشتاء بالاتجاه نحو الشمال والشمال الشرقي، وقد تمر بعض الأعاصير على إيران بين الحين والحين

فتجلب مطرا قليلا وثلجا إلى تركستان وهضاب إيران وأفغانستان، ويسقط مطر قليل في فصل الصيف والذي يتفق أيضا مع ذوبان الثلوج على الجبال.

المناخ البارد المنشوري

شمال ووسط منشوريا، وشمالي اليابان وجزيرة سخالين يتميز بالبرودة الشديدة شتاء، حيث تنخفض درجة الحرارة في فلادفستك إلى مادون درجة التجمد، على حين ترتفع الحرارة صيفا إلى ٢٠م، وتسقط أمطاره صيفا، على حين تهب العواصف الثلجية شتاء، وتمتد فيها الغابات المخروطية في مساحات واسعة امتدادا لنظيرتها في سيبيريا.

المناخات المعتدلة الدفيئة

شرقي القارة أي في الصين وجنوبي اليابان، فهو حار في الصيف ولكن قد يتعرض لموجات قارسة في الشتاء، وان كان تيار اليابان الدافئ يقلل من هذه البرودة، كما تسقط الأمطار صيفا وشتاء، وإن كانت أمطار الشتاء أقل ويتعرض الإقليم لأعاصير التيفون Typhoon مما ينتج عنه فيضانات كاسحة، وغابات هذا الإقليم هي من النوع الدائم الخضرة، تسود الأشجار النفضية مختلطة بالصنوبرية، كما تظهر أحراج الخيزران، والبامبو في جنوبي الإقليم.

أما في غرب القارة وهو المعروف بإقليم البحر المتوسط ذو المطر الشتوي والجفاف الصيفي، مع اعتدال حرارة الشتاء، وشدة حرارة الصيف. ونباتاته هي الشجيرات الدائمة الخضرة والتي تحتال على فصل الصيف الجاف بأوراقها الصغيرة، أو بإحاطة ثمارها بطبقة من الزيت كالموالح والزيتون.

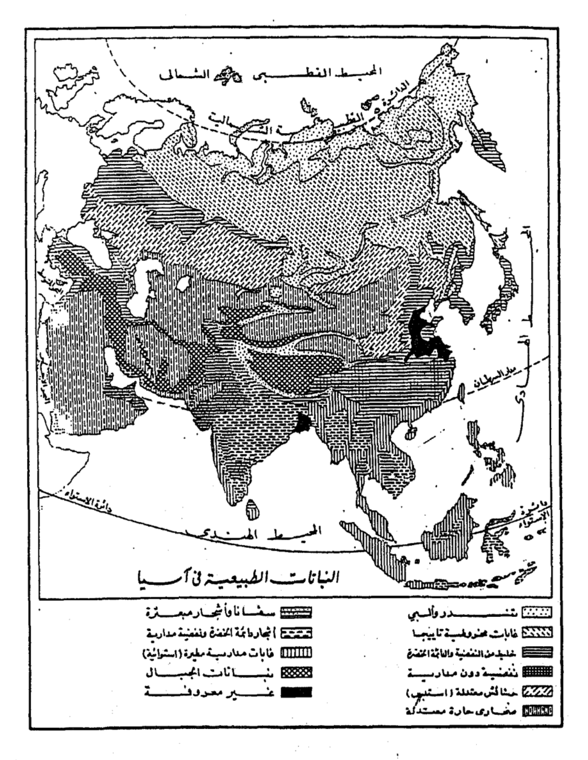
المناخات الباردة

نتيجة لبعد سيبيريا العظيم عن البحر ولإحاطتها بالحواجز الجبلية التي تمنع عنها عوامل الدفء في الجنوب، نجد أن قلبها يمثل اشد الحالات القارية تطرفاً،

فتشتهر فرخويانسك (ــ ١٥م وأحيانا ــ ٣٠ْ في يناير) بأنها أبرد بقعة على ظهر الأرض حتى ليظهر أنها أبرد من القطب الشمالي نفسه، ومع ذلك فإن متوسط يوليه ١٦ْ وتزدهر بها الغابات، رغم أن فصل الصيف لا يتعدى أربعة شهور والشتاء شديد الجفاف. وتمثل الغابات المخروطية (التايبجا) أكبر مساحة للغابات الباردة في العالم، تغطي نحو ٤٢% من مساحة الغابات بالقارة، ممتدة في سيبيريا آلاف الكيلو مترات من الغرب إلى الشرق جنوب إقليم التندرا، وهي من الأشجار اللينة التي يسهل تشكيلها وبالتالي عليها طلب كبير، وأن كان يحد من استغلالها تطرفها، وقلة الطرق الحديدية والبرية، وتجمد مصبات الأنهار رغم ذوبان منابعها، لأن منابعها في الجنوب بينما مصباتها في المحيط القطبي الشمالي واهم أشجارها الصنوبر والشربين.



شكل رقم (٨)



المحيط القطبي الشمالي
الدائرة القطبية الشمالية
مدار السرطان
دائرة الاستواء
المحيط الهندي
النباتات الطبيعية في آسيا
تندرا وألبي
غابات مخروطية تايجا
خليط من النفضية والدائمة الخضرة
نفضية دون مدارية
حشائش معتدلة (استبس)
صحاري حارة ومعتدلة
سفانا وأشجار مبعثرة
أشجار دائمة الخضرة ونفضية مدارية
غابات مدارية مطيرة (استوائية)
نباتات الجبال
غير معروفة

شكل رقم (٩)

المناخ القطبي

في أقصى شمال القارة، ولا ترتفع الحرارة فوق درجة التجمد إلا في شهر يوليه، وتبلغ الحرارة العظمى ١٠ْم، فإذا ما جاء شهر سبتمبر هبط الترمومتر من جديد إلى ما دون درجة التجمد وبدأ الشتاء، ويصل طول الليل والنهار أقصاه، ففي الصيف يطول النهار حتى ليصبح معظم اليوم، وعلى العكس في الشتاء حيث الليل شبة الدائم، وتغطي الأرض طبقة من الجليد طوال فصل الشتاء التي تذوب لبضعة سنتمترات خلال الصيف القصير، وتنمو فوقها حشائش التندرا، والتي سرعان ما يغطيها الجليد مرة أخرى.

التيفون Typhoon

- نوع من الأعاصير المدارية، وهو عبارة عن دوامة هوائية إعصارية تتكون فوق الماء في المحيط الهادي قرب الصين وجنوبي شرقي آسيا فضلا عن خليج بنغال في المحيط الهندي، وذلك إذا ارتفعت درجة حرارة المياه إلى ما يزيد على ٣٠م، وعادة ما يحدث هذا بين مايو وديسمبر (ويتكون على الخليج المكسيك أيضا ويعرف هناك باسم الترنادو).
- تشتد فيه سرعة الرياح أحيانا إلى ما يقرب من ١٥٠ كم في الساعة، وتتقدم من المحيط إلى اليابس المجاور أي من الشرق إلى الغرب. بسرعة تتراوح بين ١٥، ٣٠ كم في الساعة.
- يحمل الأعصار معه عمودا من ماء المحيط ارتفاعه ما بين ٣ ، ٧ أمتار في تقدمه.

وبالتالي تحدث أشد الكوارث خاصة وقت ارتفاع موجة المد، لأن مياه البحر تتراكم بجوار الساحل على شكل أكوام هائلة، وتنشأ فيضانات عظيمة تكون سببا في ضياع كثير من الأرواح والممتلكات وينتج عن ذلك مجاعات وأمراض، ومن أكبر الدول تضررا منه بنجلاديش نظرا لانخفاض سطح الأرض فيها، فحين تتقدم مياه التيفون من البحر، فضلا عن إغراقها للأرض الساحلية، تمنع تصريف مياه الأنهار فتغرق القري بما عليها من مبان ومحاصيل زراعية، وحيوان وإنسان، وتصبح كارثة بكل المقاييس.

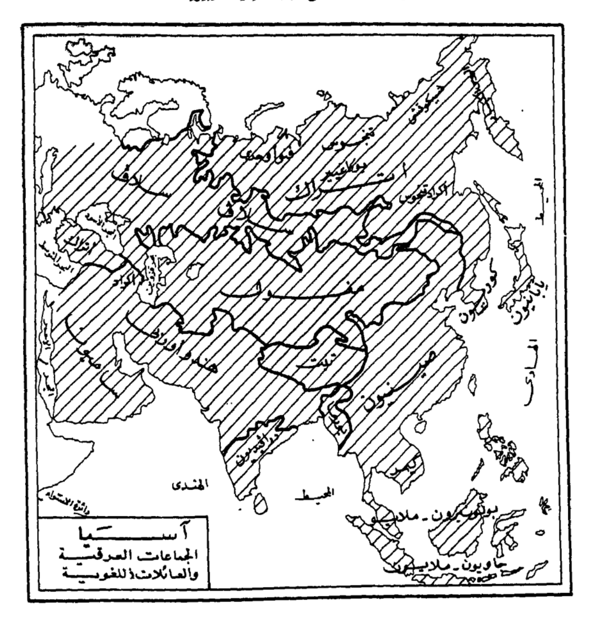
البشـــــــر

عرقيات ولغات :

يمثل السكان أكثر المظاهر الجغرافية جاذبية، وفي نفس الوقت الأكثر تعقيدا أين يعيشون؟، ومن هم؟ فهناك مئات من العرقيات أكثرها اختلطت بعضها ببعض بحيث يصعب بينها التمييز أحيانا، وقليل منها ما يمكن أن تدعى بأنها سلالة نقية، وفي آسيا نحو ٦٨ جماعة عرقية. فمن وسط آسيا خرج المغول على ظهور الخيل (الآن جمهورية منغوليا الشعبية) حيث السهول الاستبسية المنبسطة. وحيوان الرعي الأساسي الخيل، خرجوا متجهين شرقا وغربا يجتاحون ما أمامهم، وكان عصرهم الذهبي خلال القرنين الثاني والثالث عشر وخاصة في عهد جنكيزخان (١١٦٢ ـ ١٣٢٧ م) وحفيدة قبلاي خان (١٢٥٩ ـ ١٢٩٤م) ودانت لهم معظم آسيا، وبلغوا في توسعهم أوربا، ومن فروع هذا الأصل المغولي نجد الصينيين والكوريين وأهل التبت بشعرهم المستقيم المسترسل، والبشرة الباهته الأقرب إلى الاصفرار، والعيون المنحرفه، ويمثل المغول أكبر كتلة عرقية في العالم. كما اختلطوا بغيرهم من العرقيات، كاختلاطهم بالملاويين فكان اليابانيون، وهناك العناصر السلافية ذات الأصل الأوربي التي تسود الاتحاد الروسي في آسيا تقريبا في شريط يمتد مع خط سكك حديد سيبيريا، وهناك العناصر الآرية وهي قوقازية تمتد من إيران حتى أواسط الهند، ورغم قوقازيتها فهناك اختلافات بينها وهذا شئ طبيعي، وهناك العناصر التركية التي تمتد حتى غربي الصين والطريف في الأمر أن من يعيش منهم في وسط آسيا أكثر ممن يعيشون في تركيا ذاتها، ولا غرو في ذلك فوسط آسيا هي منبتهم الأصلي، وهناك العناصر السامية (قوقازية) والتي تشمل المشرق العربي، والدرافيديون في جنوبي الهند وبشرتهم سمراء داكنه، على حين أن السلالة السمراء Brown Race تطلق على الملاويين الذين يوجدون في إندونيسيا والفلبين، وبقع متفرقة في جنوبي القارة.

والدليل على عدم النقاوة التامة للسلالات، نضرب مثلا ملموسا: فقد كانت روسيا بحكم موقعها هي الممر الطبيعي لكل الموجات البشرية والغزوات التاريخية

من آسيا إلى أوربا، فيما عدا القلة التي أخذت طريق آسيا الصغرى، وبالتالي طغت آسيا طويلا على أوربا في جبهة الأورال، وفاض المد البشري من طوران جنوبا ومن سيبيريا شمالا على تخوم أوربا طوال العصور القديمة والوسطى ثم انعكس التيار في العصور الحديثة مع خروج المد الروسي بالملايين إلى آسيا الوسطى وسيبيريا خلال نطاق الاستبس وعلى طول الأنهار السيبيرية.



آســـيا
الجماعات العرقية
والعائلات اللغوية

شكل رقم (١٠)

وفي آسيا عشر عائلات لغوية رئيسية، تتفرع منـــها مئـــات اللغـــات الآن. فهناك عائلة الأورال / التاي في وسط وشمالي آسيا، والهند أوربية من وسط الاتحاد الروسي إلى الهند، والصينية Sinitic ومركزها الصين، والسامية في جنوب غربـي آسيا، والملايو / بولونيز في جزر جنوب شرق القارة، والدرافيدية في جنوبي الهند، وبقايا الأنامية في كمبوديا والفيتنامية والكورية واليابانية.

قلعة البشرية :

آسيا قلعة البشرية، ومخزن السكان يسكنها ثلثي سكان هذا الكوكب كما قلنا على ثلث مساحة اليابس، ومن المرجح أنها كانت كذلك طوال العصـــور التاريخيـــة، وإذا كان عدد سكان القارات يقدر بالملايين، فسكان آسيا يقدرون بالمليارات، وتشير التقديرات أنهم سيبلغون نحو ستة مليارات ونصف عام ٢٠٢٥ أي أزيد قليـــلا مـــن عدد سكان العالم عام ٢٠٠٠. ويكفي أنها تضم أول (الصين) قاربت على المليـــار وثلث، وثاني (الهند) قاربت المليار، ورابع (إندونيســـيا) وســـابع (باكســـتان) وثامن (اليابان) وتاسع (بنجلاديش) دولة في العالم، أي ست دول مـــن العشـــرة الأوائل سكانيا. ومن المنتظر أن تصبح الهند الدولة الأولى سكانا بدلا مـــن الصيـــن التي تتراجع إلى المكان الثاني، كما قد تتفوق باكستان على إندونيسيا.

ويزيد الآسيويون بنسبة ١٦,٥ في الألف سنويا مع العلم بأن هذه الزيـــادة قلت عن ذي قبل، فقد كانت ٢٢,٧ في الألف عام ١٩٧٤. ولاشك أن هذا يرجع إلـــى أن بعض دولها الكبيرة الحجم سكانيا كالصين قد أولت مسألة تحديد النسل اهتمامـــا، ويدل على هذا انخفاض المواليد من ٣٤ في الألف عام ١٩٧٥، فأصبحت ٢٥ فـــي الألف عام ١٩٩٧، وصحب هذا ظاهرة جديدة وصحية، وهي انخفاض نسبة الوفيات إلى ٨,٥ في الألف عام ١٩٩٧ بعد أن كانت ١١,٥ في الألف عام ١٩٧٥، ٢٤ فـــي الألف عام ١٩٥٠، ومن الظاهرات الصحية أيضا زيادة متوسط العمر من ٥٦ عامـــا عام ١٩٧٥ إلى ٦٥ عام ١٩٩٧ وانخفاض وفيات الرضع من ٩٨ في الألـــف إلـــى ٦٥ في الألف.

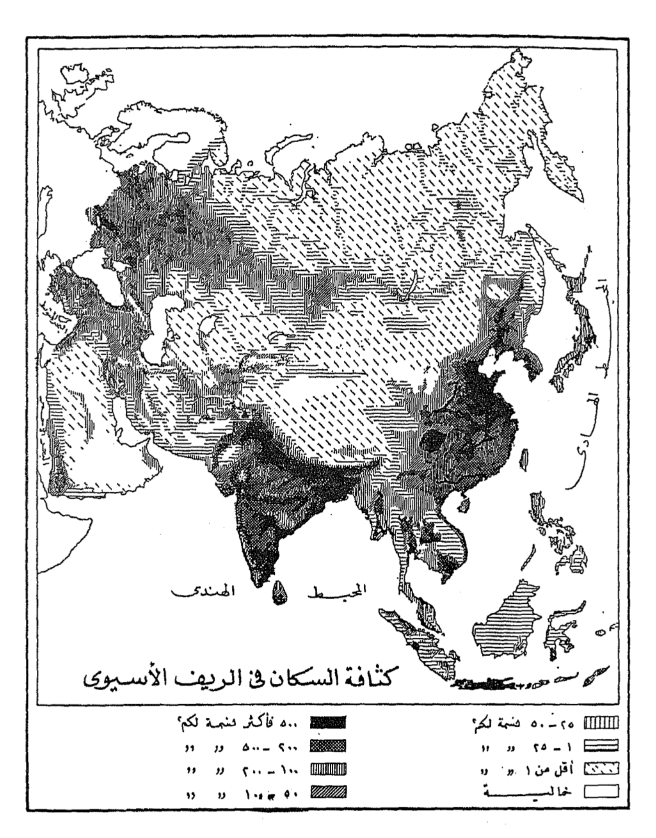
وارتفاع نسبة الحضر من ٢٤,٥% إلى ٣٤,٥% من مجمـــوع السـكان.
ويمكن القول أن ثلث سكان آسيا دون الخمسة عشر عاما. أما كبار السن فمـــازالت نسبتهم قليلة ٥% وبالتالي تكون نسبة الإعالة نحو ٣٧%. وهي قريبة من النســـبة العالمية (٣٧,٥%)، ولا تزيد عليها في نسبة الإعالة إلا أفريقية ٤٧%.

والآسيويون في توزيعهم يتحلقون حـــول هوامـــش القـــارة مـــن كوريـــا، واليابان، والفلبين، والصين الهندية، والملايو، وإندونيسيا إلى الـــهند، وبنجلاديـــش وباكستان فمتوسط الكثافة في هذه الحلقة يدور حول ٥٠٠ نسمة للكم٢، وأن كـــان يبلغ أحيانا ٢٠٠٠ نسمة للكم٢ في كثير من ريف الهند والصين.

أما قلب آسيا فهو خالي أو بتعبير أدق شبه خالي، يدخل فـــي اللامعمـــور. فتتراوح الكثافة بين ١ ، ١٠ نسمة للكم٢، وأحيانا لا تظهر نســـمة واحـــدة علـــى الإطلاق، كما هو الحال على الأطراف القصوى الشمالية المحيطة بـــالمحيط القطبـــي الشمالي، هذا كما يشترك في هذه الكثافات المنخفضة معظم جزيرة العرب لا لقســـوة في الحرارة ولكن الجفاف، وتصبح مناطق البترول هي مناطق الجذب السكاني فـــي بالدرجة الأولي.

إذن فكثافة آسيا المرتفعة ترجع إلى الأطراف لا إلى القلب، وان كان هـــذا القلب الخالي أو الميت لجفافه وبرودته وتثليجه كان أشبه ضد إعصار بشري، ظـــل طول التاريخ القديم والوسيط طاردا للسكان بدء من هضاب منغوليـــا إلـــى ســـهول التركستان، ينفجر بموجات بشرية، وجحافل من الغزاة، والرعاة اســـتهدفت غربـــي آسيا وشرقي أوربا.

وكما هو معروف ليست هناك علاقة طردية بين حجم الســـكان والكثافـــة، فالصين وهي أكبر سكان العالم قاطبة متوسط كثافتها السكانية ١٣٠ نســـمة للكـم٢ وذلك لأن جزءا كبيرا منها يدخل في نطاق القلب الخالي، على حين أن كثافة السكان في كوريا الجنوبية ٤٦١، وفي سنغافورة ٤٩٩٩ نسمة للكم٢.



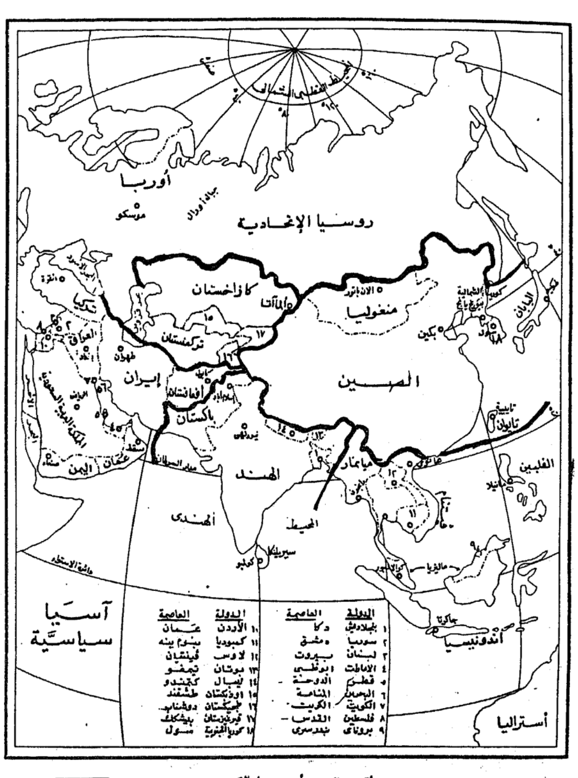
كثافة السكان فى الريف الأسيوى
المحيط الهندى
الهادى
٥٠٠ فأكثر نسمة لكم٢
٢٠٠ ـ ٥٠٠ " "
١٠٠ ـ ٢٠٠ " "
٥٠ ـ ١٠٠ " "
٢٥ ـ ٥٠ نسمة لكم٢
١ ـ ٢٥ " "
أقل من ١ " "
خالية

شكل رقم (١١)

والآسيويون ريفيون بالدرجة الأولي، فتبلغ نسبة الحضرية ٣١%. وأن كان هناك اختلاف كبير بين أطرافها ما بين لاوس ٢١%، والهند ٢٧%، ومن بين لبنان ٨٨%، وأقطار الخليج التي يطلقون عليها دول المدن لتبلغ ذروتها في سنغافورة ١٠٠% لتصبح المدينة الدولة، حضرية من قمة رأسها إلى أخمص قدميها.

وإذا كان معظم الآسيويين ريفيين، فمع ذلك فالمدن في نمو مستمر بطريقة فعالة، فطوكيو هي نظير نيويورك في المكانة العالمية، وهنك عشرات المدن التي يزيد سكانها على المليون، ومعظم مراكز العمل فيها كما في أوربا ناطحات سحاب وإنارة، وتكييف ....، ولكن على أطرافها يبدأ التريف السريع.

وإذا كان هناك ٣٠٠ مدينة في العالم يزيد سكانها على المليون عام ٢٠٠٠، فإن هناك ست مدن آسيوية تعتبر من العشرة الأوائل وكلها في جنوبي وشرقي القارة، ممثلة في طوكيو / يوكاهما، وأوزاكا، كوبي في اليابان، وسول في كوريا، وشنغهاي في الصين، وكلكتا وبمباي في الهند.



	الدولة	العاصمة
١	بنجلاديش	دكا
٢	سوريا	دمشق
٣	لبنان	بيروت
٤	الامارات	ابوظبى
٥	قطر	الدوحة
٦	البحرين	المنامة
٧	الكويت	الكويت
٨	فلسطين	القدس
٩	بروناى	بندرسرى
١٠	الأردن	عمان
١١	كمبوديا	بنوم بنه
١٢	لاوس	فينتيان
١٣	بوتان	تيمفو
١٤	نيبال	كتمندو
١٥	اوزبكستان	طشقند
١٦	طاجيكستان	دوشنابه
١٧	قيرغيزستان	بيشكك
١٨	كوريا الجنوبية	سول

أقاليم أسيا الكبرى

شكل رقم (١٢)

البـــاب الثانـــي

الفصل الأول

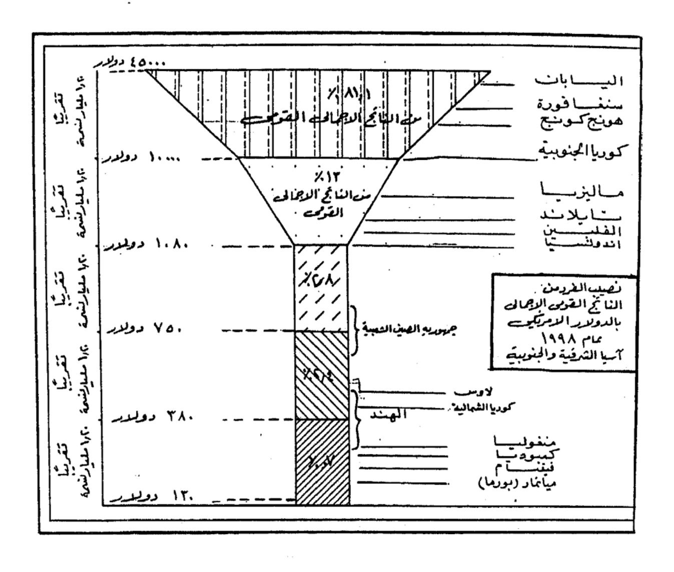
في شخصية آسيا الشرقية : (ارض العمالقة)

آسيا الشرقية إقليم لا يشبهه إقليم آخر، في قلبه أكثر أقطار الأرض سكانا وعلى أطرافه تقع أكثر وأقوي الاقتصاديات نموا، وفي جزره وأشباه جزره وسواحله ظهر تحول اقتصادي عجيب بكل المقاييس أدي إلى تحولات سواء في الريف أو الحضر، في داخله تمتد السلاسل الجبلية والصحاري، وهو مخزن لخامات عديدة لم تكتشف بعد وأحواض أنهاره تنتج غذاء يكفي أكثر من مليار نسمة.

يقع هذا الإقليم بين روسيا الاتحادية في الشمال والأقاليم المزدحمة بالسكان في جنوب وجنوبي شرقي القارة، من صحاري وسط آسيا إلى جزر اليابان وتايوان من ثم كان التنوع البيئي الكبير هو سمة أساسية لهذا الإقليم.

* شهد هذا الإقليم تغيرات في الجغرافية السياسية في جزر كوريل التي كانت تابعة لليابان ولكن روسيا تعض عليها بالنواجذ وكما شهد تقسيم كوريا، وانفصال تايوان، واستيعاب الصين هونج كونج ومكاو والتبت.

• استغل الإنسان كل شئ في الأرض للحصول على الغذاء أو الوقود، أو سلعة صناعية، وكل شئ مستساغ يمكن أن يكون طعاما للإنسان والحيوان(من الكلاب إلى السحالي والحيات) وحتى ما لا يمكن استخدامه كغذاء أو كساء لا يهمل. وإذ يستفاد بفضلات الإنسان والحيوان والمنازل بصفة عامة بعد خلطها وإعادة تدويرها فتصير سمادا للحقول وتغذي المحاصيل، ويبدو أن هناك قاعدة ذهنية لدى السكان أنه إذا ما احتاج الأمر بعمل ساعة أو حتى يوم بأكمله لزيادة الإنتاج ولو قليلا سواء في زراعة أو صناعة، فلابد من القيام بهذا



٤٥٠٠٠ دولار
١٠٠٠٠ دولار
١٠٨٠ دولار
٧٥٠ دولار
٣٨٠ دولار
١٣٠ دولار
٪٨١٫١
من الناتج الإجمالى القومى
٪١٣
من الناتج الإجمالى القومى
٪٢٫٨
٪٢٫٤
٪٠٫٧
اليابان
سنغافورة
هونج كونج
كوريا الجنوبية
ماليزيا
تايلاند
الفلبين
اندونسيا
جمهورية الصين الشعبية
لاوس
كوريا الشمالية
الهند
منغوليا
كمبوديا
فيتنام
ميانمار (بورما)
نصيب الفرد من الناتج القومى الإجمالى بالدولار الامريكى عام ١٩٩٨ آسيا الشرقية والجنوبية

شكل رقم (١٣)

العمل، فلا المطر غزير ولا الحرارة شديدة تؤجل القيام بالواجب المطلوب بفضل تلك القبعة الخوص المتسعة التي تصبح أشبه بمظلة مثبتة على الرأس.

- يتركز السكان في النطاقات الشرقية، وهذا بدوره يعكس أثر الأهمية الجغرافية والتاريخية لأحواض الأنهار الكبرى.
- تعرض الإقليم لضغوط القوي الاستعمارية (غير الأوربية) اليابان، وكذلك القوي الاستعمارية الأوربية.
- فيه تحولات اقتصادية واجتماعية كبيرة من غربي الصين حيث الإسلام إلى تايوان مما يظهر أثره في تحول وتغيير في البيئة الثقافية التقليدية.
- يعد مثلث جاكوتا Jakota (Japan Korea Taiwan) طليعة هذا الإقليم من حيث النمو الاقتصادي الذي قد يكون نموذجا لأجزاء كثيرة من شرقي وجنوبي القارة فمن اليابان إلى تايوان، ومن كوريا الجنوبية إلى هونج كونج تغيرت واجهة آسيا الشرقية الآن كثيرا عما مضى، فهناك ناطحات السحاب في مدن اليابان والسيارات الأمريكية والأوربية إلى جانب اليابانية تجوب الشوارع، والمدن الصناعية، وهناك أيضا هجرة ملايين البشر من الريف إلى الحضر بحثا عن العمل في المشروعات الجديدة والمتجددة.
- إذا ذكرت الصناعة التحويلية في آسيا فلابد وأن يقفز إلى الذهن ذلك الشريط الذي يحف شرق القارة من كوريا الجنوبية إلى سنغافورة والذي جعل تغيير الحلقة الآسيوية الباسفيكية مرادفا لآسيا الصناعية. فهذه الجبهة ترصعها المدن الصناعية سؤل، وبسان (كوريا) وبكين وشنغهاي، وزايمن، وهونج كونج (الصين) فوزو (تايوان) هذا فضلا عن طوكيو، أوزاكا / كوبي ، ناجويا (اليابان) وسنغافورة.

وكانت اليابان هي الرائدة في الهامش الباسفيكي حتى قبل أن يظهر هذا التعبير فقد نجحت في إقامة إقتصاد عملاق له علاقاته الدولية، وكانت الوحيدة لفترة

طويلة في الخمسينيات والستينيات، بينما كانت الصين مازالت في شبة عزلة وكوريا الجنوبية تلعق جراحها بعد حربها ضد الشيوعية (١٩٥٠ ــ ١٩٥٣) وأقامت اليابان مجتمعا يختلف تماما عن مجتمعات آسيا الشرقية، حتى انه ليمكن القول بأنها تستحق أن يكون لها عالمها الخاص بها، ولكن التنمية التي حدثت الآن لهذا الهامش الباسفيكي في طريقها لإزالة هذه الفروقات بين اليابان وجيرانها، فكوريا الجنوبية أصبحت منافسا لليابان في الأسواق العالمية بفضل سلعها التي تنتجها من الإلكترونيات إلى السيارات، وكذلك الحال في الاقتصاد التايواني الذي ازدهر، وفي جنوب شرقي الصين ظهر عملاق اقتصادي في ولاية Guongdong، وقد ساعدت الاستثمارات اليابانية في هذا النطاق الهامشي لا لتقليل الفروقات الاقتصادية فحسب، بل زادت من الارتباط بين اليابان وجيرانها.

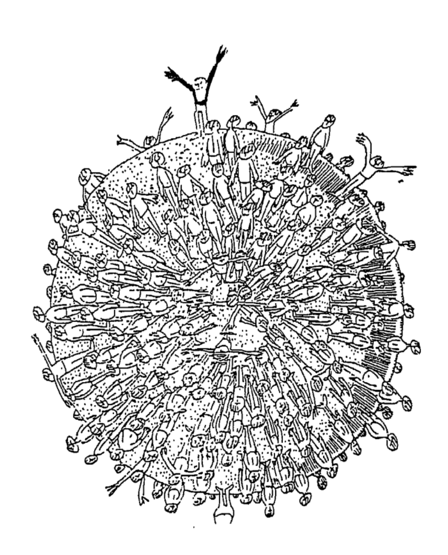
* ومن الصناعات الحديثة للغاية التي تفوقت بها دول الشريط الشرقي الآسيوي الأنظمة الإلكترونية وأجهزة الكمبيوتر والألياف البصرية، وأبحاث أشعة الليزر، وقد يكون هذا أيضا مقدمة لإنتاج الأسلحة المتطورة للغاية، والذخائر والأسلحة الحديثة ذات التوجيه الذاتي، ونظرا لأهمية الدور الذي لعبته مكونات الحرب الإلكترونية في حرب تحرير الكويت، فإن قدرة وإمكانات الإنتاج الأجهزة الإلكترونية المدنية لدي هذه الدول سوف تتيح فرصة جدية للتطور وإنتاج الحربي من هذه الأجهزة.

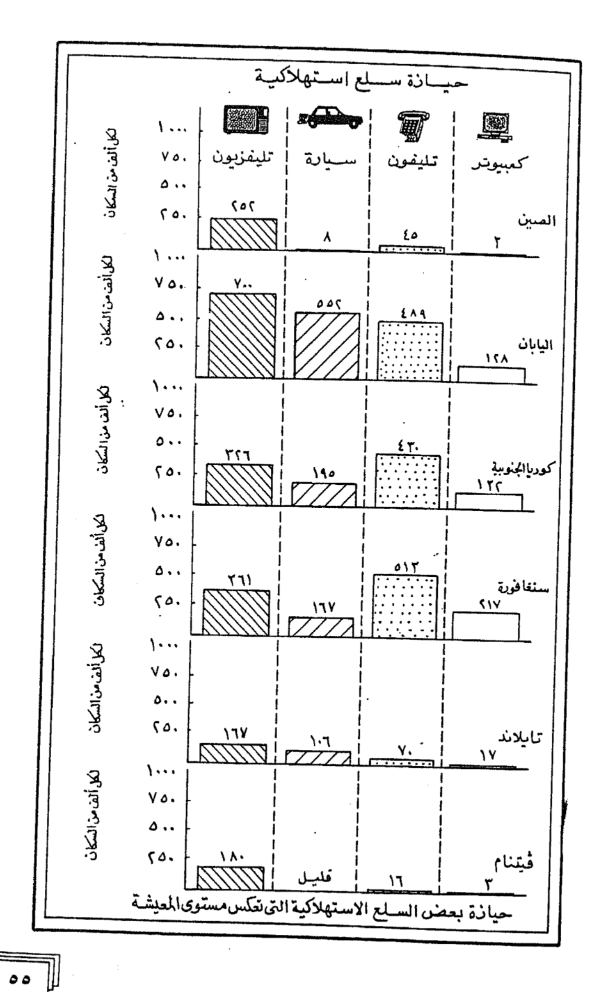
* لا يهم أن الاقتصاد الياباني كان كاسحا في الإقليم في النصف الثاني من القرن العشرين، ولكن ستظل الصين هي عملاق آسيا الشرقية، أحد أقدم الحضارات الإنسانية، فقد كانت منبت الحضارة حين كانت اليابان تعيش في عزلة في ظل جماعات الاينو، وكانت الهجرات الصينية إلى كوريا والجزر وانتقلت مظاهر الحضارة الصينية إلى كل جيرانها البحريين، وهذا واضح في العقيدة وفي الفن المعماري، وكما حاولت الصين التوسع مرارا وتكوين إمبراطورية في الألفية السابقة.

وقد تشهد آسيا الشرقية مولد قوة عالمية في المستقبل نظرا للنمو

الاقتصادي والحربي للصين، وإذا ما تفادت عوامل الانفراط التي شهدها الاتحاد السوفيتي. وإن كان البعض يرجح أن تكون قوة إقليمية لا عالمية أي تمارس نفوذا في الشرق الأقصى.

والسؤال الآن هل سيصبح المحيط الهادي هو المجال الأكثر حركة ونشاطا وتوترا في القرن الحادي والعشرين؟ مثلما كان المحيط الأطلنطي في القرن العشرين، على اعتبار أن المحيط الهادي تشاطئه الولايات المتحدة الأمريكية من جانب، والصين واليابان من الجانب الأخر، فقد انتهت الإمبراطوريات الأوربية، وكذلك النازي الألماني، وانفرط الاتحاد السوفيتي كثاني قوة عالمية، في نفس الوقت الذي صعدت فيه اليابان، وبدأت الصين صعودها السريع؟





حيازة بعض السلع الاستهلاكية التى تعكس مستوى المعيشة

الفصـــــــل الثانـي

الصين (*)

جمهورية الصين الشعبية

حين نفكر في آسيا يتبادر إلى الذهن آسيا الصفراء، عالم المغول والتتـــار، لذلك يذهب البعض إلى القول بأن الصين ليست آسيوية بقدر ما كـــانت آســيا هـــي الصينية !! وتمثل الصين ظاهرة فريدة من الظاهرات الجغرافية، قد توجـــد جـــهات أخرى من العالم أكثر قدما في حضارتها أو في جمالها، ولكن لا توجد جهة في العالم تعيش فيها أعداد ضخمة من السكان مرتبطين بأرضهم هذا الارتباط، فلا يوجد جـزء على سطح الأرض تبلغ فيه العلاقة الوثيقة والوطيدة بين الإنسان والأرض كما فـــي الصين. وإذا كانت بيئة الصين متسعة أفقيا (٩,٥ مليون كم٢) كمساحة الولايـــات المتحدة الأمريكية، ولكنها في أعداد السكان متخمة، وهي أيضا متعمقه رأسيا فـــي التاريخ، يعيش فيها عدد من السكان يزيد على ١,٢٥ مليون نسمة أكثر مـــن عـــدد السكان في أي جهة بنفس المساحة، استغل الإنسان البيئة الطبيعية التي تحت يـــده بكل ما أوتى من حذق ومهارة وما أتاحته له أدواته، من ثم فالحاضر هو نتـــاج إرث طويل، وكان أكبر العوامل أهمية في بيئة الصين، ليس التربـــة ولا المنـــاخ رغـــم أهميتهما، ولكنه الإنسان، ففي كل مكان تجد البشر يعملون، ومن النــــادر أن تجـــد إقليما لم تلعب فيه يد الإنسان دورا في تعديله، لا متعارضا مع البيئة، ولكن بذكـــاء

(*) لفظان دائما يذكران في الكتابات عن الصين هما:

الصين الأصلية China proper يقصد بها أرض الهان الدين يتكلمون لغة المنداري هؤلاء الذيـــن ينتشرون من أقصى الشمال الشرقي إلى الحدود مع فيتنام ومن ساحل المحيط الهادي إلى أطراف التبت، ويمثل الهان القومية الكبرى نسبته ٩٠% من سكان الصين.

الصين الخارجية outer China وتشمل المقاطعات ذات الحكم الذاتي، كما هو الحال في معوليـــا الداخلية وسنكيانج، والتبت أو الغرب الصيني، ويطلقون على سكانها الأقليات من التبت. والـترك أو الثاي أو الكوريين.

وحرفية حتى يحصل منها على أقصى ما تستطيع إنتاجه. حتى لقد قال البعض أن هؤلاء الفلاحين الذين يعملون في الحقول هم جزء من الطبيعة كالتلال نفسها والأودية ذاتها.

غفوة طويلة:

حين دخل الاستعمار في القرن التاسع عشر إليها مستغلا مواردها الطبيعية، وفتح أسواقا جديدة، اشتركت في هذا كل من بريطانيا، وفرنسا، والولايات المتحدة الأمريكية وحتى الألمان واليابان، وعقد المعاهدات التي بموجبها يحق لهذه الدول احتلال بعض الأجزاء الساحلية أو أن يجعل مساحات كبيرة منها أشبه بالمناطق الحرة، كما أن رعايا هذه الدول لا يخضعون لقوانين الصين، بل لدولهم، وأطلق عليها Extra territoriality واتخذ الأجانب أجمل الضواحي في هذه الأجزاء لسكناهم، ووضعوا على مداخلها اليافطات ممنوع على الصينيين أو الكلاب no Chinese or dogs من ثم كانت خبرة الصين بالأجانب مريرة، وكان هذا سببا في قيام ثورات متعددة، أهمها ثورة البوكسر عام ١٩٠٠، وكان الصينيون ينظرون إلى الحضارة الغربية، على أنها ليست لهم، هم غرباء عنها وهي غريبةَ عليهم. نظرا لأنهم يعيشون حضارة وتراث يرجع إلى أربعة آلاف عام خلت. وفي تاريخها تغلبت على المعتدين، وأغلقت عليها بابها أمام العالم الخارجي حتى ليمكن القول أنه منذ ثلاثة عقود تقريبا أي في أوائل السبعينات كان عدد الأجانب في الصين ما لا يزيد على مائة أجنبي، في وقت كان عدد السكان نحو بليون نسمة، بل وحتى الخبراء السوفيت طردوا بعد الخلاف الذي نشأ بين الدولتين.

ويمكن القول بأن حالة السكان ظلت متردية في ظل النظم الإقطاعية، وكان عام ١٩٤٩ يعتبر فيصلا بين عهد قديم يتمثل في الفقر، والمجاعات، والأمراض، والفيضانات، وعهد جديد بدأت فيه النهوض من كبوتها، وخلعت عنها ثياب الفاقة والمرض.

العوامل الجغرافية والعزلة :

وإذا كانت الحضارة الصينية قد سجلت قمما عالية من الإنجازات المادية وغير المادية فهي التي أعطت العالم الحرير والورق، وهي التي اخترعت البارود وبرزت في صناعة الخزف والفن، وعرفت الحكمة والفلسفة مما بهر رحالة العصور الوسطي، وامتد دورها في محيط كامل من شبة جزيرة الصين الهندية إلى اليابان. بل ووصل تأثيرها إلى وسط آسيا. فإن الحضارة الصينية بعد أن بلغت ذروتها جمدت وتوقفت، وأصبحت ماضيا، دخل به عملاق الصين النائم فترة بيانه الشتوي التي لم يفق منها إلا أخيرا، ويرجع هذا إلى العزلة الجغرافية: معزولة بالصحاري، والهضاب، والجبال في الداخل، وبالمحيط الأعظم من ناحية البحر، ويكفي للدلالة على هذه العزلة الطبيعية الصارمة أن نعرف أن هناك ٩٠٠٠ نوع من النبات في العالم، تنفرد الصين بنصف هذا العدد وحدها، بل ويكفي تلك العبارة البالغة التي تدل على أنها في نهاية الأرض " إطلبوا العلم ولا في الصين " ثم أن البيئة البشرية المجاورة بدورها كانت أقل منها في مستواها الحضاري : جماعات من الرعاة التتار ليس لديهم ما يضيفون إلى حضارة الصين، من ثم قد يكونوا قد أخذوا منها، ولكنهم لم يعطوها شيئا، من ثم لم يكن أمام الصين شئ تجدد به نفسها.

فالخريطة الفريوغرافية لآسيا الشرقية، توضح هذا، فالشمال الصيني يتألف من سلاسل جبلية وعرة مع حدودها مع روسيا الاتحادية. وصحراء جوبي، وفي الشمال الغربي في سنكيانج تنفتح السلاسل الجبلية، ولكن حين تنفتح تواجه استبس القرغيز (شبه الجافة)، وإلى الغرب والجنوب الغربي جبال تيان شان والبامير سقف العالم، أي سلاسل جبلية تغطي قممها الثلوج لجزء كبير من العام، وكأنها حوائط عالية ترتفع آلاف الأمتار، وفي الجنوب بعد احتلال الصين للتبت نجد حائط الهمالايا، وهو لا بين الصين وجيرانها في هذا الاتجاه بل الفاصل الفريوغرافي بين عالم آسيا الشرقية، وعالم جنوب آسيا.

ويمكن تلخيص ما سبق في أن الخريطة الفزيوغرافية للصين تعطي صورة أراضي جبلية وصحاري، وغابات كلها في حصن كبير.

وهناك عامل المسافة، فمازالت الصين حتى اليوم بعيدة عن منابع التحديث الصناعي، حقا لعد تعاملت الصين مع اليابان وكوريا وتايوان وأجزاء من جنوب شرقي القارة، بل وملايين الصينيين هاجروا إلى تلك البلاد، ولكن هذا كله لا يقارن بأثر العرب الذين جابوا مساحات واسعة، وقطعوا مسافات طوال ناشرين المعرفة والعقيدة، بل والتأثير السياسي من أوربا البحر المتوسط إلى بنجلاديش، ومن أفريقية العربية إلى إندونيسيا والفلبين، وحينما أصبحت أوربا هي مركز التغير في العالم، وجدت الصين نفسها بعيدة برا وبحرا أكثر من أي جزء آخر في العالم. ومازالت رغم وسائل المواصلات الحديثة ــ بعيدة، فالذهاب بالقطار من بكين إلى موسكو، جار الصين الأوربي، رحلة صعبة تستغرق عدة أيام، والطرق البرية المباشرة إلى الهند معدومة، وكذلك حال الطرق مع دول جنوب شرقي آسيا صعبة.

ويبدو هذا أكثر فيما يختص بالعلاقات المكانية مع دول الهامش الآسيوي، أي دول المحيط الهادي، وأن كانت العلاقات السياسية مازالت من العوائق، فعلاقات الصين مع كوريا الشمالية أصابها الوهن لاعتقاد النظام في كوريا الشمالية أن الصين حادت عن الطريق الصحيح (الاصلاحات الاقتصادية) وإن كانت العلاقات مع كوريا الجنوبية قد ازدادت توثقا بعد طول انقطاع، كما تغلغل رجال الأعمال والاستثمارات اليابانية فيها، ولأول مرة في تاريخ الصين، لم تعد الصين قريبة من أكثر الدول تقنية، وقوة مالية فحسب، بل أيضا فتحت أبوابها لمشروعاتهم، وفتحت أذهانها لأفكارهم.

الانفتاح على الخارج :

تحول الأمر ووجد حكام الصين في العقدين الأخيرين أن في الانفتاح عن العالم الخارجي سيكون مفيدا، وكانت زيارة الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون عام ١٩٧٢ بداية ففتح الأبواب، ومن ذلك التاريخ فتحت الصين أبوابها المغلقة أمام السائحين، والمستثمرين والخبراء، ورجال الأعمال.

اتخذت الصين منذ عام ١٩٧٨ سياسة " اقتصاد السوق الاشتراكي أو اشتراكية ذات خصائص صينية " وبدأوا سياسة إقامة مناطق اقتصادية خاصة في

مناطق مختارة من الصين، حتى أصبح عددها الآن نحو ٢٠ منطقة، وتختلف إدارة هذه المناطق عن إدارة بقية الصين، في منح القائمين عليها سلطات وصلاحيات إدارية واقتصادية واسعة وللسماح لها بإدارة اقتصادها دون تدخل الدولة. واستخدام آليات إدارية جديدة بعيدة عن نمط الإدارة الاشتراكية والتخطيط المركزي الذي عرف به النظام الشيوعي، ويرون أن الفكرة هي البدء بالإصلاح الاقتصادي في مناطق ومدن مختارة حيث ترمي الدولة بكل ثقلها الاقتصادي خلفها وبفتحها للاستثمار المحلي والأجنبي بتسهيلات مغرية، بغرض تحويلها إلى بؤر اقتصادية وصناعية تدفع بحركة الصادرات إلى الأمام، على أن تقوم هذه المناطق بعد غناها بمساعدة المناطق الداخلية حتى يتم في عقود قليلة النهوض بكل الصين، وقد نجحت فعلا هذه المراكز الاقتصادية الجديدة، ودبت فيها الحيوية الاقتصادية.

القوة الاقتصادية :

أصبحت القوة الاقتصادية للصين واقعا عالميا يظهر عبر صادرات تزداد سنويا بنحو ١١%، وتنتج فائضا تجاريا مع الولايات المتحدة الأمريكية وقدرة ٤٠ مليار دولار عام ١٩٩٥، ويرتكز هذا الفائض على إنتاج جيد ومتنوع خاصة في السلع الاستهلاكية، وعلى معدل أجر منخفض قدرة ١٠٠ دولار شهريا، مما يسمح بزيادة صادرات الصين مستقبلا وخاصة في قطاع الإلكترونيات والسيارات والآلات وأجهزة الاتصالات والطائرات. فسوق الصين سوقا ضخمة تجذب الاستثمارات الأوربية، فضلا عن أن المنتجات الصينية الرخيصة تغزو أسواق العالم.

والحقيقة تشهد الصين تحولا في خريطتها الاجتماعية وواقعها الاقتصادي، وبفضل السياسة، انتقل ما يقرب من ١٥٠ ــ ٢٠٠ مليون صيني (نصف سكان أوربا تقريبا) من دائرة الفقر المدقع، وتضاعف ثلاث مرات متوسط الدخل الفردي لما يقرب من ثلاثة أرباع سكان الصين، وازداد دخل سكان المدن بوجه خاص مع نمو الاقتصاد سنويا بمعدل ٨% على مدي الخمس عشر سنة، وبحيث تعتبر الصين الآن واحدة من أكبر عشر اقتصادات عالمية، وبفضل هذا التحول لم تلحق الصين بالمجتمع العالمي فحسب، بل شهدت انفتاحا غير مسبوق وباستمرار هذا الاتجاه

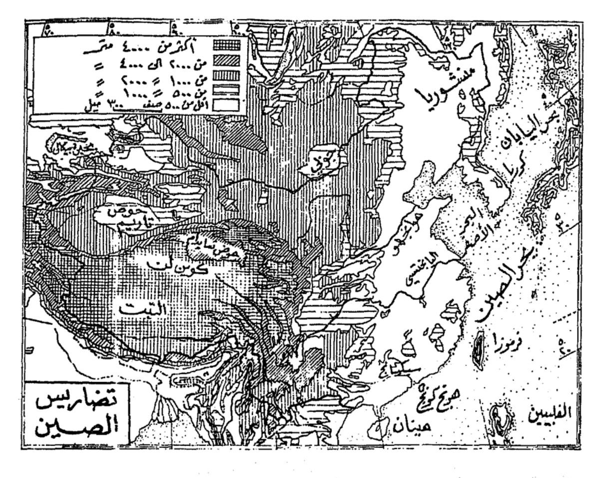
أصبح الرأسماليون الصينيون والمستثمرون الأجانب يديرون اكثر من ربع الناتج المحلي، كما جذبت الصين أكثر من ٤٠ مليار دولار من الخارج، وأصبحت الصين قوة منيعة في التجارة الخارجية، وقوة تصديرية تحتل المركز الحادي عشر في التجارة الدولية.

فزيوغرافيا :

تحتل هضبة التبت جزءا كبيرا من مرتفعات غربي الصين، وهي هضبة ضخمة يربو ارتفاعها على الثلاثة آلاف متر، وتمتد منها السلاسل الجبلية نحو الجنوب الشرقي والشرق إلى الصين (الهيمالايا)، وتمتد صحراء تاريم إلى الشمال من التبت، وهي حوض منخفض شديد الجفاف جنوبي سنكيانج، يحده شمالا سلاسل تيان شان، وإلى الشمال الشرقي من حوض تاريم تمتد سهوب زونجاريا في شمال سنيكانج ومنغوليا الداخلية والخارجية. ويمثل سور الصين العظيم الذي يفصل منغوليا الداخلية عن الصين الأصلية فاصلا مناخيا إلى جانب كونه حدا سياسيا قديما ذلك أنه إلى الجنوب والشرق من هذا السور يسقط قدر مناسب من المطر كاف لقيام الزراعة، بينما لا تسقط نفس الكمية في منغوليا الداخلية، فضلا عن أنها اكثر ذبذبة.

وتتكون منشوريا في الشمال الشرقي من سهول متموجة جيدة الصرف تمتد لمسافة ١٠ آلاف كم من الشمال إلى الجنوب، بينما تتراوح بين ٥٠ ، ١٥٠ كم من الشرق إلى الغرب، وتحيطها الأراضي الوعرة في معظم جهاتها. وتحيط المرتفعات بجنوبي منشوريا على هيئة سلاسل جبلية وتلال، كامتداد لهضبة التبت ولكنها بتقدمها نحو الشرق يقل ارتفاعها وتنقسم إلى سلاسل فرعية.

ويغلب الارتفاع على سطح الصين الجنوبية أيضا، ولا تظهر الأراضي المنبسطة في الصين إلا في مساحات محدودة. وتنبع ثلاثة أنهار من الغرب متجهة نحو الشرق وهي الهوانجو (الأصفر) من الشمال واليانجستي في الوسط، وسيكيانج من الغرب في الجنوب، وتكون هذه الأنهار سهولا فيضية في مجاريها الدنيا، ولعل أكثرها اتساعا هو سهل الصين الشمالي الذي تبلغ مساحته نحو ثلاثة أرباع مليون كم٢.



شكل رقم (١٥)

ولعامل التضاريس أثره لا في السكان ولا في اقتصادها بل أيضا في جغرافية الصين السياسية كما هو الحال في بقية أنحاء العالم. وذلك لأثره على توزيع السكان وطرق النقل، فهناك بعض المناطق الزراعية التي تبلغ كثافة سكانها ألفي نسمة في كل كم٢، والتي تدل على الاستغلال الزراعي الكثيف، بينما وجدت جيوب المقاومة والثورات المحلية في التلال والجبال مكانا لها ومستقرا، من ثم كانت العوامل التي تضعف في كيان البلاد، وتصعب عمليات التوحيد السياسي.

الصينيون

أبرز حقيقة عن الصين سكانها، فالصين هي سكان قبل أن تكون شيئا آخر. اقوى قوة ديموغرافية في العالم.

البناء الاجتماعي :

ويتكون ٩٤% من الوطنيين أو الهان Han، وهذا التعبير يقصد به الهان الشماليين Hanjen، والتانج جن Tang Jen أو اهالي كانتون، ويوجد معظمهم في الصين الأصلية وفي الشمال الشرقي أي في منشوريا، وان كان توزيعهم غير متساوي، حيث يتركزون بكثافة عالية في الأودية النهرية والسهول الخصبة، كالسهل الشمالي الصيني والحوض الأحمر، وحوض اليانجستي الأوسط، وسيكيانج الأدنى بحيث تصل الكثافة في المناطق الريفية إلى ٢٥٠٠ نسمة في كل كم٢، وهذه أكبر كتلة متجانسة في الصين، في أفكارها وتقاليدها وثقافتها، ورغم تعدد اللهجات بين الأقاليم المختلفة بحيث تفهم لهجة إقليم في إقليم آخر، إلا أن اللغة المكتوبة مفهومه للجميع، وباستثناء الهوي Hui المسلمين الذين يعيشون في إقليم كانسو ويبلغون نحو ٥ مليون نسمة، فلا توجد أقليات دينية في الصين.

أما الاقليات الصينية فهي القبائل التي قاومت زحف الهان أثناء تقدمهم جنوبا، لذلك اضطرت إلى الالتجاء إلى المناطق الجبلية المنعزلة، لازالت هذه القبائل محتفظة بشخصيتها وفرديتها من القرون الماضية حتى وقتنا الحاضر، وقد سجلت على أنها اقليات قومية National Minorities، وهي تؤلف نحو ٦% من السكان. ومن بين الاقليات الصينية سكان التبت، والمغول، والكوريين، ونظرا لقلة عددهم بالنسبة للمحيط الصيني الكبير، فلا يمثلون مشكلة سياسية.

سياسة الطفل الواحد One Child Policy

ذكرنا أن علم ١٩٤٩ كان الفيصل بين عهدين، العهد الإقطاعي القديم حيث الفقر والأمراض والمجاعات والفيضانات والأمراض التي كانت تفتك بالسكان بدون أي مساعدة من الدولة، وكانت السلطة والثروة في أيدي الإقطاعيين، وكانت الأطفال

تباع، والبنات تشتري، وحتى بعد وصول الأوربيين ازداد الأمر سوءا، ازدادت المجاعات والعشوائيات بالنسبة للسكان المهاجرين إلى المدن ذلك عهد فرق بينه وبين عهد ما بعد عام ١٩٤٩ حين هاجم هذا النظام الضعف الصيني من جميع الجهات، واستفاد من كل القوي المنتجة المتاحة، صودرت الأراضي من الإقطاعيين. أنشئت المزارع الجماعية، بنيت السدود والقناطر، خف خطر المجاعات، وتحسنت الأحوال الصحية، ولكن نظام ماوتسي تونج عارض فكرة تحديد النسل مع انخفاض نسب الوفيات، أصبح هناك انفجار سكاني في عهده وبدأت سياسة الحد من الزيادة السكانية بعد وفاته عام ١٩٧٦ باتخاذ سياسة الطفل الواحد للأسرة، واتخاذ كافة الإجراءات، ومنها العنيفة كالإجهاض وذلك للابقاء على هذه السياسة وصدرت العقوبات على العائلات التي يزداد أطفالها على أكثر من واحد، منها الحرمان من مزايا ضريبية وفرص تعليمه، وإسكان.

وإذا كان هذا البرنامج قد لاقي قبولا، فمع ذلك كانت له سلبياته، فقد تعددت حالات الإجهاض، ومنها وأد البنات لأن الأسرة تريد طفلا ذكرا أو إخفاء الطفل الثاني أو الثالث، وذلك بإرساله إلى الأقارب في الريف، ولكن إذا ما اكتشف أعضاء الحزب هذا، يمكن أحيانا إحراق مساكن الأبوين، وأن كان بدأ تخفيف حدة الموضوع بعد أن ذاع في العالم خبر هذه العقوبات. وأجريت عمليات تعقيم لنحو ٢٠ مليون نسمة ذكورا وإناثا في الثمانينيات. على أن هناك استثناءات محدودة فيما يخص سياسة الطفل الواحد، فالمزارع الذي يولد له بنت يسمح له بإنجاب طفل آخر بعد ٤ سنوات، وبعض المزارعين يتحملون الغرامة المفروضة لمخالفة القانون، كما يسمح القانون أيضا لصيادي الأسماك وبعض المزارعين بالطفل الثاني لحاجة العمل، وبعد أن تقدم الأسرة الريفية طلب تصريح بطفل ثاني إذا كان الطفل الأول أنثي، هذا ولا يسرى هذا القانون على مناطق الاقليات كالتبت، سنكيانج.

وبدأت الصين تشهد تغيرات خطيرة في معدلات الوفيات نتيجة التقدم الطبي في الربع قرن الأخير. وقد ظهر من الأبحاث التي أجريت في الصين للفترة بين ١٩٣٣، ١٩٣٦، أن معدل المواليد كان ٤٠ في الألف، ومعدل الوفيات ٢٧ في

الألف، أي أن الزيادة الطبيعية كانت ١٣ في الألف. وقد انخفضت نسبة المواليد إلى ١٨ في الألف والوفيات إلى ٦ في الألف، أي أن الزيادة السنوية هبطت إلى ١٢ في اللف عام ١٩٩٧.

على العموم إذا افترضنا أن الزيادة السكانية تستمر على ١٢ في الألف سنويا فمعناه أن الصين تزيد سنويا بنحو ١٥ مليون نسمة أو أن هناك زيادة سنوية قدرها ١٠٠ مليون نسمة كل ست أو سبع سنوات.

ومن الملاحظات التي تدل على نجاح سياسة تحديد النسل أيضا أن نسبة من هم دون الخمسة عشر عاما تبلغ ٢٧% فقط، أي أن القاعدة ليست عريضة، كذلك زيادة الذكور على الإناث، إذ يزيد عدد الأطفال الذكور على الإناث بنحو ٣٠٠ ألف طفل سنويا.

الكنفوشيوسيه

• بينما كانت تعاليم البوذية تنتشر في الهند، كانت هناك ثورة دينية من نوع آخر في الصين (كنفوشيوس ٥٥١ ــ ٤٧٩ ق م) وقد أضفى كونفوشيوس واتباعه طابعهم على الحضارة الصينية بقوة وفي كل المجالات الفلسفية، والإدارة الحكومية، التعليم لمدة تقرب من ٢٠ قرنا، فقد واجه كنفوشيوس، الديانات التقليدية في الصين والتي كانت تتضمن الاعتقاد في وجود الأرواح، وعبادة الاسلاف. وطقوس القرابين. وقال أن المعنى الحقيقي للحياة هو الآن وليس في المستقبل، وان أداء خدمة للفرد خير من تقديمها للأرواح، وكانت الفلسفة الصينية بدورها قد تعرضت لتأثير مدرسة أخرى وهي التاوية.

• وإذا تحدثنا عن الكنفوشيوسية كديانة، فهي ليست كذلك، بل تعاليم، وهى ليست تعاليم دينية على سبيل الحصر. رغم أنها تتعلق بأمور كثيرة مما ننظر إليه نحن على أنه يخص الدين.

فالإنسان المهذب هو الخير إلى أقصى حد، وبأوسع معنى للكلمة، منعدم الأنانية يحترم الآخرين، ولاؤه للأسرة وللأمير. وكان يهتم بالأخلاق الشخصية والاجتماعية، لأن هذا هو الطريق إلى الإنسان المهذب الحقيقي، لا يهتم كثيرا بعالم الأرواح أو ما فوق الطبيعة، يهتم بالحاضر لا باليقين حين يقول كيف يمكنك أن تخدم الأرواح خدمة صحيحة قبل أن تؤدي هذه الخدمة إلى الأحياء من البشر؟ أن خدمة الإله تصبح لا معني لها إذا أهملت خدمة الإنسان،ولاء الأبناء عنده لا للآباء الموتى والاسلاف بتقديم الطعام والقرابين، بل للوالدين أثناء حياتهما، ومن هنا كان احترام الابن لأبيه عند معظم الصينيين يظهر فى التطبيق العملي، فكانت عبقريته في قلب كثير من مفردات الديانات البدائية. وحولت تلك الديانات إلى نظام أخلاقي ظل يؤثر في الصين لألفين من السنين.

• ورغم أن الحكومة الشيوعية هاجمت أفكاره وتعاليمه بشدة منذ عام ١٩٤٩، ولكن ثبت أنه لا يمكن محو ٢٠ قرنا من ثقافة وتقاليد وطريقة حياه في بضعة عقود.

السكان والأرض :

من خريطة توزيع السكان تظهر العلاقة المستمرة بين الظروف الطبيعية وسكانها، في الدول المتقدمة وجدنا أن علاقة السكان بالأرض الزراعية قد وهنت

واتجه الناس إلى الحواضر آملين في دخل أكبر، وهذا معناه إخلاء الريف من سكانه الذين كانوا في وقت ما سبب ازدحامه، ولكن الصين مازالت بعيدة عن هذه المرحلة، وإن كان هذا لا ينفي أن هناك مدنا كبيرة وكثيرة، ولكنها كالهند تماما ٧٠% من سكانها مازالوا ريفيين يعيشون على الأرض ذاتها، ومن ثم تظهر خريطة توزيع السكان أهمية وإنتاجية أحواض الأنهار والسهول الصينية.



- طفلان بالملابس الوطنية.

وتدل الخريطة على أن الصينيين استطاعوا التغلب كثيرا على صعوبات البيئة، يتمثل في تصنيع شمال شرقي الصين، مشروعات الري في منغوليا الداخلية، واستخراج البترول من سنكيانج، مما أدي إلى هجرة ملايين الصينيين إلى هذه الأقاليم الخارجية، حتى أنهم الآن فاقوا السكان الأصليين عددا ومع ذلك فالفزيوغرافية والديموغرافية مازالا مرتبطان بعضهما ببعض، فنجد أحيانا الازدحام السكاني مرتبط بالأودية النهرية هذا واضح مثلا في الشريطين اللذين يمتدان مع نهري سونجهوا، ولياو في الشمال الشرقي، وفي حوض سشوان (الأحمر) يانجستي الأوسط، حيث توجد دائرة مزدحمة بالسكان.

أقاليم الكثافة السكانية المرتفعة :

وأخيرا لبيان أهمية أودية الأنهار يمكن أن نقول أن ثلاثة أرباع سكان الصين يتجمعون في : ـ

١ ـ سهول نهري لياو / سنجهوا في الشمال الشرقي.

٢ ـ الجزء الأدني من حوض نهر هوانجهو (النهر الأصفر) والمعروف بسهول الصين الشمالية.

٣ ـ الحوض الأوسط والأدنى لنهر يانجستي (*).

٤ ـ حوض نهر سيكانج في الجنوب.

٥ ـ السواحل الجنوبية الشرقية.

وأن كنا من المهم الإشارة إلى أنه ليس كل من يعيش في هذه الأحواض النهرية هم فلاحون، فمدن الصين الكبرى نشأت في هذه الأحواض أيضا، من المراكز الصناعية في أقصى الشمال الشرقي إلى الهامش الباسفيكي، فالجنوب.

(*) من قصيدة الشاعر الصيني من الحادي عشر :

ـ أعيش عند المنبع.
ـ من نهر يانجستي
ـ وتعيش أنت عند المصب
ـ يالها من مسافة طويلة، طويلة
ـ كم أتوق لرؤيتك، ولكن لا أستطيع
ـ وإن كنت كل يوم افتقدك
ـ لكن كلانا كل يوم يشرب من النهر
ـ من مياه نفس النهر!

وفي الحق أن أنهار الصين الكبرى وروافدها هي أقطاب الجـــذب البشـــري - بامتياز (ماء وتربة) والهوانجهو بحجمه وضخامة حوضه، يشير فورا إلي تربـــة اللويس الشهيرة التي تغطي شمال غرب الصين، وتغطي السهل الأصفر (في أدنـــاه لونه أصفر)، وهذه التربة خصبة جلبتها الرياح من داخل القارة.

ويأتي اليانجستي أطول انهار الصين، وحوضه الذي لا يعتبر مـــن أغنـــي مناطق الصين فحسب، بل وفيه العاصمة القديمة، نانكين، وشـــنغهاي أكـــبر المـــدن الصينية ألان.

وكذلك يعتبر سنيكيانج هو قطب الجذب البشري والاقتصادي فـــي جنوبـــي الصين، وينفصل حوضه عن اليانجستي بواسطة هضبة جنوبي الصين المرتفعة.

وتزداد أهمية هذه الأنهار في الجذب البشري إذا علمنا أنها ورافدها تتقارب أحيانا، ونظرا لصلاحية معظمها للملاحة، فقد شقت فيها القنوات رابطة بينها كما هو الحال في القناة العظمي التي تصل الهوانجهو واليانجستي. ولفـــرط اســـتخدام هـــذه الأنهار في الملاحة يطلقون على الطرق البرية الطرق الجافة!

الحضرية في الصين :

تمر الصين خلال مرحلة تحول حضري لم يشهد تاريخها مثيلا لها من قبل، فهناك ٣٠% من سكان الصين يعيشون في المدن ويقدران هذه النسبة ستزداد فـــي المستقبل غير البعيد لتبلغ نحو ٥٠%. وقد عملت حكومة الصين محاولات للحد مـــن التدفق من الريف إلى الحضر وخاصة المدن الكبيرة كشنغهاي وبكين وكانتون وذلـــك باتباع وسيلتين، الأولي وهي تشجيع نمو المدن الصغيرة والمتوسطة الحجم والثانية وهي بطاقة " الهوكو "، وهي بطاقة يحصل عليها المواطن الذي يريد الـــهجرة إلـــى أماكن أخرى في الصين، وتصرف له من موطنه الأصلي وتمنحه حق الحصول فـــي الموطن الجديد على تصاريح تموين الأرز واللحم والثياب القطنية، ومع ذلك فـــهناك ملايين المهاجرين الذين يعيشون في المدن بدون " هوكو "، والحياة بالنسبة لـــهؤلاء تعتبر شاقة، وفي بعض الأحيان يسكنون في مخيمات تقرها البلديات.

وتأتي شنغهاي على رأس المدن المليونية في الصين والتي تبلغ ١٤ مدينة، ذلك أن عدد سكان شنغهاي يزيد على ١٦ مليون نسمة، من كبرى المراكز الصناعية في العالم، خاصة في صناعة الصلب، والصناعات الميكانيكية التي تنتج الآلات للمصانع، وكيماويات بترولية، وبناء سفن، وطائرات، ومنسوجات، والإلكترونيات. هذا ويشمل تجمع شنغهاي، شنغهاي المدينة، وسبع مدن صناعية تابعة، وبضع بلدان صغيرة مجاورة.

تأتى بكين العاصمة بسكان يبلغون نحو ١٣ مليون نسمة، وهونج كونج ٦ مليون نسمة من ثم لا توجد نواة سكانية واحدة في الصين، وإنما عدة نوايات هكذا تصبح متوسط الكثافة في هذه الأجزاء ما يزيد قليلا على الألف نسمة للكم٢. ولكن ترتفع في بعض الأحيان إلى الألفي نسمة، على حين أن في غربي الصين حيث الكتل الجبلية الوعرة والشديدة البرودة، والجفاف تنخفض الكثافة إلى أقل من ٢٥ نسمة للكم٢، بل وقد تصل إلى نسمة أو أقل كما في هضبة التبت وسنكيانج.

وفي الحق لا يمكن للمسافر في الصين الا أن يلحظ ضغط السكان على الأراضي الزراعية، وحتى في الجهات البعيدة في الداخل، والتي قد يقطع المسافر فيها كيلو مترات عديدة دون أن يظهر فيها مسكن واحد، يشتد التزاحم بمجرد ظهور الأرض الصالحة للزراعة. وقد دفعت المجاعات والغزوات وعدم الاستقرار السياسي ـ دفعت الصينيين في كل ركن يحسون أنه قد يقيم أود الحياة من ثم لا توجد أراضي خصبة لم تستغل بعد حتى في الجهات الداخلية البعيدة.

غير أنه لا يمكن ذكر سكان الصين في الداخل، وإغفال المغتربين لما لهم من أثر في النشاط الاقتصادي خارج الصين وداخله وكذلك أثارهم السياسية في البلاد المضيفة.

شبكة المغتربين الصينيين :

إذا كانت شبكة الإنترنت هي الأكبر شهرة في مجال المعلومات، فإن شبكة المغتربين الصينيين هي الأقوى في مجال الأعمال، وتتكون الجالية المغتربة من نحو

٥٧ مليون صيني منتشرين في ٦٠ دولة حول العالم، معظمهم يتمتع بتعليم راقي، وكون ثروات طائلة، إذ تقدر أصولهم بحوالي بنحو ٤٥٠ مليار دولار، وفي آسيا وحدها تضم الشبكة الصينية التي احتفظت بالقيم الكونفوشوسية ٥٢ مليون صيني، تربطهم روابط متعددة الأشكال.

ورغم أن غالبيتهم اكتسبت جنسية الدولة التي نزلوا فيها، فإنهم ابتعدوا عن السياسة تماما، حيث علمهم التاريخ الصيني أن الثروة تصبح غير أمنة عندما تمتزج بطموح السياسة، وتتمثل قوة هذه الشبكة أيضا في استثماراتها داخل آسيا، فهي تشكل ٨٠% من الاستثمارات الأجنبية في الصين، وتمثل شركاتهم ٨٠% من الشركات المقيدة في البورصة في سنغافورة، ٨٣% من شركات إندونيسيا، بل إن الجالية الصينية في الفلبين لا تمثل سوي ٣% من السكان، ومع ذلك فهي مسيطرة على ٦٠% من الاقتصاد الفلبيني، أما في ماليزيا فهي تكون ٣٠% من السكان، ويسيطرون على أكثر من ٥٠% اقتصادها.

الصين مهد للزراعة

كانت الصين مهدا لحضارة زراعية منذ أربعين قرنا وكان السكان يستغلون الأرض الزراعية بنفس الطريقة التي يزرعون بها في القرن العشرين، ويحصلون منها على محصولين أو أكثر في العام.

خصائص الزراعة الصينية والعوامل المؤثرة :

- يختلف المظهر الزراعي للصين من مكان إلى مكان، فتختلف زراعة الواحات في سينكيانج عن زراعة الأودية الجبلية في التبت، عن زراعة الأقاليم الساحلية الرطبة، ورغم هذا فتشترك الأرض الزراعية في الصين بأنها تزرع زراعة كثيفة، ذلك أن متوسط كثافة السكان في الأرض الزراعية هي ٢٠٠٠ نسمة للكم٢، بينما تبلغ ٣٠٠٠ نسمة في بعض المواضع الأخرى.
- تمد الحبوب الصينيين بنحو ٩٠% من غذائهم، بينما لا تمثل اللحوم والفاكهة والخضروات إلا قدرا ضئيلا من هذا الغذاء.

- تتميز المزرعة الصينية بصغر المساحة بمتوسط يـتراوح بيـن ٣،٢ فدان وبالتالي فهي زراعة كثيفة، وتعطي المزرعـة الصينيـة إنتاجـا وفيرا للفدان نتيجة للجهود البشرية الكبيرة التي تبذل فيها.
- تعتمد نصف الأراضي المزروعة على الري، ومعظم هـذه الأراضـي المروية مزروعة أرزا. وتزرع الصين العديد من الغلات الأخرى، ولكن ما يميزها عن جهات أخرى هو عدم التنوع الكبير للغلات الزراعيـة. ويأتي الأرز والقمح على رأس الحبوب. والقطـن كالخامـة الأولـي للمنسوجات، وهناك مجموعة أخرى من الغلات الغذائية كفول الصويـا والذرة الرفيعة والذرة العريضة والشعير والبطاطا والفول السـوداني، ومن الزراعات البارزة أيضا الأفيون، والتوت بتغذية دورة القز عليـه، هذا فضلا عن الشاي والطباق.

المناخ والزراعة :

يعكس مناخ الصين أثر الموقع الجغرافي في أقصى شرقي اكبر كتلـة مـن اليابس، فتهب الموسمية الصيفية حاملة بخار الماء من الجنوب الشرقي، بينما تـهب الرياح القارية بقية العام. وتسقط أمطار كافية للزراعة على شرقي الصين بما فيــه منشوريا، بينما يعاني وسط وغربي الصين ومعظم التبت وسنكيانج ومغوليا الداخلية إلى جانب وعورة السطح، الجفاف فيقل المطر عن ٥ سم والمناخ الشديد الـبرودة، مما يؤدي إلى تحديد المساحات الزراعية.

وتتميز الصين الجنوبية بمناخها شبه المداري وبأنـها أرض الأرز، فضـلا عن الشاي، والحرير، كمنتجات ثانوية، كما أن المزارعين هنا أكـثر انتعاشـا مـن رفاقهم في الشمال، ويتميز الجنوب أيضا بقيام حرفة الصيد البحري على نطاق كبير، فضلا عن اتصالاته الخارجية الواسعة، ذلك أن معظم مهاجرى الصين من ذلك القسم من البلاد.

وتتميز الصين الشمالية بمناخها المنخفض الحرارة وبإنتاجها للقمح والـذرة الرفيعة والحبوب الأخرى، فضلا عن القطن والدخان، كمـا أن ظـاهرة الفيضانـات

الطارئة أكثر حدوثا هنا عنها في الجنوب، وبينما يتجه جنوبي الصين نحو البحر، يتجه شمالي الصين نحو اليابس.

على أن هذه البساطة التي عرضنا بها الظروف الطبيعية، لا ينبغي أن تنسينا ذلك التنوع الهائل، وتلك الاختلافات المحلية، كما في حوض اليانجستي في وسط الصين، وسهول منشوريا في الشمال الشرقي، والمرتفعات الجنوبية والجنوبية الشرقية، ففي هذه الدولة التي تتسع مساحاتها لتبلغ ٩,٥ مليون كم٢، نجد أن عوامل السطح، والتربة تؤثر في الإنتاج الزراعي، وأن كان عامل المناخ هو العامل الأكثر ضبطا للزراعة خاصة من حيث أنواع المحاصيل. فهي من محاصيل المنطقة المدارية إلى المنطقة المعتدلة الباردة في الشمال، والمنطقة القارية الجافة في وسط (غربي الصين).

المحاصيل الزراعية :

تزرع الصين محصول الأرز وهو بطبيعة الحال من أهم الغلات الزراعية في الصين بل في آسيا الموسمية بأسرها، حيث أنه يحتاج إلى درجات عالية من الحرارة ومياه وفيرة سواء من المطر أو من الري وهكذا فالأرز في الصين يتركز في المناطق التي يزيد فيها المطر على ١٠٠ سم في السنة. أما في شمال الصين حيث يقل المطر عن ١٠٠ سم فإن القمح والشعير أو الدخن يأخذ مكان الأرز، ومن الضروري أن ترتفع الحرارة ارتفاعاً عظيماً في فصل النمو فإذا طال فصل الحرارة والأمطار تمكن الصيني من زراعة المحصول مرتين وربما ثلاث مرات كما هو الحال في جنوب الصين حيث يزرع أرز السهول في إقليم يكاد سطحه يكون تام الاستواء ويميل ميلا بسيطا جداً بحيث لا تنصرف المياه عنه بسرعة.

ويمثل وسط الصين زراعة أرز الأحواض أحسن تمثيل، ففي بادئ الأمر تعد الحقول، والقنوات والمصارف، ويسوي السطح وتبذر الحبوب في أحواض ذات تربة مخصبة تخصيبا جيداً بالسماد، وتكون هذه البذور من الكثرة بحيث تكاد تغطي التربة تماماً. ثم تغرس قليلا في التربة وكثيراً ما يحدث أن تغطي الأحواض في المساء

بماء معطن يصرف في صباح اليوم التالي لكي يتخلل التربة ضوء الشمس والهواء النقي.

وبعد حوالي شهر تغرس شتلات الأرز الصغيرة في حقول أوسع واكبر تكون قد زرع فيها نبات سريع النمو كالقمح الشتوي. وهكذا يكون الصيني قد زرع غلتين في نفس الحقل، وقبل نقل الأرز الصغير إلى هذا الحقل يكون قد اعد له بالحرث والتخصيب حتى تستطيع الجذور أن تمتد في التربة، ثم تغرس الحشائش في صفوف وتطلق المياه في الحقل.

وقبل موسم الحصاد الأرز تصرف المياه من الحقول لتجف مما يساعد على نضوج المحصول وفي هذه الأثناء (موسم النضوج) يمكن زراعة محصولات أخرى بين صفوف الأرز. ومن ثم يستخدم الصيني الأرض الواحدة لإنتاج ٣ غلات في موسم واحد.

هذه هي الطريقة التي توارثها الزراع في الصين جيلاً بعد جيل ولذلك فمن الصعب استخدام الآلات الزراعية الحديثة خصوصاً وان الأحواض صغيرة المساحة، وتكاد تكون الجاموسة هي الحيوان الوحيد الصالح للاستخدام.

وهكذا فالأرز هو أهم محصولات الصين بلا نزاع، ونجاح المحصول أو عدم نجاحه يتوقف عليه رخاء مئات الملايين من الناس خصوصاً إذا عرفنا أن حوالي ٢٥% من الأراضي المزروعة في الصين تزرع أرزا. على إننا يجب أن نشير إلى الأسباب التي تجعل للأرز هذا المركز الممتاز، وتتمثل في أن الأرز غلة تنضج بسرعة ولا تشغل الأرض إلا فترة قصيرة، وأن هذا النبات يمكنه أن ينمو في ظل الظروف المناخية التي تسود الصين بوفرة الحرارة والأمطار بالإضافة إلى التربة الخصبة .. كل هذه العوامل متوفرة في جنوبي الصين بوجه عام. كما الأرز يزرع في الأرض الواحدة السنة تلو الأخرى دون أن يؤدي هذا إلى أنهاك في خصوبة التربة بعكس الغلات الأخرى. كما أن نسبة المادة الدهنية والبروتينية في الأرز قليلة ولذلك فمن الميسور تخزينه دون أن يناله العطب، ولحبة الأرز غلاف يلتصق تماماً

وهذا مما يساعد أيضاً على حفظ الأرز حتى في الجهات الرطبة، ولا يناله العطب.

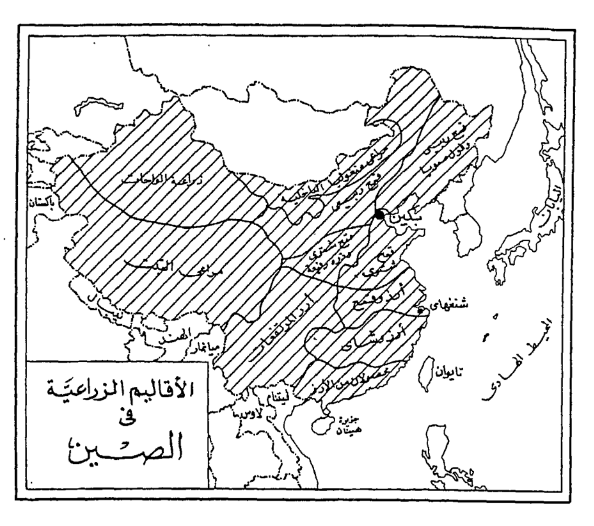
وعلى هذا الأساس يبدو لنا أن الطبيعة منحت الأقاليم هنا الأرز بهذه المميزات ليتسنى للملايين أن تجد غذاءها وأن تخزن الفائض.

وعلى الرغم من الصين هي المنتج الأول للأرز إلا أنها كانت حتى الخمسينيات الأولي لا تكفي نفسها ذاتياً وتضطر للاستيراد من الخارج خصوصاً من الصين الهندية وتايلاند. يلاحظ أن مركز الصين قد تغير. فبعد أن كانت الصين تستورد الأرز أصبحت الآن تكفي نفسها بل هناك بعض الفائض، حتى أن الصين حالياً تأخذ المركز الخامس بين الدول المصدرة للأرز.

وبالرغم مما تشتهر به الصين من زراعة الأرز واستهلاكه إلا أنها أيضا من الدول الكبرى في إنتاج القمح، بل أن متوسط المساحة المزروعة قمحاً تفوق مساحة الأرز فالأولي تبلغ حوالي ٥٠ مليون فدان والثانية٤٥ مليون فدان.

والإقليم الذي يشتهر بإنتاج القمح في الصين هو السهل الشمالي في حوض الهوانجهو ولكن زراعته، تمتد إلى الشمال وإلى الجنوب من ذلك الحوض، حيث يزرع القمح الربيعي. أما في الجنوب فيزرع القمح الشتوي بعد الانتهاء من حصاد الأرز. وتعتمد زراعة القمح على الأمطار ويتأثر إنتاج القمح بالزيادة أو النقص تبعاً لكمية المطر. ويزرع القمح في الصين الشمالية لأنه يمتاز من النباتات الشديدة التحمل من حيث درجات الحرارة فيمكن زراعته في أجواء أبرد من التي تستطيع غلات كثيرة أخرى النمو فيها.

يتعرض إنتاج القمح في الصين لمنافسة الأرز فالأرز يغلب على في المناطق الجنوبية بينما يعتبر القمح الغلة الرئيسية في المناطق الشمالية، ويلاحظ أن الشعير يزرع في السهل الشمالي بجانب القمح فظروف إنتاجهما تقريبا واحدة، مع قدرة الشعير على تحمل جفاف أكبر.


الأقاليم الزراعية
في
الصين
زراعة الواحات
مراعي التبت
باكستان
نيبال
الهند
ميانمار
لاوس
فيتنام
جزيرة
هينان
تايوان
شنغهاي
بكين
اليابان
المحيط الهادي
أرز وقمح
محصولان من الأرز

شكل رقم (١٦)

ويلاحظ أن نصيب الصين من الذرة ضئيل بالنسبة للأرز والقمح. وربما كان قلة المحصول في الصين من الذرة يرجع إلى أن هذه الغلة لا تستخدم في الغذاء البشري مباشرة، وبالتالي فالطلب عليها محدود. وربما إلى أن التربة الخصبة الموجودة هنا تخصص لإنتاج الغلات الأخرى المحبوبة للصينيين كالأرز، ويزرع الذرة في شمال الصين حيث المناخ المعتدل البارد نسبيا وفوق التلال والمرتفعات.

وتحتل الصين المرتبة الأولي في إنتاج الشاي حيث كانت الموطن الأصلي للشاي فقد كانت تجارة الشاي بجانب الحرير أهم السلع بالنسبة للصينيين في تاريخهم الطويل. ويحتاج الشاي لأيدي عاملة سواء في فلاحته أو في جمعه وهذا فيما يبدو العامل الرئيسي لأن هناك جهات كثيرة تتوفر فيها الظروف الطبيعية الملائمة لزراعته، ولكن يحول دون التوسع في هذه الزراعة أحيانا قلة الأيدي العاملة كما يحتاج الشاي إلى مهارة خاصة، فالأوراق تحضر في حجرات لعدة ساعات ثم تجفف في الأفران لبضع دقائق ويفرز الشاي ويشحن للتصدير.

تحتاج شجيرات الشاي لمناخ حار وتربة جيدة لصرف المياه والصرف عامل مهم لذلك فزراعته على سفوح المرتفعات وليس على السهول، ولذلك فالشاي ينتج في الصين في وادي اليانجستي والجزء الشمالي من وادي سيكيانج. (الصين الأوسط والجنوبي) كما أن معظم الشاي ينتج في مزارع صغيرة، فعملية إنتاج الشاي في الصين عملية تقوم بها العائلة.

وتشتهر الصين بزراعة فول الصويا، وهو نبات بقولي (يشبه الفاصوليا) وتتركز زراعته في الشمال الشرقي للصين، وأنواعه جيدة غنية بالزيت، ويزرع معه أيضا الفول السوداني. وقد ساعدت الظروف الطبيعية على تركيز الشاي في الصين وفي جهات جنوب شرق آسيا عموماً.

وتعتبر الصين ثالث دول العالم في إنتاج القطن في العالم بعد الولايات المتحدة الأمريكية. وبالرغم من عظم الكمية التي تنتجها الصين فإنها لا تبرز بين الدول المصدرة لأن الصين تستهلكه محلياً بعد أن قامت الصين بحركات التصنيع الهائلة بعد الثورة الشيوعية، وأن صدرت منه فعلي هيئة ملابس. والقطن الصيني

والصين الوسطى.

ويعتبر وادي اليانجتسي أهم أقاليم إنتاج القطن بالصين وهو يزرع كمحصول ثان في أثناء جمع غلة شتوية كالحبوب مثلا أو حتى قبل حصادها، أما مساحة الأراضي القطنية فتتراوح كثيراً باختلاف أسعارها ذلك لأن أراضي المزارعين لإنتاج القطن من اجل شراء مواد الطعام بأثمانه. هذا وتتشابه زراعة القطن في الصين مع زراعة الأرز في اعتمادها على الأيدي العاملة، فهما من المحاصيل التي لا تنجح فيها الآلات فيقدر أن ما تستخدمه الآلات في إنتاجه لا يزيد على ١/٥ المساحة في الولايات المتحدة المزروعة قطناً. ويتشابه المحصولان في نظام الزراعة الكثيفة والمزارع.

والصين هي بلاد الحرير من قديم الزمان. وليس الحرير أليافاً نباتية غير أن اعتماد دودة القز على أوراق أشجار التوت كبيرة لدرجة تجعلنا نضعه في قائمة الألياف النباتية. ومما ساعد على انتشار زراعته في الصين أن هذه الشجرة تستطيع أن تنمو في الأراضي الفقيرة المضرسة التي لا تصلح عادة لزراعة محصولات أخرى وبذلك تترك الأراضي الخصبة الجيدة لإنتاج الغلات الرئيسية الأخرى، كما أن تربية دود القز واستخراج خيوط الحرير هي عملية عائلية، يقوم بها أفراد الأسرة إلى جانب أعمالهم العادية، خاصة الأولاد وكبار السن. ويتركز الإنتاج في حوض اليانجتسي العظيم، وفي الأقاليم الساحلية في غرب وجنوب شنغهاي، وهناك أيضاً إنتاج كبير عند مصب سيكيانج حول كانتون وفي شبه جزيرة شانتنج.

الثروة الحيوانية والسمكية :

تفتقر الصين إلى المراعي الطبيعية الجيدة التي يقتصر وجودها على المناطق الشمالية الغربية وفوق بعض السفوح الجبلية في الغرب. ولم يهتم زراع الصين كثيراً بتربية الماشية لأن ذلك سيكون على حساب الأرض المنزرعة، بينما يبذل الزراع أقصى الجهد والعناية لإستغلال كل بقعة من الأرض (وخاصة المستوية السطح منها) في الإنتاج الزراعي، لذلك يهتمون بتربية الخنازير لقلة مطالبها الغذائية (تأكل أي شئ) ونسلها كثير، وللاستفادة من لحمها وشحمها. وتنتشر

الخنازير في الأقاليم الشمالية والجنوبية الشرقية من الصين. ويوجد بالصين الشعبية نحو ٣٠% من جملة عدد رؤوس الخنازير في العالم، وبها نحو ٥% من أبقار وجاموس العالم. وتنتشر تربية الأغنام في القسمين الشمالي الغربي، والغربي من الصين الشعبية. كما اهتمت الدولة بتربية الأغنام للاستفادة من أصوافها، ولتحسين صناعة المنسوجات الصوفية.

وتعتبر الأسماك من المواد الغذائية الشعبية الهامة بالصين إلى جانب الأرز وتصاد الأسماك من المياه المحيطية العميقة، ومن المياه الشاطئية بالبحر الأصفر وبحر الصين الشرقي، وبحر الصين الجنوبي, كما تصاد أسماك المياه العذبة من المجاري النهرية وبعض البحيرات، ومن ثم تعددت أنواع الأسماك بالصين الشعبية، كما يستخدمون الأعشاب البحرية في صنع الحساء والمواد الهلامية. وتتركز أهم مناطق صيد الأسماك البحرية في بحر الصين الجنوبي أمام ساحل هونج كونج، ومكاو، وحول جزيرة هينان.

من الزراعة وحدها إلى ازدياد أهمية التصنيع :

تدين نهضة الصين الصناعية إلى ما بعد ١٩٤٩ أي بعد فترة إنقضاء العهد الإقطاعي وذلك بوضع الخطط اتي تهدف إلى استثمار موارد البلاد وصناعاتها بأكبر قدر من السرعة، على اعتبار أن التصنيع هو قاطرة التقدم، ونظراً لأن الصين شاسعة المساحة، فلاشك أن هناك موارد معدنية لم تكتشف بعد، ومع ذلك فقد ثبت أن في الصين موارد أساسية للتصنيع، فهناك الفحم جيد كما وكيفا، بل وكثير من مكامنه قرب السطح ويسهل استخراجه، والعكس بالنسبة للحديد كما وكيفا، وان كانت الاكتشافات بدأت تتوالى، وقد تبشر بالخير، فينطبق هذا على البترول، فقد كثفت الصين عمليات البحث بالاستعانة بالشركات الغربية، وثبت وجود البترول في أقصى الغرب (سنكيانج) وكذلك في الرصيف القاري، وهذا يفسر ادعاءات الصين بقطاعات من بحر الصين الجنوبي، على العموم فحتى الآن نصيب الصين يقدر بنحو ٤% من الاحتياطي العالمي.

أقاليم صناعية :

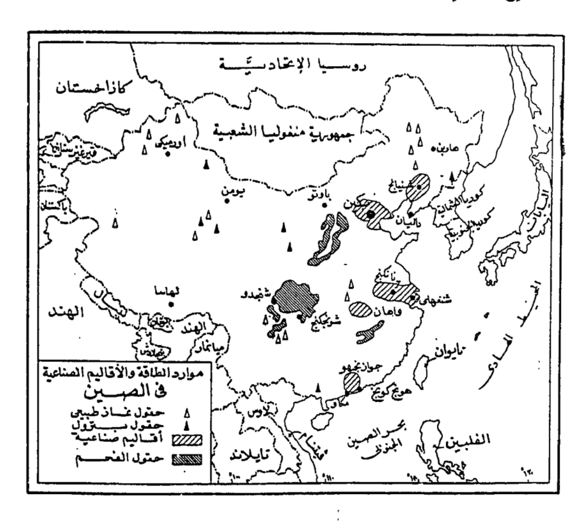
نتيجة الجهود التي بذلت للتقدم الصناعي ظهرت عدة أقاليم صناعية أهمها الإقليم الشمالي الشرقي (منشوريا)، ويعتبر قلب الصين الصناعي، حيث مركب ضخم من الصناعات الثقيلة يعتمد على توفر الفحم والحديد في حوض نهر لياو حتى لقد أطلق على شنيانج أنها بتسبرج الصين، فهنا الصناعات المعدنية والهندسية، وصناعة الآلات، وظهرت أنشان في الجنوب كمركز قائد لصناعة الحديد والصلب، كما تقوم في هادبن في أقصى الشمال (اكثر من ٢ مليون نسمة) صناعة النسيج، والآلات الزراعية، وصناعات خفيفة متعددة، وقام حول العاصمة بكين وميناؤها الرئيسي تينتسين Tientsin_إقليم صناعي آخر، مستفيدا من قربه من مناجم الفحم، ووفرة الأيدي العاملة والإنتاج الزراعي الكبير، ومع ذلك لا يقارن بالإقليم الشمالي الشرقي وتقوم بالقرب من الميناء الصناعات الثقيلة والمنسوجات فضلا عن الصناعات الغذائية.

إقليم شنغهاي ويقع حول أكبر مدن الصين قاطبة، وقد تضخم هذا المجمع الصناعي حول سانج التي تقع على مصب اليانجتسي حتى أصبح هو ونظيره في الداخل مجمع واهان أهم أقاليم صناعية تضيف إلى الدخل القومي، كما ظهر إقليم آخر أكثر بعدا في الداخل حول نهر شان ومركزه شونجكينج، وهكذا نجد ضخامة الإنتاج وتنوعه في المراكز الثلاثة على نهر اليانجتسي، فهي منتجة للسيارات، والسفن، والكتب، والصناعات الغذائية، والكيماويات وغيرها.

إقليم خوانجزهو (كانتون) في أقصى الجنوب ومع ذلك ظل فترة طويلة غير جدير بالاهتمام لمجاورته لهونج كونج المستعمرة البريطانية سابقا، وكذلك لبعده من مصادر الوقود، وأن زاد الاهتمام أخيرا.

ويلاحظ في هذا السبيل أن الدولة اتبعت سياسة جديدة بالانفتاح علىَ العالم الخارجي، ومن مظاهر هذا الانفتاح تحويل بعض الأقاليم المطلة على المحيط إلى أقاليم اقتصادية خاصة Special Economic zone (SEZS) " مدن مفتوحة"،

"وأقاليم مفتوحة" لتشجيع الاستثمار الخارجي، فعلي سبيل المثال قامت في بودنج على الضفة اليمني لنهر اليانجتسي مقابلا لشنغهاي مجتمعات صناعية ضخمة، من المتوقع أن تنافس هونج كونج، وأصبحت شينزن القريبة من هونج كونج من أكثر المدن جذبا للسكان بسبب حركة التصنيع التي شهدتها، وهكذا أصبح هذا الإقليم الجنوبي في الصين من أهم أقاليم الصين إضافة للصادرات، بعد أن كان في الماضي لا يلقي نفس الاهتمام الذي يلقاه، الإقليم الصناعي شمال شرقي الصين، بل ومن المرجح انه بعد عودة هونج كونج سيصبح مجمع شيترون / هونج كونج/ جواندونج أكبر مجمع صناعي تتحدي به الصين اليابان ودول النمور، وبالتالي تتغير خريطة الصين الصناعية.



شكل رقم (١٧)

المناطق الاقتصادية الحرة الخاصة Special Economic Zone (S.E.Z)

كان النظام الاقتصادي المطبق في الصين حتى الربع الأخير من القرن العشرين هو النظام المركزي القائم على الملكية العامة لجميع عناصر الإنتاج، وتخضع جميع القرارات الاقتصادية للتخطيط المركزي خاصة فيما يتعلق باليد العاملة وتوظيفها ، ومستوى أجورها، وكان متوسط نصيب الفرد منخفضا للغاية، لم يتعد ٢٠٠ دولار عام ١٩٧٠، ولم تكن الدولة ترحب بالاستثمار الأجنبي، وتضع العراقيل أمام دخوله.

ومنذ منتصف السبعينيات قررت السلطات الرسمية التحول إلى النظام الحر اقتصاديا مع الاستمرار على عدم التحرر السياسي، فمازال نظام الحزب الواحد المسيطر، وفي ضوء هذه الظروف كان الانفتاح الاقتصادي، وأن كانت الصين أخيرا عام ٢٠٠٢ قد بدأت التحرر السياسي، بحيث يدخل الحزب الرأسماليون أيضا، ولا يقتصر على العمال والفلاحين.

الانفتاح الاقتصادي المقصود به الأخذ بما يعرف باقتصاد السوق (عرض وطلب) ولكنهم رأوا أن التحول لا يمكن أن يحدث فجأة بعد نحو نصف قرن من الانغلاق الاقتصادي، لأنه سيؤدي إلى الاضطراب ، ومن ثم كانت فكرة الانفتاح الاقتصادي تدريجيا، فقامت الحكومة باختيار بعض المناطق الصناعية الساحلية خاصة في جنوبي وشرقي الصين كي تنشأ بها المناطق الاقتصادية الخاصة. وهي التي يسمح فيها بدخول الاستثمارات الأجنبية مباشرة، كما يمكن للمواطنين الصينيين بتأسيس مشروعات مشتركة مع الأجانب، وتركت الحرية لأصحاب المشروعات في الحصول على العمال ومستلزمات الإنتاج، وكذلك بيع منتجاتها بأسعار السوق، ودون عرض أسعار معينة من قبل الدولة، وربما كان من أحد أسباب تركيز المشروعات في تلك المناطق هو عدم توفر قدر كاف من البنية الأساسية والاجتماعية (طرق ــ كهرباء ــ مياه ــ أيدي عاملة) في الصين ككل، ومن ثم يمكن التركيز عليها في هذه المناطق، وزيادة هذه الخدمات.

هل نجحت؟

نجحت فعلا والدليل على ذلك بما حدث في مدينة جوانزو عام ١٩٩٢، فقد كانت مدينة صغيرة، طرقها ضيقة، حوانيتها متواضعة، يجري فيها عدد قليل من السيارات، وتحولت عام ١٩٩٧ إلى مدينة ناطحات سحاب، طرقها واسعة محلاتها ضخمة، ويتعامل ميناؤها مع ٥٠ مليون طن من الحاويات في السنة بالطرق الإلكترونية، وظهر على سكانها أثر نعمة الانفتاح، وكان لنجاح هذه التجربة في الجهات الساحلية، أن طلبت بعض الأقاليم الداخلية التحول إلى مناطق اقتصادية مماثلة.



الأنهار وقنواتها وسيلة أساسية للنقل في الصين.

أقاليـــــم الصـــين

تتكاتف البيئة والاقتصاد لتقسيم الصين إلى :

أولا : الصين الجنوبية مطرها غزير ومتواصل لجزء كبير من العام، من ثم فاللاند سكيب دائما مخضرا، والمؤثرات المناخية البحرية أكثر سيادة عنها في الشمال والجبال والتلال هي المعالم السائدة بين أشكال الأرض بعامة بحيث تتقلص الأراضي السهلية في الدالات وأودية الأنهار، ومازالت الغابات تغطي مساحات كبيرة، ومع الحرارة والرطوبة يصبح الأرز سيد الموقف إلى جانب الفواكه والمحاصيل الحارة، ومع تفاوت المطر وكثرة عواصف التيفون المدمرة فالمجاعة أقل كثيرا من الشمال، والساحل صخري معرج أغني كثيرا في الموانئ والخلجان الصالحة، ومع ظهير جبلي طارد، كان التوجه نحو البحر أساسا صيدا وتجارة عبر البحار، فهذا الإقليم هو منبع هجرة الصينيين.

ثانيا : الصين الشمالية بيئة أخرى، مطر أقل و متفاوت دائما أبدا، تهيمن عليه القارية بمعنى أن التأثيرات القارية فيه أبلغ أثرا من التأثيرات البحرية، ومع طول فصل الشتاء وقسوته، يقصر فصل الإنبات، ومع الأرض السهلية أكثر من الجنوب، من هنا كان القمح سيد الموقف، شتوي وربيعي وإذا اتجهنا أكثر نحو الشمال وهنا نجد الأبقار التي تجر العربات، ورغم قلة المطر فهو إقليم الفيضانات وبالتالي المجاعات، وإذا أضفنا إلى هذا هو إقليم الصناعة، والإنسان هنا أطول قامة وافتح لونا منه في الجنوب، وتقل نسبة العيون اللوزية المسحوبة **Elmond** ذات الطية المغولية عنها في الجنوب، فهي تنخفض بين السكان إلى ما نسبته ١٠ ـ ٢٠%، على حين أنها تبلغ نحو ٣٦% في الجنوب، وهم لا علاقة لهم بالبحر ولا بالهجرة إلا قليلا.

ثالثا : الصين الخارجية والأولي بها أن تكون الصين الداخلية وتتمثل منغوليا الداخلية وسينكيانج والتبت، وهنا تصبح حرفة الرعي سيد الموقف، الماشية والأغنام والخيول والياك، ولكن الخيل أولا، بل لعل هذا موطن الحصان الأصلي أو

أحد مواطنه، وتشكل حرفة الرعي نظام الحياة الاجتماعية للسكان وطبيعة حياتهم وتقاليدهم، يعتمدون عليها في غذائهم وملبسهم وبناء مساكنهم، وأما الزراعة فهي محدودة بالواحات حيث عيون الماء كما في سنكيانج مما يدل على صحراويتها، وكانت هذه الواحات تمثل قديما مراكز تجارية هامة على الطرق التجارية البرية التي كانت تمتد بين الصين شرقا وأوربا غربا، وقد تختلف التبت قليلا عن زميلتها في شدة ارتفاعها وصعوبة الانتقال فيها وعزلتها الشديدة، من ثم أطلق عليها قلب آسيا الميت، وإذا كانت القبائل الرعوية في سينكيانج أو التركستان الصيني من القازاق والمانشو والتادجيك والأوزبك مسلمة في عقيدتها، فالبوذية هي عقيدة سكان التبت. على العموم يعتبر هذا القسم من أكثر جهات الصين تخلفا، وإن بدا الحظ يبتسم له في بظهور البترول في سينكياتج، فضلا عن اتجاه الدولة نحو الاهتمام به لما يخفيه من ثروة معدنية غير معروفة حتى الآن، وحتى لا تقوم فيه حركات انفصالية.

وترجع سيادة الرعي مع زراعة الواحات أحيانا إلى أن المطر ربيعي صيفي قليل، يتراوح بين ٢٠، ٣٠ سم على الأكثر، ولكنه قد يختفي في الجنوب، من ثم كان النبات الطبيعي هو حشائش الاستبس التي قد تبدو متوسطة في الشمال، حتى تنتهي جنوبا بصحراوات، وتنبت هذه الحشائش فوق تربة اللويس الخصبة، من ثم كانت الزراعة هنا نوع من الزراعة الجافة أحيانا في الشمال وتعتمد على مياه الري كما هو الحال في منغوليا حيث أعالي الهوانجهو، أو الآبار كما في سينكيانج.

الاتجاه نحو الغرب الصيني ليلحق بشرقه :

أصبح الاتجاه إلى غربا شعارا يطرح منذ بداية التسعينيات، أي غرب الصين وعندما انطلقت عملية التنمية التي أدت إلى ما يعرف بالمعجزة الصينية، كانت في الشرق، بينما المنطقة الغربية التي تضم أكثر من نصف مساحة الصين، ونحو ربع سكانها فهي صحراوية وشبه صحراوية، ولكن أهميتها في كونها تجاور دول عديدة تشترك مع الصين في حدودها البرية وتعيش فيها الأقليات غير القومية (أي غير قومية الهان)، ولذلك منحت الحكم الذاتي، كما أن هذه الأقاليم تمثل أقاليم اختلاط عرقي وثقافي وحضاري بين الصين وجيرانها، وأن هذه الأقاليم هي التي

خرجت منها الغزوات نحو شرق الصين في الماضي، من ثم أقيم سور الصين العظيم لحماية الحضارة الصينية من البرابرة، وأن كانت في الوقت الحاضر تمثل أحيانا قلقا للصين لوجود بعض النزعات الانفصالية، وأخيرا وليس آخرا أن بها منابع الأنهار الرئيسية سواء الهوانجهو أو اليانجتسي.

تعمل الدولة على سد الفجوة التنموية بين غربي الصين وشرقيها، لأن الإقليم الغربي يقع في الأطراف، وبالتالي يمكن أن تقوم فيه حركات تمرد وانفصال، فضلا عن أنه من الناحية الاقتصادية يضيف إلى قوة الدولة، من ثم قامت بما يلي :

ـ منح حكومة كل إقليم حكما ذاتيا في إطار النظام الاقتصادي والسياسي للدولة دور الحكومة المركزية توجيهي، ولكن التفاصيل هي من شأن حكومات الأقاليم.

ـ حث سكان الأقاليم الشرقية على الاستثمار في الأقاليم الغربية، فالشعار الصيني أن الإقليم الغني يساعد الفقير، وفي نفس الوقت الترحيب بالاستثمارات الأجنبية لإقامة مشروعات تزيد من نمو الإقليم.

ـ تنفيذ مشروعات البنية الأساسية لجذب الاستثمارات في الداخل سواء محلية أو أجنبية.

هونج كونج

دجاجة تبيض ذهبا

تتألف هونج كونج من عدة جزر صغيرة المساحة تقع إلى الجنوب من مصب سيكيانج وجنوب مدينة كانتون الصينية بنحو ١٦٠ كم، وتعتبر جزيرة هونج كونج التي يقع فوقها ميناء فيكتوريا أكبر هذه الجزر، ويفصل مضيق ليمون ميناء فيكتوريا عن الساحل المجاور لليابس الصيني الذي يعد بدوره ميناءاً طبيعياً جيداً.

وتبلغ مساحة جزيرة هونج كونج نحو ١٠ كم٢، استولت بريطانيا عليها منذ عام ١٨٤١، ثم منحت حكومة الصين شبه جزيرة كولون Kowloon التي تقع أمام الساحل الشمالي لجزيرة هونج كونج إلى بريطانيا لتضيفها إلى أراضي

المستعمرة. وتبعاً لنصوص معاهدة بكين عام ١٨٩٨ استولت بريطانيا كذلك على الأراضي الصينية المتاخمة مباشرة لجزيرة هونج كونج، وشبه جزيرة كولون، بصفتها ظهيراً للميناء البريطاني. ومن ثم أصبح إجمالي مساحة مستعمرة هونج كونج البريطانية نحو ١٣٠٠ كم٢.

واتخذت بريطانيا من جزيرة هونج كونج قاعدة بحرية رئيسية في إقليم آسيا الموسمية، وأصبح ميناء فيكتوريا (الذي تقع أرصفته الكبرى على الساحل الشمالي لجزيرة هونج كونج، والساحل الجنوبي لشبه جزيرة كولون) أهم المواني البحرية التي تربط بين الطرق الملاحية التي تصل إقليم آسيا الموسمية بمواني غرب أوربا. ومن ثم تجمعت في هذه المستعمرة رؤوس الأموال، ونشطت حركة التجارة، ونمت كثير من الصناعات الخفيفة، لذلك حين عادت هونج كونج إلى الوطن الأم في يوليه ١٩٩٧ (*)، كانت هونج كونج غير ما تنازلت عنه الصين عام ١٨٤٢ لبريطانيا فقد كان جزرا صخرية بلا أية موارد، يعيش سكانها الفقراء البالغ عددهم ٥ آلاف نسمة على الصيد البحري.

أما هونج كونج التي استردتها الصين، فهي معجزة اقتصادية بجميع المقاييس وتعد من أكبر المراكز التجارية والمالية والصناعية في العالم وأصبحت قلعة من قلاع الصناعات الخفيفة، يعيش سكانها البالغون ٦,٥ مليون نسمة في رفاهية، يفوق متوسط دخل الفرد فيها نظيره في بريطانيا ذاتها وقد كانت السياسة الصينية متفتحة حين أعلنت عن مبدأ "دولة واحدة ونظامان" أي دولة الصين، ونظام اشتراكي في الصين، ونظام السوق في هونج كونج، مما يجعلها منطقة اقتصادية خالصة أي حرية تامة في تدبير أمورها الاقتصادية.

وهكذا جاءت عودة هونج كونج إلى الصين لتزيد من هذه القوة وتؤكدها، فمن مصلحة الصين استمرار الازدهار الاقتصادي فيها، فهي مصدر للعملة الصعبة، وتتسم العلاقات الاقتصادية مع الوطن الأم بالاعتماد المتبادل، وتداخلت الأنشطة

(*) عادت أيضا مستعمرة مطاو البرتغالية إلى الصين عام ١٩٩٩.

الاقتصادية فيما بينها، واستفادت الصين من استثمارات هونج كونج فيها والبالغة ٢٣ مليار دولار وبالتالي كما قال أحدهم " لا يمكن للصين أن تذبح الدجاجة التي تبيض ذهباً ".

جمهورية منغوليا (*)

بين إقليمي منغوليا الداخلية وسنكيانج في شمال الصين، وروسيا في الغرب، تقع منغوليا، دولة حبيسة تكاد تكون معزولة عن العالم. ويعيش سكانها البالغون نحو ٣ مليون نسمة في أراضي ما بين الاستبسية والصحراوية، وبين أكبر قوتين في آسيا، وكما يرتبط تاريخها بروسيا، فهو أيضا يرتبط بالصين، فقد كانت جزء من إمبراطورية المغول الضخمة التي خرجت منها الغزوات راكبة الخيل على هيئة موجات متتالية متجهة نحو الغرب منذ سبعة قرون، كما اتجهوا أيضا إلى الصين مكونين ملكية إقطاعية (١٢٧٩ ــ ١٣٦٨)(*) غير أن الصين فرضت سيادتها عليها من أواخر القرن السادس عشر حتى عام ١٩١١ حين كانت جزءا من الإمبراطورية الصينية.

حصل المنغولون على استقلالهم عام ١٩٢٢ حين عم الاضطراب والفوضى في الصين، وفي تلك الفترة (الصينية) أطلق عليها منغوليا الخارجية Outer mongolia، وحين عاد الصينيون للسيطرة على منغوليا، كانت الثورة الشيوعية قد هبت، وكان هذا عاملا مساعدا على استمرار سيطرة المنغوليون على مقدراتهم، وتحولت منغوليا في عشرينيات القرن الماضي إلى جمهورية منغوليا الشعبية مقتفية أثر النظام السوفيتي، بل وفي حمايته، على حين ظلت منغوليا الداخلية إقليما ذي حكم ذاتي في الصين، ومازالت الحدود بين المنغوليتين مدججة بالسلاح. ورغم

(*) يطلق عليها أحيانا منغوليا الخارجية تمييزا لها عن منغوليا أحد مقاطعات الحكم الذاتي في الصين الشعبية.

(*) بلغت أقصى قوتها وعهدها الذهبي حين قام جنكيز خان (١١٦٢ ــ ١٢٢٧) وحفيدة قبلاي (١٢٩٥ ــ ١٢٩٤) غزو معظم آسيا.

العلاقات الصينية، فالتأثير الروسي هو السائد، وتقع الأن باتور أكبر مدنها قرب إقليم بحيرة بيكال على أطراف روسيا الشرقية. وهنا نجد أن الصين بفصلها عنها صحراء جوبي.

ولكن مع ذلك فهيئتها الطبيعية والاقتصادية شرق آسيوية أكثر منها روسيه، فالأبجدية المنغولية التي ألغاها النظام الروسي عادت مرة أخرى إلى الحياة، وظهرت الاضطرابات التي تدعو إلى الإصلاح السياسي والانتخابات والديمقراطية مرة أخرى، ولم تكن معروفة أيام السطوة الروسية.

ومنغوليا من الناحية الجغرافية أراضي جبلية في معظمها تكسوها الغابات الباردة ففي شرقها تقع جبال خنجان، وتمتد المرتفعات في الجنوب خارج سور الصين العظيم، ومن ثم كانت حدودها واضحة في هذين الاتجاهين، على حين أن هذه الحدود غير واضحة مع سيكيانج الصينية في الشرق. وتعتبر الأن باتور العاصمة أهم مراكزها الحضرية، وبها مصانع للمنسوجات الصوفية ومصنع للأحذية، ومطاحن الغلال، وبعض الصناعات الخفيفة الأخرى.

وتعتبر حرفة الرعي هي الأساسية من الخيل والأبقار والضأن التي ترعى الحشائش ومن ثم كانت الرحلة وراء الكلأ، ويعتمدون على جيرانهم في الغذاء خاصة الألبان والملبس والمسكن والنقل، بل والحصول على الوقود (الروث)، أما الزراعة فهي محدودة للغاية في بقع متفرقة.

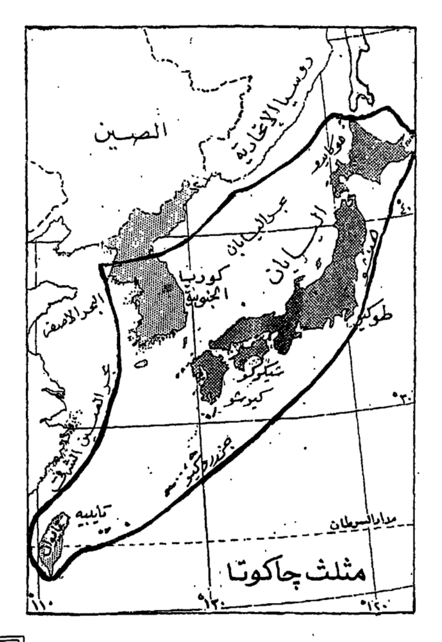
ومنغوليا اليوم دولة حبيسة معزولة، وهي أرض صدام buffer state تقع من الصين روسيا، وهما جاران أكثر سكانا وأقوى اقتصادا منها، فمازال معظم السكان إلى اليوم مازالوا يركبون الحصان ويرعون الخيل والماشية الأخرى في سهولها الفسيحة ما بين الاستبسيه والصحراوية. فهل يقدر لها أن تتفادى ما يحدث للدول الداخلية كأفغانستان.

الفصـــــل الثالث

مثلث جاكوتا

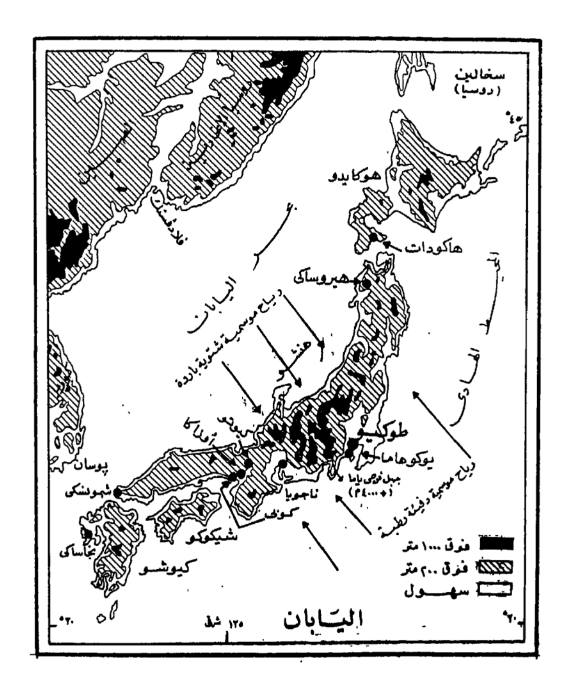
The Jakota Triangle
Japan, Korea, Taiwan

إذا كانت الصين مازالت تمثل الماضي في كثير من جوانبها، فــإن الإقليــم موضع الدراسة الآن يمثل مستقبل شرقي آسيا، حيث وجدنا أن دول شريط المحيــط الهادي (اليابان، كوريا الجنوبية، تايوان) قد خطت خطــوات واســعة للغايــة فــي الميادين الاقتصادية، وانعكس هذا بدوره على التحولات الاجتماعية.



شكل رقم (١٨)

من ثم أصبح إقليم المدن الكبيرة، والاســـتهلاك الشـــديد للمـــواد الخـــام، والتصنيع الكبير، والصادرات الضخمـــة، والاتصـــالات العالميـــة، والفوائـــض فـــي الموازين التجارية، وأن كان الإقليم له أيضا مشكلاته الاجتماعية والسياسية.



شكل رقم (١٩)

اليـــابـــــان

العلاقات المكانية :

أرخبيل جزري يقع على الرصيف القاري الأسيوي مكونا من عـــدة جـــزر هنشو أكبرها وشيكوكو، وكيشو. وكان الإقليم في العصور القديمة والوسطي علـــى أطراف العالم، أو هامشه، لكن بعد ذلك أصبح على طريق الأمريكتين، فكل خط جوي أو ملاحي من سان فرانسيسكو أو سياتل إلى ساحل الصين، أو الفلبين، أو سنغافورة إما أن يمس اليابان، أو يمر على بعد أميال قليلة من سواحلها، فالخط الجوي مــــن سان فرانسيسكو إلى مانيلا عن طريق هاواي، وجوام يزيد بنحو ٢٠٠٠ ميل عـــن الخط المباشر إلى مانيلا عن طريق طوكيو، وزادت قناة بنما من أهمية موقعها، كما فعلت قناة السويس بالنسبة لبريطانيا، ولا ننسي أن اليابان تقع على كثب من ســـوق المليار وربع من سكان العالم، أي الصين.

وهذا الأرخبيل من الجزر الفستونية (*) يترامى في استطالة بالغة، وأيضـــا شديدة الضيق، وهذا الضيق الشديد يفسر لنا خلو اليابان من أي نهر على أي قـــدر من الطول، وتمتلك اليابان ساحلا شديد التنوع ما بين صخري وسهلي بالغ الطـــول شديد التعاريج، من ثم تسمح بالمرافئ الطبيعية، والخلجان المتعمقـــة، والـــرؤوس البارزة حتى لتبلغ سواحل اليابان نحو ٢٧ ألف كم، وهذا يفسر عدد الموانئ الضخـم في اليابان والذي يبلغ ٧٥٨ ميناء، كما يفسر أيضا علاقة اليابانيين الحميمة بـــالبحر صيدا، وقرصنة قديما، وتجارة وصيد الأن.

تنوع اللاندسكيب ودقته :

تسودها المرتفعات والسلاسل الجبلية المعقدة، التي يتراوح ارتفاعها ما بين ١٠٠٠، ٢٥٠٠ متر، وبعض القمم تسمو إلى ما يزيد على ٣٠٠٠ متر، تؤلف هـــذه السلاسل العمود الفقري إن لم يكن الأساسي لليابان جميعا، وتشغل نحو ٧٥% مـــن

(*) سلسلة من الأقواس المستمرة على شكل حبل.

مساحتها، أما المنخفضات فهي أساسا على الساحل الشرقي، على شكل جيوب أو أحواض متقطعة متباعدة، أكبرها سهل كوانتو أو سهل طوكيو عند كوع هنشو. وسهل كينكي في جزيرة هنشو، ثم تقل السهول في الوسط، وعلى الساحل الغربي، أي أن الجبال لها السيادة المطلقة، مثلما تحيط بها البحار من جميع جوانبها أو كما يقول كرسي Cressey " إذا نظرنا إليها من البحر تجدها ترتفع جبلا فوق جبل، وإذا نظرت من اليابس ستجد وجه الماء في كل مكان". وفي نفس الوقت تعد هذه الجبال من أخطر مناطق الزلازل والبراكين.

تنوع مناخي :

وكان لهذا الامتداد الطولي لليابان بين درجتي عرض ٣٠°، ٤٥° شمالا (أي أنها تبدأ جنوبا حيث تنتهي مصر شمالا بالتقريب) أن يتنوع المناخ في داخلها، فهي تبدأ من المناخ دون المداري، وتنتهي شمالا قرب المنطقة المعتدلة الباردة حيث يعرف كثير من أجزائها ثلوج الشتاء، من ثم انقسمت مناخيا إلى قسمين بوجه عام: في الجزر الجنوبية كيوشو وشيكوكو شتاء معتدل، وصيف حار رطب، وفي الشمال حيث هوكايدو الشتاء القارس والصيف البارد الرطب، واليابان عموما تخضع للنظام الموسمي ذو المطر الصيفي، وإن كانت تحظى بقدر من المطر الشتوي نتيجة التقاط الموسمية الشتوية الجافة بخار الماء من على بحر اليابان لتسقطه بعد ذلك على أراضيها المطلة على الشاطئ الآسيوي.

وكان للموقع الجزري أيضا أثره في تلطيف مناخها إذا ما قورنت بقارية الصين، فضلا عن مرور تيار اليابان (كيروسيفو) الدافئ بجوار سواحلها الغربية، وأن حظيت أيضا سواحلها الغربية بالدفء نتيجة التيار الفرعي الذي يخرج من تيار اليابان والمعروف بتيار تسوشيما. وتغطي الغابات نحو نصف مساحة اليابان وبطبيعة الحال معظمها في المناطق الجبلية وهي نفضية أساسا في الجنوب، مخروطية صنوبرية أساسا في الشمال، ويجمع وسط اليابان بين النوعين.

لكل هذا تميز اللاندسكيب الياباني بدقائق التنوع والتغير السريع، لا توجد التراكيب الضخمة والغليظة كما في الصين (التبت ــ حوض تاريم) وإنما أشكال

صغيرة ودقيقة كالفسيفساء، فالمناخ مفتت متنوع كالتضاريس وكذلك النبات، ومن هنا كان جمال الطبيعة الأخاذ.

اليابان دولة غنية بشعبها وليس بمواردها :

يبلغ عدد سكان اليابان نحو ١٢٥ مليون نسمة، ولعل الضابط الأساسي في توزيع السكان هو التضاريس أكثر من المناخ باستثناء واحد في أقصى الشمال البارد في جزيرة هوكايدو، وفيما عدا هذا فالجسم الأساسي للسكان يتكدس في السهول والمنخفضات بأحواضها الساحلية المتقطعة، بينما تكاد تخلو المرتفعات والجبال الداخلية إلا من أشرطة من السكني الخفيفة أو المبعثرة على المدرجات بحيث يمكن القول بأن الخرائط الثلاث للسطح والأراضي الزراعية والسكان تكاد تكون متطابقة.

وحين ظهرت الصناعة وكان اعتمادها على الكهرباء أكثر تبعت السكان، أي زادت التوزيع القديم تأكيدا؛ فيما عدا كيوشو في الجنوب حيث ارتبطت الصناعات الثقيلة بحقول الفحم. وأحد أسرار هذه القوة الاقتصادية، يكمن في الفرد الياباني وحرصه الشديد ليس على حب الوطن والعمل فحسب، بل التفانى فيه والحرص على إنجازه على الوجه الأكمل، فالمواطن الياباني يتجه إلى العمل الجماعي في إطار من الولاء العميق، لأسرته، ومؤسسته ووطنه، لذا أصبحت اليابان دولة غنية بشعبها، وليس بمواردها، فنسبة التعليم في اليابان تصل إلى ١٠٠%، وهي من أوائل دول العالم التي استطاعت أن تمحو أمية شعبها، وتحافظ على تراث وثقافة هذا الشعب، بقدر ما تطبق أوسع درجات التقدم في أسلوب الحياة، فالفاصل هنا واضح المعالم، بين الالتزام بالتقاليد اليابانية القديمة في الحياة والعمل، وبين تطبيق المدنية الحديثة دون تداخل أو تعارض أو تأثير أي منها سلبا على الآخر.

إبحث عن شجرة إذا كنت تنشد ظلا :

وفي اليابان تعرض العمالة مدي الحياة على العمال الأساسيين في المؤسسات اليابانية، ولا يتجاوز معدل دوران العمل في اليابان ٣,٥ في المائة سنويا– أي في تغير الوظائف في السنة يعد أقل من مثيله في الولايات المتحدة

شهريا، وفي اليابان يكون الاحتفال الذي يشترك مستخدمون جـــدد عنـــد إلتحاقـــهم بالشركة في وظيفة مدى الحياة، شبيها بتقديم الولاء للسيد في العصـــور الوســـطي. وينظر العامل إلى ترك " مملكة الـــرب " أو شـــركة يابانيـــة باعتبـــاره " خيانـــة " فالمستخدم يجب أن يعطي الإخلاص في مقابل الأمن الذي تمنحه المؤسســـة إيـــاه. وكما جاء في نشرة لشركة يابانية أن معظم المستخدمين الجدد يبدو أنـــهم يقـــرون بالمثل السائر القديم، " إبحث عن شجرة كبيرة إذا كانت تنشد الظل " فالمرء يصبـــح ضمن مجموعة لها هدف أكبر من مجرد زيادة الأجر، من هذا المنظور ليـــس مـــن الصعب أن ترى حكمة فيما تفعله المؤسسات اليابانية التي تعطي ضمانات صريحـــة بعمالة مدى الحياة، باعتبارها جزءا من سعيها لخلق أيد عاملة أكثر إنتاجيـــة، وأن تعيش هذه العمالة في أمان.

ويكمن سر اليابان في أن اليابانيين استغلوا رغبة بشرية عامة في البنـــاء، وفي أن يصبح البلد القوة الاقتصادية الرئيسية في العالم، وهدفهم هو تحقيق أكـــبر حصة ممكنة في السوق (الغزو الاستراتيجي) وأقصى قدر من القيمـــة المضافـــة (الأرباح والأجور معا) وليس مجرد تعظيم الربح.

والإنسان ليس مجرد آلة تحقق زيادة في الاستهلاك ووقت الفـــراغ، فـــهو أيضا منتج وفي لغة الملصقات الإعلانية : فإن البشر قد يولدون ليتسوقوا، ولكنـــهم يولدون أيضا ليبنوا. وهذه الرغبة في البناء تولد ما يسمونه " اقتصـــاد المنتجيـــن " الياباني لتمييزه عن اقتصاد المستهلكين " الانجلو ساكسوني ".

هكذا نجد اليابان قوة اقتصادها كاسحة، تتبوأ المكانة العالميـــة الأســـمى، وتخشاها القوى الصناعية العملاقة في الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا.

تطورات البيت الياباني

مازال البيت الياباني التقليدي يثير منذ عشرات السنين، إعجاب كثـــير منـــه المهندســـين المعماريين، وهو اليوم يحظى باهتمام بالغ في المجلات المختصة بالديكور، وفي المطبوعات الفنية.

فهو وثيق الصلة بالطبيعة لأنه يبني من الخشب، ولأن بينه وبين العالم الخارجي ــ أي الحديقة ــ سلسلة لا تنقطع من مراحل الانتقال الدقيقة، ولما كان له سقف من القش وجدران من اللبن تقوم على ركائز، فإنه قادر على أن يتحمل حرارة الصيف حتى تصل إلى ٤٠° ومع نسبة من الرطوبة تبلغ ثمانين في المائة. وهو يستطيع بفضل مرونة بنائه أن يستوعب هزات الزلازل، كما يمكن تعديله بحيث يتواءم مع مختلف المناسبات بفضل فواصله الداخلية المنزلقة. إذ يكفي مثلا أن تُسحب أربعة أبواب من الورق (" فوسوما ") حتى تصبح الغرفتان غرفة واحدة. وهو تعبير مكاني عن تنظيم اجتماعي وأسري يحكم بشكل صارم ما هنالك من علاقات ومراتب بين الأفراد.

ولا يكف اليابانيون قط عن الحديث عن افتقارهم إلى المكان. وقد أخطأ النقاد الغربيون عندما وصفوا بيوت اليابانيين ومساكنهم الضيقة بأنها " أقفاص أرانب " حتى وإن أثار ذلك مرح اليابانيين الذين يعتقدون أن القمر يسكنه أرنب لا إنسان. وذلك أن المكان في اليابان سلعة عزيزة المنال لأن الأرض المتاحة للبناء تقدر بأسعار مفرطة الارتفاع.

ومما يحمد لليابانيين أنهم على الأقل يستغلون ما يتوافر في مساكنهم من مساحة أفضل استغلال، فغرفة تتسع لحصير يتألف من ست قطع (تاتامي) يمكن أن تبدو فسيحة الأرجاء إذا كانت قطعة الأثاث الوحيدة الموجودة بها هي مائدة صغيرة منخفضة، وكانت المقاعد ــ المتمثلة في خمس ــ وخمس لا غير) وسائد مسطحة مربّعة، مصفوفة في ركن من أركانها، وفيما عدا ذلك فكل ما يمكن أن يوجد في غرفة تقليدية كهذه ــ وهي لفافة مدلاة ووعاء من الزهور حسنة التنسيق، فالترف الحقيقي في نظرهم إنما هو خلو المكان من كل ما يشوبه أو يزحمه.

غير أن كل ذلك قد أصبح في ذمة الماضي، فبعد مرحلة من التطور التدريجي دامت لعدة قرون، لم يبق من البيت الياباني التقليدي إلا ما يشبه الذكرى في المدن الضخمة مثل طوكيو وفي الضواحي السكنية، فقد تغيرت عادات المعيشة الموروثة تغيراً جذرياً منذ نهاية الحرب العالمية الثانية نتيجة لحدوث تغيرات سريعة عميقة في أساليب البناء وما ترتب على ذلك من ظهور أنواع جديدة من المساكن الفردية والجماعية.

وثمة أسباب عديدة لهذا التغير، أسباب لا تقتصر على التأثير الغربي، وإن كان هذا التأثير هو سبب ظهور السرير في ٤٢ في المائة من البيوت اليابانية؛ فهو يوجد جنبا إلى جنب مع الفرش التقليدية (" فوتون ") التي توضع كل صباح في خزانة (" أوشير ") بعد تعريضها للشمس، ذلك أن السرير يحتل مساحة كبيرة في الشقق الصغيرة (إذ يبلغ متوسط مساحة الشقة في طوكيو ٥٨ م٢).

كذلك جاءت الكراسي من الغرب، فهي لم توجد في البيوت اليابانية قبل الحرب، ومن الممكن اليوم أن ترى في نطاق الشقة الواحدة مائدة وكراسي على النمط الغربي في إحدى الغرف. ومائدة منخفضة وحشايا في غرفة أخرى، ويرجع هذا الازدواج إلى انخفاض السقف نسبيا في المساكن التي تبنى بالجملة، بالإضافة إلى قوة العادات والتقاليد، وذلك أن حجم الغرفة يختلف في نظر الرائي وهو جالس على الأرض عنه وهو على كرسي، يضاف إلى ذلك أن عدد الأشخاص الذين يمكن إجلاسهم على حشايا حول طاولة منخفضة أكبر من عدد الذين تتسع لهم الكراسي حول مائدة من الطراز الغربي.

بيد أن أهم التغيرات التي طرأت على طريقة السكني في اليابان ترجع إلى أسباب محلية، فبينما ألف الناس في الماضي أن يناموا ويأكلوا ويدرسوا في نفس الغرفة، ظهر تُخصص في المسكن المعاصر كل غرفة قائمة بذاتها لكل غرض، ومرجع هذا التجديد هو الحرص على تحسين مستوى النظافة قد إزداد في اليابان في فترة ما قبل الحرب، وتولدت عنه فكرة تخصيص غرفة للنوم وأخرى للطعام.

وكان مبتكرو هذه الفكرة يتوقعون زيادة كبيرة في مساحة المساكن التي تنتج بالجملة بعد الحرب، ولكن خابت توقعاتهم. ومن أسباب ذلك كثافة السكان في المدن الكبرى، بحيث أصبح متوسط مساحة الشقق المعروضة للإيجار لا يزيد على ٤٣م٢. ومن هنا كانت كل الغرف صغيرة، وحُددت لكل منها وظيفة واحدة، ولو أنها كانت تفضي كل منها إلى الأخرى كما كان الأمر في الماضي، لكان من السهل تقبل صغرها. ولكن استخدام الخرسانة المسلحة في بناء العمارات السكنية قد أدي إلى زيادة عدد الجدران في المساحات المخصصة للسكني، وذلك بدلا من الفواصل المتحركة التي كانت مألوفة في المساكن الخشبية من قبل.

وقد يستوقف نظر الزائر الغربي إذا دخل بيتا يابانيا اليوم بعض الملامح والعادات الخصوصية التي يبدو أنها استطاعت البقاء. ومن ذلك مثلا خلع النعلين في المدخل والسير على حصيرة " التاتامي " في بعض الغرف والفجوة الجدارية التقليدية (توكونوما) في ركن الغرفة والتي تأوي الآن جهاز التلفزيون بدلا من التشكيلات النباتية (اكيبانا) كما كان يحدث في الماضي، غير أن هذه السمات " الطريفة " لا ينبغي أن تنسي الزائر أن هذه المساكن التي بُنيت من الخرسانة والتي تُدفأ في الشتاء ويُكيف هواؤها في الصيف تثير من المتاعب ما لم يكن مألوفا في الماضي وأنها ــ كما بيّنت البحوث مؤخرا ــ مصدر ضيق وتوتر بالنسبة للسكان الوافدين من الريف؛ فهم قد ألفوا طريقة مختلفة في الحياة.

تطور الأحوال الاقتصادية :

تخيل أن دولة غنية مزدحمة بالسكان الذين يبلغون نحو ١٢٥ مليون نسمة، يعيشون على مساحة قدرها ١٤٥ ألف ميل٢، وهي وبمساحتها هذه تعادل إحدى الولايات الأمريكية، بل ومعظم هذه الجزر جبلي، بحيث لا يزيد المسكون منها على ١٨% من تلك المساحة، وتتعرض هذه الجزر للبراكين والزلازل بين الحين والحين، خالية من البترول، وحظها من الفحم، والمواد الخام اللازمة للصناعة وكذلك الأراضي الزراعية قليل، كانت يابان اليوم إحدى الدول النامية في حاجة إلى المعونات الغذائية والقروض، فإن المبرر مائل أمامنا، في اكتظاظ سكاني، ونقص في الأراضي الزراعية، وفقر في الخامات وموارد الطاقة، ولكن مما حدث غير ذلك.

إذا أدركنا حين تقييمنا للصين وافترضنا قيامها كقوة كبرى، فإن هذا يعكس ما حدث لليابان في القرن التاسع عشر، حين تولي الحكم أناس متفتحو الأذهان، مجدون، ذلك أنه بانتهاء القرن إلا واليابان قوة اقتصادية، وعسكرية، ومن المصانع حول طوكيو وغيرها خرجت الأسلحة والذخيرة والطائرات الحربية في الثلاثينيات والتي ساعدت اليابان على أن تصبح مركز إمبراطورية استعمارية ضمت كوريا، وشمال شرقي الصين، وجزر ريكيو، وتايوان، والجزء الجنوبي من سخاليين وشاهدت الحرب العالمية الثانية زيادة رقعة المستعمرات اليابانية، ففي ديسمبر ١٩٤١ كانت اليابان قد توغلت في مساحات كبيرة من الصين الأصلية، والمستعمرات الفرنسية في الصين الهندية، ومعظم الجزر الغربية في المحيط الهادي، ثم كانت المفاجأة في بناء حاملة الطائرات التي جعلت الطائرات اليابانية في مدي ميناء بيرل هاربر حيث فاجأت الأسطول الأمريكي في هاواي ودمرته عن آخره، مما زاد ثقة اليابانيين في آلتهم الحديثة، استولت بعد ذلك على الفلبين، وجزر الهند الشرقية (إندونيسيا) وتايلاند، وبورما، والملايو، ولكن ما هي ألا بضع سنوات حتى انتهت أسطورة القوة اليابانية بضرب الولايات المتحدة الأمريكية مدينتي هيروشيما ونجازاكي بقنبلتين ذريتين عام ١٩٤٥، وتم القضاء على اليابان بالكامل.

وفي الواقع إن صعود اليابان من أنقاض الحرب العالمية الثانية وتبوأها مكانة القوى الاقتصادية العظمي هو قصة النصف الثاني من القرن العشرين، فقد خسر اليابان الحرب وفقدت الإمبراطورية، ولكنها حققت اقتصاديات عالمية على المستوى الاقتصادي، عملاقا صناعيا، يعمل بأحدث الطرق التكنولوجية، ومجتمع حضري بالدرجة الأولي، ودولة رفاهية، فلا توجد مدينة في العالم لا تجري فيها السيارات اليابانية ولا تخلو من آلات التصوير اليابانية ، والعدسات، والأجهزة اليابانية، من أفران المايكرويف إلى السفن المحيطية، وغيرها التي أغرقت بها اليابان العالم.

غير أن مغامراتها الاستعمارية القصيرة ساعدت على نجاح من نوع آخر، في دول النطاق الهامشي نتيجة استغلالها الموارد الاقتصادية والبشرية، ذلك أنها فتحت أذهان سكان فرموزا (تايوان)، وكوريا على نظام اقتصادي جديد، وبعد انتهاء الحرب الثانية كان لدي فرموزا، وكوريا بالإضافة إلى الخبرة اليابانية الاستعداد لدخول الأسواق العالمية لا موازين بل منافسين لليابان ذاتها.

الزراعة :

<u>الغذاء في اليابان :</u>

تبذل اليابان جهودا خارقة لاستغلال المساحة الصالحة للزراعة، سواء في سهول أو منحدرات سفوح جبالها، وذلك باستخدام أصناف الأرز العالية الإنتاج ، والتسميد والري، وإدخال الآلات، نظرا لهجرة السكان نحو الحضر الصناعي، فبينما كانت الزراعة تضم أكثر من ٥٠% من القوى العاملة عام ١٩٢٠، أصبحت الآن حرفة ٨% فقط من السكان، وحتى هؤلاء يعملون بها بعض الوقت، ويكسبون عيشهم من حرف غير الزراعة بقية الوقت، وحتى تحد الحكومة من هجرة الأرض الزراعية، ترفع الحكومة أسعار المحاصيل الزراعية بطريقة غير طبيعية، وعندما حدث العراك بين الولايات المتحدة الأمريكية واليابان في التسعينيات فيما يختص بحجم وقيمة تدفق السلع بين الجانبين، وعرضت الولايات المتحدة الأمريكية أن يمد المزارع الأمريكي المستهلك الياباني بالأرز الأمريكي بسعر يبلغ سدس سعر الأرز

الياباني، ومع ذلك لم تجد سوقا مفتوحة في اليابان على نحو ما وجدت اليابان أسواقا مفتوحة في الولايات المتحدة الأمريكية لسياراتها.

الغذاء الياباني غنيا بالنشويات وعلى رأسها الأرز ثم القمح والشعير والبطاطس فالأرز سيد المحاصيل في اليابان، له وحده أكثر من نصف المساحة، والنصف الآخر للقمح والشعير والشليم والشوفان تقريبا، وبطبيعة الحال الأرز في الجزر الجنوبية، والقمح والشليم في الجزر الشمالية، ولما كانت مساحة الأرض محدودة، فإن ضغط الزراعة لا يسمح بزراعتها بنبات العلف، وبالتالي تتقلص الثروة الحيوانية، ولكنهم عوضوا مراعي البر، بحصاد البحر، خاصة وأن الجزر اليابانية ملتقى تيارين أحدهما جنوبي دافئ (كيروسيفو) والآخر شمالي بارد (كمنشستكا) مما يخلق بيئة بحرية ممتازة للأسماك، ولا يقتصر الصيد على مياه اليابان، بل بامتداد المحيط من المنطقة القطبية الشمالية إلى نظيرتها الجنوبية، ولو أن الجزء الأكبر من صيدها في المياه الإقليمية، وتقود اليابان العالم في الصيد البحري، فلها ما يقرب من $\frac{1}{4}$ إلى $\frac{1}{3}$ الإنتاج العالمي، ومن ثم فللأسماك مكانتها في حياة اليابانيين، حتى لتصبح هي السلعة الغذائية الوحيدة التي تعرف فيها اليابان فائضا للتصدير، خاصة وان أساطيل الصيد الحديثة مجهزة، وكأنها مصانع متحركة، ولا يعادل صناعة الأسماك في اليابان أي صناعة مماثلة في الولايات المتحدة الأمريكية أو غرب أوربا، هذا فضلا عن تربية الأسماك في حقول الأرز والبرك الصناعية. ومع ذلك فهي بعيدة عن الاكتفاء الذاتي غذائياً، فهي مستوردة للغذاء من الولايات المتحدة الأمريكية، وكندا واستراليا.

مهد الانقلاب الصناعي في آسيا رغم فقرها في الخامات وموارد الطاقة:

وإذا كانت بريطانيا مهد الانقلاب الصناعي في أوربا، فاليابان مهد الانقلاب الصناعي في آسيا، وأن تأخرت عنها بنحو قرن.

وتتميز اليابان بعدد قليل من المعادن ذات القدر، ويتمثلان في الفحم والحديد وان كان إنتاج الحديد لا يقارن بإنتاج الفحم، وإنتاج الفحم لا يتجاوز ٥٠ مليون طن في العام، ومن أهم حقوله حقل جوبان على الساحل الشرقي لهونشو، ثم

نجده في أقصى الشمال وأقصى الجنوب، وسط جنوب هوكايدو، الأخر حقل أتشـيكو في شمالي غربي كيوشو.

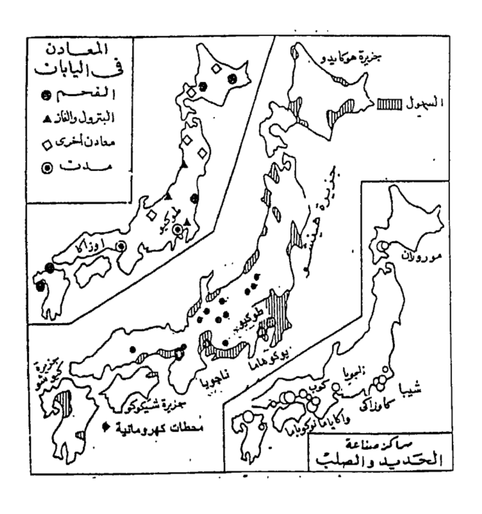
أما الحديد فلا يتجاوز إنتاجها منه ٣ ملايين طن وبالتالي تستورد اليابـان ٩٠% من احتياجاتها من الخارج، كما تتعامل أيضا مع الحديد الخردة من الولايـات المتحدة الأمريكية وتقتصر مناجم الحديد على حقلين هما كامايشـي فـي شـمالي هونشو، وكوتشان في جنوب هوكايدو.

قامت الصناعة في اليابان منذ أكثر من قرن، ولكنها كانت تقتصـر علـى الصناعات الخفيفة، والرخيصة كاللعب والكبريت، والورق، والزجاج، والخزف، ولكن الحرب العالمية الثانية كانت معلما في تاريخ الصناعة، فبعد أن دمرت تلك الحـرب اليابان وصناعتها تدميرا شاملا، فلم تقفز الصناعات اليابانية إلى الصناعات الهندسة والسـيارات والآلات المعدنيـة والسـفن فضـلا عـن البتروكيماويـات والأليـاف والمنسوجات والإلكترونيات والأجهزة الكهربائية بأنواعها المختلفة، بل أنها تفوقـت على الدول البحرية في صناعة السفن، خاصة ناقلات البترول، هكذا اتجهت اليابـان نحو التحديث بعد أن تسلم المصلحون والمجدون السلطة في اليابان عام ١٨٦٨ فيما يعرف باسم نهضة الميجي، أي الحكم المستنير ودعامته الامبرطور Meji فرجعـت اليابان إلى بريطانيا لتستفيد بخبرتها في التحديث لاستعادة عافية الاقتصاد اليابـاني، وفعلا قدم البريطانيون مشروعات في كثير من البنية الأساسية كمشروعات المـدن، وبناء شبكات السكك الحديدية، وتوطين الصناعة، والتعليم، ومازال الأثر البريطـاني ظاهرا في قيادة السيارات على الجانب الأيسر للطريق (لاحـظ المشكلة بالنسـبة للولايات المتحدة الأمريكية إذا أرادت أن تصدر سيارات لليابان).

الأقاليم الصناعية الرئيسة:

يعتبر سهل كانتو الصناعي والمزدحم بالسكان هو الإقليم القائد في اليابـان ففيه وحده ثلث العمالة الصناعية، ويرتكز على مجمـع مـدن طوكيـو، يوكاهامـا، كواسكي، هذا التجمع الحضري العملاق (أكبر تجمع على مستوي العـالم) والـذي تتخلله أشرطة المزارع يميل المجمع الصناعي الشرقي لليابان، فهو يمتد باسـتطالة

مكونا منطقة النواة، وساعد على ذلك عوامل جغرافية ممثلة في ســـهولة الســطح، فضلا عن مرفأ يوكوهاما الطبيعي، مناخه المعتدل الرطب، وموقعه المركزي بالنسبة لليابان ككل، وإن كانت مشكلته الأساسية أنه عرضة للزلازل، كما يستفيد أيضا مـــن قربه من طوكيو العاصمة، كثير من المؤسسات الصناعية والمالية حيث تفضـــل أن تتخذ من طوكيو مراكز لرئاستها.



شكل رقم (٢٠)

هكذا يصبح مجمع طوكيو يوكوهاما / كواسكي الرهيب هو القائد في مجـــال الصناعة لا من حيث القوة العاملة الصناعية فحسب، بل له وحدة نحـــو ٢٠% مـــن

مجموع الإنتاج الصناعي الياباني، معتمدا على خاماته التي تأتيه من كل صوب، فإذا ضربنا مثلا بإقليم طوكيو وهو من الأقاليم الرئيسية لإنتاج الصلب فيستورد خام حديد من الفلبين وماليزيا، والهند، واستراليا، بل وأفريقيه، كما يستورد معظم الفحم اللازم من استراليا وأمريكا الشمالية، كما يحصل على بتروله من الخليج العربي وإندونيسيا، ولما كان إقليم كانتو (حيث تقع طوكيو) لا ينتج ما يكفي سكانه من الغذاء، فلابد من استيراد الغذاء لهذا العدد الضخم من كندا والولايات المتحدة الأمريكية واستراليا، هكذا يعتمد إقليم طوكيو على الاستيراد سواء للمواد الخام والمواد الغذائية اللازمة لسكانه، مقابل صادراته التي تتدرج من أصغر لعب الأطفال إلى أدق الأجهزة البصرية والسفن العملاقة.

أوزاكا / كوبي / كيوتو :

الإقليم الصناعي الثاني، ويعرف بإقليم كانساي Kansai الذي يقع في النهاية الشرقية للبحر الداخلي، وكان لموقع مجمع أوزاكا / كوبي بالنسبة لمنشوريا (التي كانت اليابان قد احتلتها فترة ما)، موقعا مناسبا فكان القاعدة الرئيسية للتجارة مع الصين وقت احتلال اليابان لها، كما يعتبر المركز الرئيسي لصناعة السفن، وموانيه من أكثر موانى اليابان ازدحاما تصديرا واستيرادا، هذا فضلا عن أنه يقع في إقليم من أهم الأقاليم الزراعية، والأرز هو المحصول الرئيسي، وإن كان كإقليم زراعي لا يرقى إلى سهول كانتو، ويتجمع فيه كم ضخم من السكان في حاجة إلى المواد الغذائية.

هكذا يعتبر سهل كانتو وإقليم كانساي هما الإقليمان الصناعيان الرائدان وبينهما نوايات أصغر ممثلة في كوبى/ وفيها تبرز ناجويا كمركز صناعي للإقليم القائد في صناعة المنسوجات، كما أن إنتاج إقليم ناجويا زراعيا أكبر من كانسي وأصغر من كانتو، وأن كان إقيم ناجويا ليس له مركزية طوكيو ولا موقع أوزاكا على البحر الداخلي واتصاله بطوكيو يتم عنى طريق الشريط الساحلي، كما أن ميناءها دائم الاطماء.

وتظهر نوايات أخرى على شواطئ البحر الداخلي/ مثل تلك التي نمت على

خليج شيمونسكي، وهو مجمع لخمس مدن في شمالي جزيرة كيوشو يمثل مجمعا لصناعة المنسوجات، وترتبط جزيرتي كيوشو وهنشو بالطرق وأنفاق للسكك الحديدية، وهناك أيضا إقليم هيروشيما بقاعدته ذات الصناعات الثقيلة.

كما تظهر فوكاكا ونجازاكي كمراكز لصناعة السفن على ساحل مضيق كوريا، أما المجمع الصناعي الوحيد خارج ذلك الحزام الممتد من طوكيو في الشرق إلى كيتاكيوشو الغرب هو إقليم توياما المطل على بحر اليابان مستفيدا من الطاقة الكهرومائية الرخيصة وينتج الورق والكيماويات، وأخيرا هناك آلاف المصانع الصغيرة والمتوسطة التي تعمل في المدن الكبيرة والصغيرة حتى في أقصى شمال جزيرة هوكايدو وهذه الجزيرة ترتبط بدورها بجزيرة هنشو (الرئيسية) بنفق سكك حديدية.

طوكيو

يطلق على كثير من المجمعات الحضرية اسم المدينة التي تمثل قلبها، وهكذا الحال في طوكيو، هي الكبرى (٢٧,٥ مليون نسمة) فحتى الاسم الكبير طوكيو / يوكاهاما / كواسكي، لا يشمل المدن الصغيرة التي يضمها هذا المجمع الكبير الذي يحيط بخليج طوكيو، ومازال هذا المجمع يتمدد شمالا وجنوبا، وقد تمددت طوكيو ذاتها إلى سفوح الجبال والأودية المحيطة بالخليج، ومن ثم نجد الطرق في هذه الجهات الأخيرة كثيرة التعاريج وضيقة، وتصعب حركة المرور وتبطئ، لذلك لجأت اليابان لحل هذه المشكلة بالأنفاق والكباري العلوية والمونوريل (خط سكك حديد بقضيب واحد تزيد سرعة على ٣٠٠ كم في الساعة، وان كانت مشكلة المرور تظهر رغم ذلك ساعة الذروة، ويقع القصر الإمبراطوري فى قلب المدينة، وتتميز المباني بأنها قليلة الارتفاع، ولكن إذا ما بعدنا قليلا عن هذا الإقليم، ظهرت ناطحات السحاب السامقة، وغير بعيد طريق جينوا أشهر شوارعها، حيث المتاجر والأسواق الثرية والمخازن الكبرى، ويمكنك أن ترى برج طوكيو (يشبه تورإيفل في باريس) والذي يجذب السائحين، ولكن الهوائيات ترتفع فوقه لتسجيل الزلازل، وللإرسال الإذاعي، والتلفزيوني، وقياس التلوث الهوائي.

ومن مظاهر التغير أيضا هو انتشار بيع الأكل الجاهز السريع الهامبورجر هوت دوج .. والإقبال المنقطع النظير عليها، وانتشار ملابس الجينز سواء عند الشباب أو الشابات واختفاء الكيمونو بدرجة كبيرة بين السيدات، وهو الملبس الوطني بالنسبة لهن.

ورغم أن طوكيو تعتبر مثالا للحداثة والعصرنة، ولكن المعابد البوذية، ومعابد الشنتو تعكس نجاح اليابان في الجمع بين الحديث والقديم معا، مما ينعكس أثره على اللاندسكيب (الهيئة) الحضاري لليابان.

شبة جزيرة كوريا (*)

تبرز شبه جزيرة كوريا في بحر اليابان بسكان يبلغون ٧٠ مليون نسمة، أراضيها جبلية في معظمها، على العكس اليابان ظلت كوريا أرض نزال أو مخلب قط بالنسبة لجيرانها، الصين واليابان، فعندما حررت من الاستعمار الياباني في عقب الحرب العالمية الثانية قسمت كوريا إلي قسمين يفصل بينهما خط ٣٨° شمالا، وهو خط وقف إطلاق النار بعد الحرب التي استمرت (١٩٥٠ / ١٩٥٣) وأصبحت هناك كوريا الشمالية ذات النفوذ الصيني ـ السوفيتي وكوريا الجنوبية ذات النفوذ الأمريكي، لم تتحد الكوريتان منذ ذلك الحين: الشمالية سارت على النهج الشيوعي، أما كوريا الجنوبية التي وجدت المساعدات من الولايات المتحدة الأمريكية واليابان، فد أصبحت جزءا من العالم الرأسمالي المطل على المحيط الهادي، كل يتجه اتجاه مخالف للأخر، وأصبح خط الحدود الاصطناعي بمثابة حائط مانع بين الجانبين يفصل بين نظامين مختلفين وعائلات واحدة.

وإذا قلنا ثلاثية جاكوتا فلاشك تخرج منها كوريا الشمالية لأن ظلال الصين تخيم عليها، لطبيعة النظام الاقتصادي والسياسي في كليهما، كذلك ضعف اتصالات كوريا الشمالية مع الخارج، وهي في هذا أشبه بأقاليم الصين الداخلية، فليست هناك سلع كورية شمالية في الأسواق، ولا يظهر ممثلون لهم في المؤتمرات الدولية أو في الجامعات الغربية، من ثم فزوار كوريا الشمالية المعدودون يرون الفرق عظيما بين الجنوبية والشمالية، بين بيونج يانج عاصمة كوريا الشمالية، وسول عاصمة كوريا الجنوبية، بين الشمالية الزراعية والجنوبية الصناعية، من المصانع الثقيلة في الشمال والمصانع التي تستخدم أحدث التقنيات في الجنوب، والذي لوحظ من منتصف التسعينات أن كوريا الشمالية قد دخلت ميدان الأسلحة النووية وكانت قد وقعت على اتفاقية حظر التجارب النووية ولكنها في ينلير ٢٠٠٣ طالبت مفتشي هيئة الطاقة الذرية بمغادرة أراضيها، وفكت الأختام عن المفاعلات

(*) يرجع اسم كوريا إلى اسم المملكة القديمة كوريو (٩١٨ ــ ١٣٩٢) وكلمة كوريو معناها " العالي " ترمز بذلك إلى سماء كوريا الزرقاء.

النووية، وهددت بالانسحاب من اتفاقية الحظر النووي، وإذا حاولت الولايات المتحدة الأمريكية فرض أي عقوبات عليها، فهذا معناه إعلان الحرب عليها الأمر الذي يثير حفيظة الولايات المتحدة الأمريكية واليابان وكوريا الجنوبية.

ظروف شبه الجزيرة الطبيعية :

تشبه كوريا جزر اليابان في مظهرها الذي يغلب عليه الصفة الجبلية، هذه السلاسل الجبلية التي تنتمي إلى عصور جيولوجية مختلفة، فتمتد سلسلة جبلية من الشمال إلى الجنوب بارتفاع يبلغ نحو ١٠٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر، على حين أن قممها قد تسمو إلى ما يزيد على ٢٥٠٠ متر، وقد قطع نهر يالوا، وتومين اللذان يصبان في خليج كوريا ورافدهما على تقطيع هذه السفوح الجبلية على هيئة خوانق غائرة، وتنحدر سفوح المرتفعات بشدة نحو بحر اليابان. في حين أنها أكثر تدرجا نحو البحر الأصفر، من ثم كان انحدار الأنهار شديدا فوق السفوح الشرقية، وأقل انحدارا نحو الغرب.

أما السهول فهي ساحلية أو فيضية محدودة في اتساعها، ويتميز ساحلها الشرقي بخلوه من الخلجان والتعاريج، ولا توجد جزر بالقرب منه، من ثم كان قليل السكان إلا من الصيادين الذين يزرعون مساحات بسيطة من الأرز والذرة يستكملون بها غذائهم، على عكس الساحل الشرقي المطل على البحر الأصفر كثير التعاريج والنتوءات، ويمتد على طوله آلاف الجزر، كما أن مظهر أراضيه سهلية، من ثم كان أكثر أجزاء كوريا سكانا، فضلا عن إمكان قيام الزراعة وخاصة في القسم الجنوبي، ونظرا لامتداد هذا الجزء إلى ما يقرب من درجة عرض ٣٤ْم جنوبا، أمكن زراعة محصولين في العام ويحصد الأرز المحصول الرئيسي في أكتوبر، على حين يحصد القمح والشعير في يونيه قبل سقوط أمطار موسمية الصيف، ويقع هذا الإقليم الزراعي الضخم في كوريا الجنوبية.

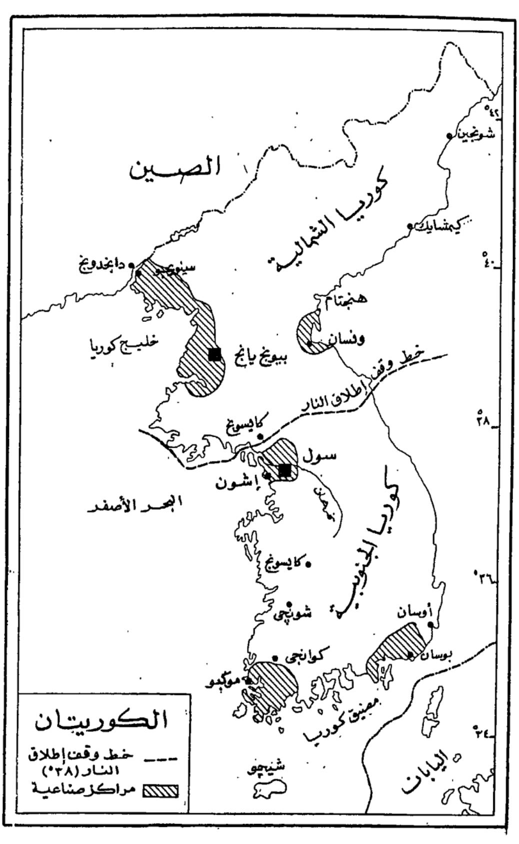
قلنا أن أراضيها جبلية معظمها، وأما مناخها فيشبه مناخ إقليم شمال الصين، تنخفض الحرارة دون درجة التجمد لمدة شهر على الأقل، خلال فصل

الشتاء. وعلى الرغم من الجفاف الواضح خلال فصل الشتاء تبعا لخـــروج الريـــاح الموسمية من قلب آسيا متجهة صوب المسطحات المائية، فإنه يسقط فوق الســـاحل الشرقي لشبه الجزيرة قدر كبير من الثلوج، على حين ترتفع درجة الحرارة تدريجيـا في فصل الصيف، ويعد هذا الفصل كذلك، موعـــد ســقوط الأمطـــار (٨٠ سـم ـ ١٠٠ سم) وحدوث الفيضانات بأنهار شبه الجزيرة، وتعزر كمية الأمطار الســنوية الساقطة فوق الساحلين الجنوبي والشرقي لشبة جزيرة كوريا، وتقل كمية الأمطـــار كلما اتجهنا نحو الشمال الغربي، أي إلى مناطق ظل المطر.

وتبعاً للمظهر الجبلي من ناحية، وغزارة أمطار فصل الصيف فوق معظـم أجزاء شبة جزيرة كوريا، وسقوط الثلوج فوق ساحلها الشرقي من ناحيـــة أخــرى، تغطي الغابات نحو ٧٠% من مساحة شبه جزيرة كوريا، ومن ثـــم عنيــت البـــلاد بالثروة الغابية بإعادة زراعة كثير من الغابات علـــى الســفوح الجبليـــة الشـديدة الانحدار، وأهمها الغابات المعتدلة الباردة والباردة. ومن أكثر الأشجار إنتشاراً بشـبة الجزيرة أشجار الصنوبر، والشربين في الشمال، والزان والبلـــوط، والكـــافور فـــي الجنوب.



مغولي في كوريا الشمالية.



الصين
كوريا الشمالية
كوريا الجنوبية
اليابان
خليج كوريا
البحر الأصفر
مضيق كوريا
خط وقف إطلاق النار
شونجين
كيمشايك
دابجدونج
سينويجو
هنجنام
ونسان
بيونج يانج
كايسونج
سول
إشون
كايسونج
شونچى
أوسان
بوسان
كوانجى
موكپو
شيچو
٤٢°
٤٠°
٣٨°
٣٦°
٣٤°
الكوريتان
خط وقف إطلاق النار (٣٨°)
مراكز صناعية

شكل رقم (٢١)

كوريا الجنوبية

تمتد بمساحة ٤٥% من مجموع شبة الجزيرة،أو ٩٩ ألف كم٢، ومع ذلك نصيبها ثلثي السكان (نحو ٥٠ مليون نسمة)، برزت كأحد النمور في النطاق الهامشي لآسيا، والأمر الذي يمكن أن يزيدها قوة إذا ما اتحدت الكوريتان لأنهما يكملان بعضهما بعضا، فكوريا الشمالية بها الخامات التي تحتاجها صناعة كوريا الجنوبية وتنتج كوريا الجنوبية الغذاء الذي تحتاجه كوريا الشمالية، وتنتج كوريا الشمالية الأسمدة التي تحتاجها كوريا الجنوبية لزراعتها، ومع ذلك فقد أدارت كل دولة ظهرها للأخرى، فكوريا الشمالية بحديدها وفحمها وقواها الكهربائية هو من أوليات احتياجات الجنوبية، ولكن تأتي علاقاتها مع الصين وبروسيا بالدرجة الأولي، على حين أن توجه كوريا الجنوبية في علاقاتها الخارجية مع اليابان والولايات المتحدة الأمريكية وأوربا الغربية.

أحد النمور الآسيوية :

ولم يكن في الحسبان عندما انتهت الحرب العالمية الثانية أن كوريا الجنوبية سوف تصعد سريعا في سلم الاقتصاد العالمي، فقد كان ٧٠% من السكان يعملون في الزراعة، وكانت الموارد الزراعية عاجزة عن كفاية حاجة السكان، أي اقتصاد راكد، ولكن المساعدات الأمريكية الضخمة التي ضخت في الاقتصاد الكوري كجزء من سياستها لاحتواء الاتحاد السوفيتي وأتباعه، وكذلك المساعدات اليابانية والخبرات اليابانية التي قدمت لكوريا فيما بعد أدت إلى تحول شامل، أعيد تنظيم الزراعة، الغي النظام الإقطاعي وأصبحت الملكية عائلية في حدود ٨ أفدنه مع برامج للتسميد، مما أدي إلى الكفاية الذاتية من الاحتياجات، وأحيانا يبقي الفائض للتصدير.

ارتفع نصيب الفرد من الدخل القومي من ٨٧ دولار عام ١٩٦٢ إلى ٩٦٢٨ دولار عام ٢٠٠٠، كما بلغت الاستثمارات الأجنبية ٥٣٢ مليون دولار عام ١٩٨٠، ارتفعت إلى ١٦ مليار دولار عام ٢٠٠٠. وحين بدأت نهضة الصناعة كانت متواضعة تعتمد على الخامات المحلية ووفرة الأيدي العاملة، ورخصها، والمعونات

الخارجية والأسواق خاصة أسواق الولايات المتحدة الأمريكية. ونجحت السياسات الحكومية في القفز الاقتصادي حتى أصبحت في أواخر الثمانينيات واحداً من أكبر عشر قوي تجارية في العالم، فأصبحت للسفن بناءه، وازدهرت ونمت بسرعة صناعة السيارات، وتجمع كوريا الآن بين صناعة المنسوجات والملابس الجاهزة، وصناعة الصلب، وبناء السفن، والسيارات، والكيماويات والإلكترونيات، وأصبحت الأخيرة على رأس قائمة الصادرات بدءا من الترانزستور، والتلفزيونات، ومسجلات الصوت والصورة، وأجهزة الحاسبات الإلكترونيات الدقيقة، وتأتي صناعة السيارات في مقدمة الصادرات الكورية، وإن وجدت تحديات من الجارة الكبرى اليابان، كما تخشاها أيضا الولايات المتحدة الأمريكية.

ويرتبط بهذه الصناعة أسماء شركات أصبحت عالمية في تصنيع وتسويق السيارات مثل هيونداي، كيا، دايو. ومن مؤشرات هذا الازدهار أن سول (*) أصبح تعدادها ١٢ مليون نسمة، وتعتبر المدينة الحادية عشر في العالم ترتيبا. وهي مأوى لمجمعات صناعية ضخمة في مواجهة البحر الأصفر، وتقع سول العاصمة على نهر هان، وموقعها هذا مثالي بالنسبة للكوريتين ومعناه العاصمة باللغة الكورية، وقد قامت بهذه الوظيفة من القرن الرابع عشر حتى القرن العشرين، ولكنها بعد التقسيم أصبحت تقع في الركن الشمالي الغربي لكوريا الجنوبية، ولا يوجد خط الحدود أو خط وقف لإطلاق النار بعيدا عنها، هذا الخط الذي يقطع مصب نهر هان وبالتالي يحرم سول من مصب النهر ومن ثم ظهر ميناء إنشون Inchon لخدمتها، ولا تعتبر سول عاصمة لكوريا الجنوبية فحسب، بل هي المركز الصناعي القائد يصدر كما ضخما من المنسوجات والملابس والأحذية، والسلع الإلكترونية والسيارات ... الخ حتى ليطلق عليها قلب كوريا.هاجر إليها مئات الآلاف من عمال المزارع بعد انتهاء الحرب الكورية، وأصبح الان يعيش في الريف نحو ٢٥% من السكان فقط، كما هاجروا أيضا إلى أوسان ثاني أكبر مجمع صناعي وتقع على مضيق كوريا مواجهة لجزيرة هنشو، ولم تكن أوسان التي تقع على بعد ٦ كم شمال بوسان منذ ربع قرن

(*) معناها العاصمة باللغة الكورية.

أكثر من قرية من قرى الصيادين بسكان يبلغون نحو ٥٠ ألف نسمة، أصبحوا الآن ثلاثة أرباع مليون نسمة، ويعمل أكثر من نصف عائلاتها في مصانع هيونداي للسيارات وكذلك صناعة السفن.

ولا شك أن نجاح كوريا الاقتصادي قد آثار حفيظة المنافسين بما فيهم الحلفاء الرأسماليين (لليابان) فالمنسوجات الكورية، وقطع الغيار الرخيصه لاشك منافس خطير لنظيرتها اليابانية، وأسعار سياراتها المنخفضة أدت إلى اقتطاع جزء كبير من سوق السيارات اليابانية والأمريكية والأوربية، ومع ذلك فكوريا مستمرة في الصعود على السلم الاقتصادي الذي تجلس اليابان على قمته.

والآن بعد كل النجاح الذي لاقته كوريا الجنوبية، مازال العامل يعمل أكثر من ١٢ ساعة يومياً وبذلك يزيد على الساعات التي يعمل فيها العامل الألماني الذي يعمل ٧ ساعات فقط، ولا يتمتع العامل الكوري بإجازة أكثر من أسبوع في العام، على حين أن العامل الألماني يتمتع بأكثر من أربعة أضعاف هذا الرقم على أساس أيام العمل فقط.

أدى هذا إلى أن أصبحت تشغل المقعد السادس في ميدان الصناعات الإلكترونية وأجهزة تقنية المعلومات، والخامس في صناعة السيارات. ومع ذلك مازالت القاطرة تسير باندفاعها دون هوادة.

ورغم أن الوضع ظل متأزما ، واستمرت الحرب الباردة بين الكوريتين طول نصف قرن، كما يوجد أكثر من مليون جندي حول خط الحدود بينهما، فقد حدث تقارب أخيراً بين الكوريتين، وتمثله دخول استثمارات كوريا الجنوبية في كوريا الشمالية، فعلي سبيل المثال زادت مجموعة شركات سامسونج وهيونداي العلاقات التجارية بين الشمال والجنوب إلى ٣٣٣ مليون دولار عام ١٩٩٩ وكذلك زاد عدد السياح من كوريا الجنوبية إلى الشمال بنحو ١٦٠ ألفا في ذلك العام، كما افتتح خط ملاحي ين الدولتين، كما قام رئيس كوريا الجنوبية بزيارة كوريا الشمالية في يونيه ٢٠٠٠، واتفق الطرفان على بناء طرق وسكك حديدية عند المنطقة الحرة

بينهما، كما سمحت السلطات بتبادل الزيارات بين الأقارب الذين انفصلوا لنحو نصف قرن، ولعل هذا التقارب ينتج عنه أن تصبح الجسر الذي يصل إلى روسيا، وتحقيق هدف مشترك هو مد أنابيب بترول وغاز من سيبيريا إلى كوريا الجنوبية بدلا من الاعتماد كلية على غاز الشرق الأوسط.

كوريا الشمالية

(جمهورية كوريا الشعبية)

إلى الشمال من خط ٣٨ تمتد كوريا الشمالية في مساحة تبلغ ١٢٠ ألف كم٢ وبسكان يبلغون ٢٣ مليون نسمة وتختلف كوريا الشمالية عن كوريا الجنوبية في عدة أمور غير الاتجاهات السياسية والاقتصادية، وارتباطها بالصين وروسيا بالدرجة الأولي، فهي أكثر بعدا نحو الشمال، وبالتالي يقصر فصل الإنبات، فلا يمكنها زراعة الأرض بمحصولين كما هو الحال في كوريا الجنوبية، وهناك غلبة التضاريس المرتفعة وقلة مساحة السهول، وكان للطبيعة الجبلية الشديدة التضرس وبسفوح الشديدة الانحدار أن قلت المراعي، وازدادت مساحة الغابات، ومع ذلك فسكانها زراع بالدرجة الأولي، يقومون بزراعة الأرز (*) والقمح والذرة والبطاطس

(*) مازال الأرز يحتل مكانة بالغة الأهمية في الحياة الكورية اليوم، كما هو الحال في شرقي وجنوبي آسيا يقدم يوميا في الوجبات الثلاثة كطبق رئيسي، تصف حوله سائر الأطباق، وحتى إذا ما تضمنت الوجبة أصنافا غنية بالمأكولات، فهي وجبة خفيفة ما لم يكن الأرز بين أطباقها.

ولغرض إعداد الأرز كغذاء يومي يغسل جيدا ثم يغلي بشدة لمدة خمس دقائق، ويترك على نار هادئة لمدة عشر دقائق، ومن بعدها تطفأ النار ليستوي ببخاره خمس دقائق أخرى، وهو يغني أحيانا مع الشعير أو فول الصويا الحمراء.

تصنع منه العصيدة والكعك، يصنع العصيدة من الأرز المصقول، وتقدم للأطفال والمرضي وكبار السن، ويوجد أكثر من ١٠٠ نوع من الكعك والحلويات المصنوع من دقيق الأرز عالي الجيلوين، ويختلف أنواع الكعك باختلاف المناسبات، أعياد ميلاد، أعراس، مهرجانات، من ثم فالأرز كما يدخل في الحياة الاقتصادية فهو عنصر من عناصر الحياة الاجتماعية.

وفول الصويا، ووجهت الدولة جهدها في استغلال الغابات والصناعات القائمة عليها مثل قطع الأخشاب، وصناعة الورق، وبعض الصناعات الخفيفة، هذا فضلا عن زيادة الاهتمام بصيد الأسماك من بحري اليابان والأصفر لتعويض النقص في ثروتها الحيوانية، ومن المفارقات أيضا بين الكوريتين أن الافتقار إلى التربة الجيدة والأراضي السهلية الصالحة للزراعة والمناخ المناسب عوضته لثروة معدنية، ففيها خامات الفحم والحديد حول مدينة بيونج يانج Piong Yang العاصمة، وحول موسان، فضلا عن توليد الطاقة الكهربائية من مساقط مياه سد سابنج Supang على المجري الأدنى لنهر يالو. لذلك تطورت فيها الصناعات الثقيلة والصناعات المعدنية بعامة والكيماوية بفضل مساعدة جارتيها (الاتحاد السوفيتي سابقا) والصين.

تايوان (جمهورية الصين الوطنية)

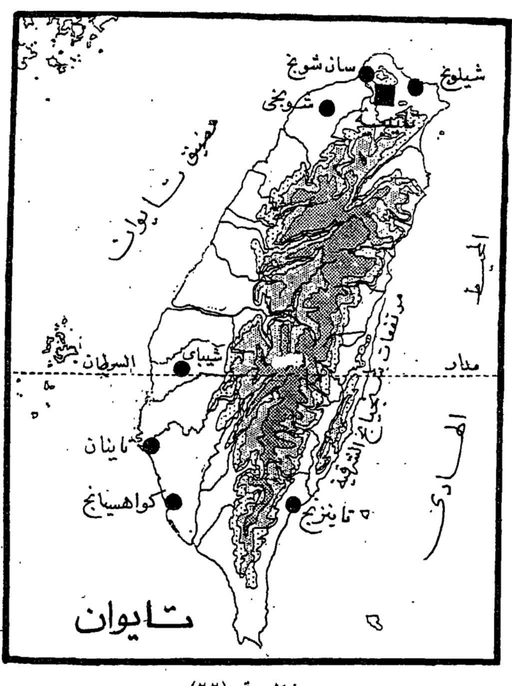
(فرموزا)

تمثل تايوان العنصر الثالث في مثلث جاكوتا، وهي قصة نجاح أخرى على سواحل المحيط الهادي، وتشمل إلى جانب جزيرة تايوان عدة جزر صغيرة وهي كينمن، ماتسو، وبنجهو، وكانت تايوان جزءا من الصين لعدة قرون حتى احتلها اليابانيون عام ١٨٩٥، وظلت هكذا تابعة لليابان حتى انتهت الحرب العالمية الثانية بهزيمة اليابان، وأصبحت تايوان جزءا بل إقليما إداريا من أقاليم الصين، وفي فترة الاحتلال قام الياباني بمجهودات كبيرة لجعل فرموزا موردا أساسيا يمدهم بالمواد الغذائية، فحولوا الزراعة إلى نظام الزراعة، الكثيفة والعلمية، فارتفعت غلة الفدان، وأقاموا مشروعات الري، ومشاريع توليد الكهرومائية، وشقوا الطرق، ومدوا السكك الحديدية، وبعد انتهاء الحرب وازدياد نفوذ الحزب الشيوعي في الصين، هاجر جنود الصين الوطنية والموالين للزعيم شيانج كايشيك إلى جزيرة فرموزا عام ١٩٥٠ مكونا جمهورية الصين الوطنية بتشجيع من الولايات المتحدة الأمريكية، كجزء من سياستها المعادية للعالم الشيوعي، خاصة وأن تايوان تبعد عن الصين ما بين ١٥٠،

٢٠٠ كم. وقامت الولايات المتحدة الأمريكية بدورها بإعادة أعمار الجزيرة، وقدمت لها المساعدات وهكذا ظهرت مشكلة الصينيين التي لم تجد لها حلا حتى الآن، وقد تكون هذه مشكلة محلية لولا تدخل الولايات المتحدة الأمريكية مساندة لتايوان. هكذا أصبح أمامنا في العالم الصيني :

- تايوان كأحد أعضاء نمور شرقي آسيا التي نمت نموا اقتصاديا مذهلا.
- الصين الشعبية بقوة على الساحة الدولية اقتصاديا، ومن المنتظر أن تتبوأ مكانة في السياسة العالمية كما سبق أن رأينا.

وجمهورية تايوان صغيرة الحجم، في حجم سويسرا بمساحة ٣٥ ألف كم٢، ويكاد يقسمها مدار السرطان إلى قسمين، وأن كان سكانها يبلغون ٢٣ مليون نسمة، يتجمع بعضهم في قوس يمتد من غربي إلى شمالي الجزيرة الكبرى، ذلك أن القسم الشرقي من الجزيرة تمتد فيه باستطالة سلاسل شو نجياج التي ترتفع قممها إلى ٣٠٠٠ متر بمنحدراتها الشديدة وغاباتها الكثيفة، وهي أكثر تدرجا في انحدارها نحو الشرق ، وتجري عليها النهيرات لتسقي المزارع التي ازداد إنتاجها أكثر من ثلاثة أضعاف ما كان عليه الحال عام ١٩٥٠، وإن كان آلاف المزارعين قد هجروها للعمل في المصانع. ونظرا لسهولة القسم الغربي، أصبح موطن الزراعة الرئيسية حيث يمثل الأرز وحده نحو نصف المساحة المزروعة، ويزرع مرتان في الجنوب وثلاث مرات في الشمال في العام الواحد، كما تتركز زراعة السكر في جنوب غربي الجزيرة حيث تزرع البطاطا، والذرة ،وفول الصويا، نخيل جوز الهند والموز، والأناناس، كمحاصيل غذائية، بل ونجح السكان في الحصول على ثلاثة محاصيل من الأناناس كل خمس سنوات، وقامت صناعات عديدة على هذه المحاصيل، فالأناناس يصدر معلبا ومشروبا، هذا فضلا عن انتشار زراعة قصب السكر الذي تقوم المصانع على تكريره.



شيلونج
سان شونج
شونجي
مضيق تايوان
السرطان
شيباى
مدار
تاينان
كواهسيانج
تايتونج
المحيط
الهادى
تايوان

شكل رقم (٢٢)

النشاط الصناعي :

ويمتد الشريط الصناعي لتايوان في غربيها متضمنا تايبي أوتايبيه العاصمة التي تقع عند النهاية الشمالية لهذا الشريط والذي يمتد جنوبا حتى كاوهسيونج، وبعد أن كان اليابانيون مستوردون للفحم من ميناء شيلونج، وهي ميناء تايبي العاصمة، أصبح الآن العكس فيستورد هذا الميناء القطن لصناعة المنسوجات، والبوكسيت لصناعة الألمونيوم من إندونيسيا، والبترول من بروناي، وخام الحديد من أفريقيه، ذلك أنها قد تقدمت بها صناعات الحديد والصلب وتوليد الطاقة النووية، السفن، وكثير من الصناعات الكيماوية، وكثير من صادراتها ذات تقنية عالية خاصة في الكمبيوتر وأجهزة الاتصالات، وتشترك كثير من المؤسسات محلية وأجنبية في البحوث الدائرة للتقدم الصناعي، خاصة وأن الدولة قد أقامت مؤسسة للبحث العلمي المتقدم في هاسنشو.

ورغم أن سكانها لا يعادلون ١ : ١٥ من سكان الصين الشعبية فقد أثبتت وجودها كدولة متقدمة ذات ذات نشاط تجاري واسع منذ تسعينيات القرن الماضي، بل أن جزءا من هذه التجارة مع الصين الشعبية ذاتها وأخذت تايوان أيضا بفكرة المناطق الاقتصادية، ممثلة في إقليم " كاوهيسونج " على الشاطئ الغربي مقابلا للصين.

ويعد النجاح الاقتصادي الذي أحرزته تايوان عجيبا بكل المقاييس في هذا الشريط الشرقي المحيط باليابس الآسيوي، فقد تلقت حقا معونات وقروض، ولكنها سرعان ما سددت ما عليها بسرعة أكثر من توقعات المراقبين، واليوم يبلغ نصيب الفرد من الناتج المحلي نحو ١٠ آلاف دولار، وهو رقم يرتفع عن نظيرة في بعض الدول الأوربية، وتتمتع بفائض تجاري ضخم يضيف إلى احتياطها النقدي مليارات الدولارات سنويا، وتستخدم في مزيد من التنمية والاستثمارات الخارجية، فعل سبيل المثال تعتبر تايوان أكبر مستثمر في فيتنام.

ومشكلة تايوان ليست اقتصادية، بل سياسية، وهي مشكلتها مع الصين الشعبية التي تريد ضمها، كما أن المجتمع الدولي، أصبح لا يعترف بها ممثلة للصين، وهكذا يتناقض الوضع الاقتصادي مع الوضع السياسي.



تدريج سفوح الجبال لزراعتها.

الباب الثالث

عالم آسيا الجنوبية

الفصل الأول

في شخصية آسيا الجنوبية

- من أيبريا إلى شبه جزيرة العرب، ومن ماليزيا إلى كوريا، أوراسيا عبارة عن كتلة صخمة تحفها الجزر، وتنتهي بأشباه الجزر، ولكن من بينها جميعا لا يمكن مقارنة أحدها بذلك المثلث الضخم وهو شبة الجزيرة الهندية الذي يضرب بسهم طويل في المحيط الهندي، من ثم أطلق على هذا المثلث لضخامته شبة القارة الهندية.
- هذا الإقليم محدد تماما من الشمال والشرق والجنوب بواسطة الجبال والغابات والمسطحات المائية، ومن ثم فهو يضم أحد أكثر العوالم الجغرافية وضوحا لا على مستوى آسيا، بل على مستوى العالم، كما أنه محدد جيدا من الناحية الثقافية، من ثم لا توجد مشكلة في تحديده في الشمال الغربي حيث الحدود والفزيوغرافية والثقافة أقل وضوحا، بل أن الاتصال غربا يتم عن طريق الممرات الجبلية، وهي بدورها وعرة، شديدة البرودة شتاء، ومع ذلك عبرتها هجرات وغزوات زادت من تعقيداته البشرية.
- الإقليم على درجة عالية من التنوع من القمم المعممة بالثلوج، والسفوح الجبلية المغطاة بالغابات إلى الصحاري، وأحواض الأنهار، من الهضاب العالية إلى الشواطئ، وكان لتحرك الصفائح القارية أثره في ظهور تلك السلاسل المرتفعة التي تذوب ثلوجها صيفا فتغذي أنهارا تنحدر عليها.

- ويبلغ النظام الموسمي أوجه ومثاليته في هذا الإقليم نظـــرا لموقعـه الفلكي وموقعه بالنسبة لليابس والماء، فضلا عـــن وجــود الحواجـز الجبلية في الشمال، فهذا الإقليم اكثر أقاليم آســيا موسـمية. بمطــره الصيفي الغزير، وجفافه الشتوي إلا في مواضــــع قليلــة، وحرارتــه المرتفعة صيفا، كما تأتيه الأعاصير المدارية (التيفون مصغــرة) فـي خليج بنغال.
- هناك انحدار للمطر من بنجلاديش شرقا إلى باكستان غربا، ولا يقطــع هذا الانحدار في المطر إلا على هضبة الدكن حيث يغزر المطر غربـــا ويقل شرقا.
- تمثل أحواض أنهار الجانج والسند والبراهما بوترا شـــرايين الحيـــاة لملايين السكان، فمياها مكملة لأمطار الموسمية، وسهولها الخصبــــة هي قلب الزراعة، من ثم كانت قلب الإقليم اقتصاديا وبشريا.
- يقيم في هذا الإقليم أكبر تجمع بشري، يقترب من سكان الصيــن فـــإن كانت الهند تضم ما يقرب من المليار، وباكستان ســـكانها نحـــو ١٣٧ مليونا، وبنجلاديش ١٢٥ مليونـــا، ونيبـــال ٢٤ مليونـــا، وســـيريلنكا ١٩ مليونا أي بمجموع ١٢٧٣ مليون نسمة، أي تجمع بشري ضخــم في إقليم واضح فزيوغرافيا، وإذا كانت الهند هي ثاني أقطـــار العـــالم سكانا بعد الصين، فتشير الدراسات السكانية أنها ستتفوق على الصيـن عام ٢٠٢٥.
- كل أقطار هذا الجزء من العالم اقتصادياتها نامية، وكثيرا ما تعاني مـن المجاعات كما يسود عدم التوازن الغذائي، ويكاد يكون الإقليم الوحيـــد على مستوى العالم حيث يوجد أقل متوسط للدخل الفردي.
- مازالت الزراعة في آسيا الجنوبية في جزء كبير منها تقليدية وبالتالي أقل إنتاجية.
- معظم سكان جنوب آسيا ريفيون ويعتمدون على الأرض في معاشهم.
- تتعدد الثقافات، بينما تسود الهندوسية الهند، يسود الإسلام باكســـتان،

وتسود البوذية في سيريلنكا.

- كان هذا الإقليم يمثل حجر الزاوية في الإمبراطورية البريطانيـــة فـلا غرو أن أطلق عليه جوهرة التاج البريطاني. وخرجت من تحت عباءة الاستعمار البريطاني دولتان كبيرتان هما الـــهند وباكستان والإطـار السياسي للإقليم يظهر لنا الهند، وقد أحاطتها وحدات سياسية صغيرة، فحتى باكستان بعد الاستقلال انقســمت إلــى (بنجلاديــش) شــرقية وباكستان غربية، وإلى الشمال يقع إقليم كشمير المتنازع عليه وهنـاك دولتان حبيستان نيبال وبوتان، وفي جيستان الطـرف الجنوبـي تقــع سيرلينكا، وقد مثلث الأقطار الحبيسة في الشمال إقليما حـــاجزا بيــن النفوذ البريطاني في الجنوب، والنفوذ الروسي الصيني في الشمال.
- والواقع أن الاستعمار البريطاني كان يغطي على تنوع ثقــافي كبـير، لذلك ما أن حصلت الهند على الاستقلال حتى انفرط عقدها، وانقســمت عام ١٩٤٧، وفي الهند نفسها نجد اتحادا فدراليا بين ١٧ ولاية، فضلا عن عدد كبير من الولايات ذات الحكم الذاتي. ثم كان انقسام باكســتان إلى باكستان نفسها وبنجلاديش، ويضاف إلى ذلك الصــراع المسـتمر بين الغالبية البوذية في سيريلنكا، والأقلية الهندوسية من التاميل، كمـا أن الإقليم يتقابل فيه الإسلام مع الهندوسية، والبوذية، وما يتبع التشدد والتطرف الهندوسي من ردود أفعال وبالتالي فالإقليم مشكلاته الداخلية متعددة نتيجة التنافر العرقي، والحضاري، اللغوي، والديني، فنحن هنـا أمام مائتي لغة وتسع معتقدات دينية، وتمثل فيه ربما جميع الأعــراق ما عدا الهنود الحمر، والاسكيمو، ومع ذلك ظلت مشكلاته محليـة، أي لم تصل إلى مستوى المشكلات العالمية.

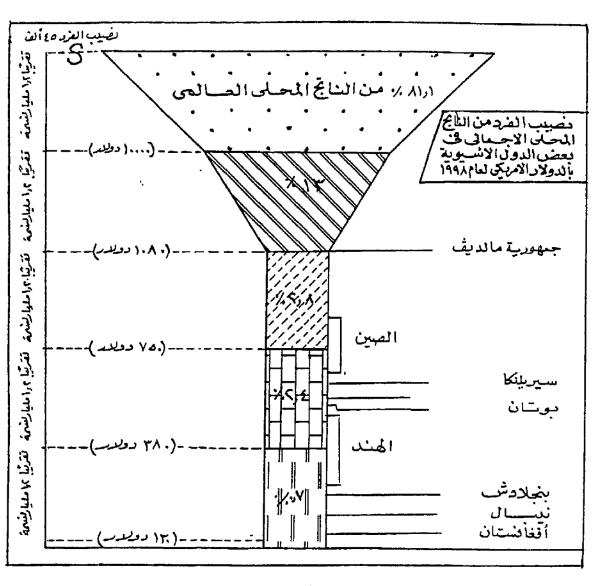
وأكبر وحدات الإقليم الهند / باكستان والحد السياسي بين الهند وباكســتان هو حد ثقافي في المكان الأول، فباكستان الإسلامية والهند الهندوسية، ولكــن مــن

الناحية البشرية فباكستان أقرب إلى الهند منها إلى إيران، أو افغانستان، فقد تعرض لتأثيرات واحدة، فالهجرات التاريخية شملت الاثنين معا حتى في فترة الاستعمار البريطاني، سادت اللغة الإنجليزية لغة رسمية، بل أنه من عدد سكان الهند البالغين ٩٦٧ مليونا هنا ك نحو ١١٠ مليون مسلم، فضلا عن مائة مليون آخرين يعيشون في بنجلاديش، لذلك فالإسلام في شبة القارة الهندية، وخارج باكستان يفوق عدد سكان باكستان.

- رغم أن دول الإقليم تعتبر من الدول النامية وينخفض فيها مستوى دخل الفرد، فالأحوال الحالية خير مما كانت عليه منذ خمسين عاما، زاد الاهتمام بالزراعة، وظهرت صناعات لم تعرفها المنطقة من قبل.
- ويتألف عالم آسيا الجنوبية من ثلاثة أقاليم كبرى الهند باكستان، بنجلاديش، ثم الجزر الجنوبية ومركزها سيريلنكا ومالديف، الأقاليم الشمالية الجبلية ممثلة في نيبال وبوتان.



مباراة السلاح النووى بين الهند وباكستان


نصيب الفرد ٤٥ ألف
١,٨١ ٪ من الناتج المحلى العالمى
نصيب الفرد من الناتج المحلى الاجمالى فى بعض الدول الاسيوية بالدولار الامريكى لعام ١٩٩٨
(١٠٠٠ دولار)
٪١٣
(١٠٨٠ دولار)
جمهورية مالديف
٪٢,٨
الصين
(٧٥٠ دولار)
سيريلنكا
٪٢,٤
بوتان
الهند
(٣٨٠ دولار)
٪٠,٧
بنجلادش
نيبال
أفغانستان
(١٢٠ دولار)

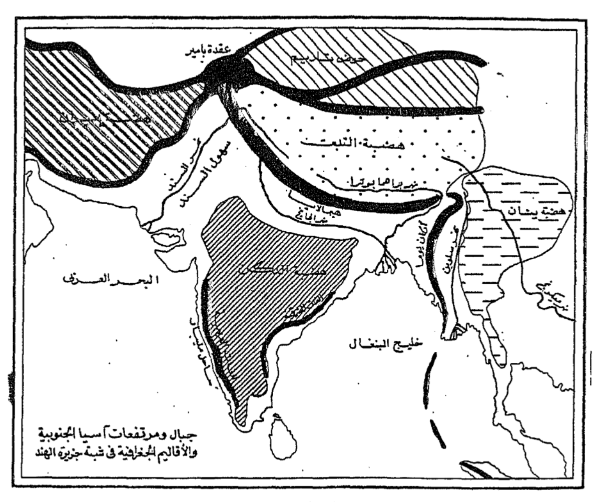
شكل رقم (٢٣)

الأقاليم الفزيوغرافية

وتقع شبة القارة الهندية الباكستانية بين دائرة عرض ٨° شمالاً، أما أقصى امتداد شمالاً لأراضي شبة القارة فيقع عند دائرة عرض ٣٧° شمالاً. ومن ثم يكاد ينصف مدار السرطان شبه القارة الهندية ــ الباكستانية إلى قسمين شبه متساويين. وتمتد أراضي شبه القارة كذلك فيما بين خطي طول ٦١° ، ٩٨° شرقا، ويبلغ متوسط طول شبة القارة الهندية الباكستانية من الشمال إلى الجنوب نحو ٣٢٠٠، كما بينما يبلغ أعظم إتساع لها من الشرق إلى الغرب نحو ٣٥٠٠ كم، وتبلغ جملة أطوال سواحلها نحو ٤٨٠٠ كم، في حين جملة أطوال حدودها البرية نحو ٦٥٠٠ كم.

والناظر للخريطة الفزيوغرافية لهذا الإقليم، سيجد تنوعا كبيرا من هذه الناحية من القمم التي تكسوها الثلوج إلى المنحدرات التي تغطيها الغابات الاستوائية، إلى الصحاري الممتدة وأحواض الأنهار الضخمة، والهضاب العالية، والسهول والسواحل المطلة على البحار، وكان لاقتراب الكتلتين القديمتين من بعضهما، في الزمن الثالث الجيولوجي قارة انجارا ممثلة في كتلة الصين. وبقايا قارة جندوانا ممثلة في هضبة الدكن، ما أدي إلى ضغط رواسب بحر تثبس وظهور أعلى سلاسل جبلية في العالم التي يذوب جليدها صيفا، فينساب ماء على أودية الأنهار، كما كان لوضع الإقليم فلكيا بالنسبة لدرجات العرض وجغرافيا بالنسبة للمسطحات المائية، وبالتالي أن وضع الإقليم في مسار الموسميات والأعاصير المدارية، ويمكن القول ببساطة بأن هناك أقاليم فزيوغرافية ثلاثة في آسيا الجنوبية : المرتفعات الشمالية، أشباه الجزر الهضبية، وبين هذا وذاك حزام عريض من الأودية النهرية، وفوق هذه التضاريس المتباينة يسقط مطر يتدرج في غزارته من الشرق (بنجلاديش) إلى الصحراء (باكستان) ولا يشذ عن هذه القاعدة سوي ساحل ملبار (ساحل هضبة الدكن الشرقي). ويمكن تقسيم شبه القارة الهندية الباكستانية إلى : ــ

<u>المرتفعات الشمالية:</u> من سلاسل هندكوش إلى قراقورم في الشمال الغربي، والهيملايا في الوسط (قمة إفرست أعلى قمة في العالم ٩٦٧٦م) في نيبال، إلى سلاسل بوتان، وهذه السلاسل جافة وجرداء في الغرب على حدود أفغانستان، ثم تخضر وتكسوها الأشجار في كشمير، بل وتتحول إلى غابات في المدارج السفلي لمرتفعات نيبال، ومنها تنحدر الأودية متجهة إلى حضيض الجبال حاملة المياه إلى أحواض الأنهار التي تجري في سهول الجانج (البرهمابورترا في الشرق، والسند في الغرب).



شكل رقم (٢٤)

وتبدأ سلاسل المرتفعات الشمالية بعقدة بامير التي تسمور في ارتفاعها إلى ما يقرب من ٨ آلاف متر فوق سطح البحر، ومن هذه العقدة تتفرع جبال الهيملايا على شكل قوس ضخم ارتفاعا وامتدادا ولمسافة ٢٥٠٠ كم، وإذا سرنا مع الهيملايا بدءا من كشمير غربا نجدها تتألف من عدة سلاسل رئيسية، الهيملايا الداخلية والهيملايا الوسطي، والهيمالايا الخارجية، أما جبال قره قورم التي تتفرع من عقد بامير أيضا فهي أقل ارتفاعا نسبيا (نحو ٧ آلاف متر)، وباتجاه الهيملايا نحو الشرق تزداد ارتفاعا حتى قمة إفرست في نيبال. والهيمالايا بارتفاعها وشدة تضرسها تمثل حائطا جبليا فاصلا بين هضبة التبت شمالها، وشبة القارة الهندية الباكستانية، وتقف حائلا كما ذكرنا أمام الرياح الموسمية، فهي ليست فاصلا فزيوغلافيا فحسب، بل هي فاصل مناخي ونباتي، ويبدأ انخفاض سطح الهملايا في إمارة بوتان حيث تبلغ نحو ٥ آلاف متر، ثم تأخذ بعد ذلك شكل قوس يتجه نحو الجنوب ممثلا في مرتفعات أركان يوما ومرتفعات جزر أندمان.

هذا كما تتفرع من عقدة بامير جبال سليمان والتي تشكل بدورها حاجزا بين هضبة إيران وشبة القارة الهندية الباكستانية، ممتدة نحو الجنوب الغربي.

فوق قمة أيفرست أوساجاداماتا أو كومو لانجما
(كما تعرف في أوربا، ونيبال، والتيت)
لأول مرة (٢٩ مايو ١٩٥٣)

- تعتبر: قمة إفرست في جبال الهيملايا أعلى قمة جبلية في العالم (٢٩٠٢٨ قدمـــا = ٩٦٧٦٦ مترا.
- يطلق على هذه القمة أم الآلهة في العالم " أو عرش الآلهة ".
- في عام ١٨٣٠ تولي جورج إيفرست الإنجليزي منصب مدير مصلحة المساحة فـــي الهند مما شجعه على ابتكار العديد مـــن وســـائل المســـاحة فـــي أراضـــي تنوعـــت تضاريسها، وبعدها بأحد عشر عاما تمكن من وضع الأسس التي تساعد على تحقيـــق مواقع القمم العليا فوق جبال الهيملالايا.
- أعلن خليفته أندرو وج بعد أن تقاعد إفرست، أن القمة رقم ١٥ فوق الهيملايا هـــي أعلى قمة، وقرر إطلاق اسم إيفرست على هذه القمة تكريما لرئيسه الســـابق الســـير جورج إيفريست.
- مرت سنوات عديدة في محالاوت للصعود إلى هذه القمة من جميـــع هـــواة متســـلقي القمم، ولكن دون جدوى حتى سمح الدلاي لاما لبعثات بريطانية باستكشـــاف الجبـــل من الشمال والشرق، ونجحوا في الوصول إلى ارتفاع ٦٩٨٠ مترا، وفي العام التـــالي وصلوا إلى ارتفاع ٨٢٣٠ مترا.
- عانت البعثات كثيرا من الرياح العاتية والانـــهيارات الثلجيـــة التـــي أودت بـــأرواح الكثيرين، كما حدث في البعثة التي وصلت إلى ارتفاع ٨٥٧٣ مترا.
- استمرت محاولات تسلق إيفرست (إنطلاقا) من التبت حتى نجح إدمونـــد هيـــلاري النيوزلاندي في الوصول إلى قمته في الساعة ١١،٣٠ من صباح ٢٩ مـــايو ١٩٥٣. حين غرس علم الأمم المتحدة وبريطانيا ونيبال، وبعد ذلك توالـــي المتســـلقون مـــن جنسيات متعددة للوصول على هذه القمة.

ولأن كانت هذه المرتفعات الشمالية شديدة التضرس، فإن تعـــدد الممـــرات الطبيعية فيها كممرات خيبر وكيرثار وبولان وجومال قللت من فعاليتها كحاجز ضخم بالنسبة للتحركات البشرية، وبالتالي عبرتها الهجرات والغزوات منذ القدم مما كـــان

له أثر واضح في تعمير شبة القارة الهندية الباكستانية بالسكان.

وأن كان ارتفاع الممرات ووعورتها يجعل احتيازها صعبا في فصل الشتاء القارس البرودة. فكما يقول كريسي Cressey في كتابة عن آسيا " ليس في آسيا منطقة بهذا الحجم وعلى هذا القدر من العزلة، فحائط الهيملايا يكاد يبترها من القارة بترا ، كما لو كان المحيط المتجمد الشمالي.

شبة جزيرة الدكن : وهي هضبة مثلثة الشكل يتراوح ارتفاعها بين ٧٠٠م، ١٥٠٠م، يمر مدار السرطان بقاعدتها الشمالية، وهي قديمة، بقايا جندوانا، مائلة نحو الشرق، من ثم كانت حافتها الغربية (الغات الغربية) أكثر ارتفاعا من حافتها الشرقية (الغات الشرقية) وبالتالي كان انحدار الأنهار التي تعبرها من الغرب إلى الشرق مثل جودافري، وكيستنا وكافري، بينما يصب نادابا في الغرب بالقرب من بمباي. ويفصل هضبة الدكن عن السهول التي تقع شمالها سلاسل جبلية عرضية تمتد من الغرب إلى الشرق، وكانت هذه المرتفعات وقت ما فاصلا بين الجماعات الأرية والوافدة من الشمال والدرافيدبين على الهضبة. وكان لحافتها المرتفعة في الغرب أثره في زيادة أمطار الموسميات الجنوبية الغربية، وبالتالي يقل المطر على الهضبة من الغرب نحو الشرق.

غير أن حافة الهضبة المرتفعة وقلة تعاريجها منعت قيام المرافئ الطبيعية التي تستطيع أن تخدم التجارة الخارجية، فهي قليلة لا تتناسب في عددها مع سواحل الهند الطويلة، كما أن الساحل الغربي صخري، أما الشرقي فأقل صخرية، فضلا عن أن المياه ضحلة على طول الساحل لا تساعد السفن على الاقتراب منها.

السهل الشمالي العظيم : تنتهي مجموعة السلاسل الجبلية العظمى بصورة فجائية في الجنوب ليظهر نطاق السهول النهرية من حوض السند في باكستان إلى سهول الجانج المتسعة في الهند حتى يلتحم نهرا الجانج والبرهماوترا بدلتا عظيمة في بنجلاديش، ويعرف القسم الشرقي من هذه السهول بسهول الهند الشمالية بينما تعرف في الباكستان بسهول نهر السند الذي ينبع من هضبة التبت،

ويخترق كشمير، ثم يلتوي متجها نحو الجنوب لتصل به روافده الأصلية في البنجاب (أرض الأنهار الخمسة).

هذا السهل الشمالي سهل رسوبي عظيم، كان خليجا بحريا، امتلأ بالرواسب ثم ارتفع وملأته الروافد الجبلية بتربة ممتازة من مفتتات الجبال الشمالية. منبسط شديد السهولة حتى لا يكاد الانحدار يرى ولا يحس، بل حتى ليتحول الصرف أحيانا إلى مشكلة، فيحمل نهرا الجانج والسند كميات ضخمة من الرواسب التي أحيانا ما ترسب الحمولة في بطن المجري ذاته، فيرتفع كثيرا عن مستوى السهل نفسه. مع شدة الاستواء تبدأ أخطار الفيضان والغرق بل أحيانا تغيير المجري، وانتشار المستنقعات في الأجزاء الدنيا.

تميز النظم النهرية بأنها تستمد مائيتها من مصدر مزدوج، ثلوج الهيملايا الذائبة والأمطار الصيفية، واللافت للنظر أن نهر الجانج يجنح إلى أن يجري لا في وسط السهل الشمالي، ولكنه قرب تخومه الجنوبية، ويرجع ذلك إلى سرعة اندفاع الروافد الجبلية القوية الآتية من الشمال. وتأخذ هذه السهول في امتدادها شكل قوس ضخم باتساع يتراوح بين ٣٠٠ كم ٥٠٠ كم، ويمتد لمسافة أكثر من ٣٠٠٠ كم. وكان لاستوائها وخلوها من التلال، وسمك رواسبها مما جعلها من أقاليم الجذب السكاني لسهول استخدامها الزراعي.

التلوث والأمراض من نهر الجانج المقدس

إذا ما وقفت على ضفة نهر الجانج، في فرناسي أكبر المدن قداسة لدي الـهندوس ترى الهندوس وهم يستحمون مياه النهر المقدسة ويشربون منها، ويصلون، بينما تطفو مياه الصرف الصحي والجثث المحروقة للإنسان والحيوان حولك، والجانج (يسمونه في الـهند الجانجا) نهر مقدس لدي الهندوس، فجريانه الدائم وقدرته على الشفاء تدل على قدرته ويعتقدون بأن ماءه مقدس، وغير مدنس، وبالتالي لا يمكن لأي كم من نفايات الإنسان أن تلوثه، بل على العكس فإن مجرد لمس الهندوسي لمياهه تزيل ما تقدم من زنوبه وآثامه.

لذلك تجد المعابد الهندوسية في فرناسي، وكل المدن المقدسة مشيدة على ضفافه. يصعدون إليها على الدرجات الحجرية،ى وهي نفس الدرجات التي ينزلون عليها ليتبركوا بمياه النهر، يحجون إليها من نفس المدينة ومن خارجها لتطهير أرواحهم.

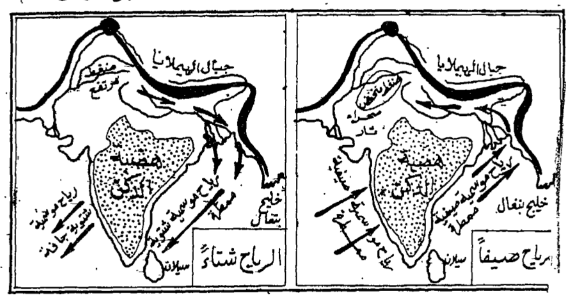
ويقدر عدد من يزور النهر نحو مليون يوميا على طول مجراه الذي يبلغ نحو ٢٨٠٠ كم. وقد يزيد هذا العدد في احتفالات الأعياد إلى عشرة أضعاف. لذلك فيعتبر نهر الجانج بكل المقاييس نهر ملوثا بشدة، ويصاب الآلاف من الذين ينزلونه بالأمراض، وعلى رأسها الأمراض المعوية وغيرها التي تؤدي إلى الاسهال وترتفع الوفيات. وقد حاول راجيف غاندي رئيس الوزراء عام ١٩٨٦ القيام بمشروعات لإزالة التلوث نظرا لأن التقارير أثبتت انه يصرف فيه نحو ٤٠٠ مليون جالون من الملوثات يوميا، وكان هدف المشروع أقامة ٤٠ مصنعا لمعالجة النفايات في المدن المطلة على النهر، ولكنه وجد معارضة شديدة من الأصوليين الهندوس، على اعتبار أن الشفاء الروحي للنهر المقدس هو الأصل، وإن أصابت الأمراض البعض، فالمرض شئ عارض لا ينفي طهارة مياه الجانج.

المنـــاخ

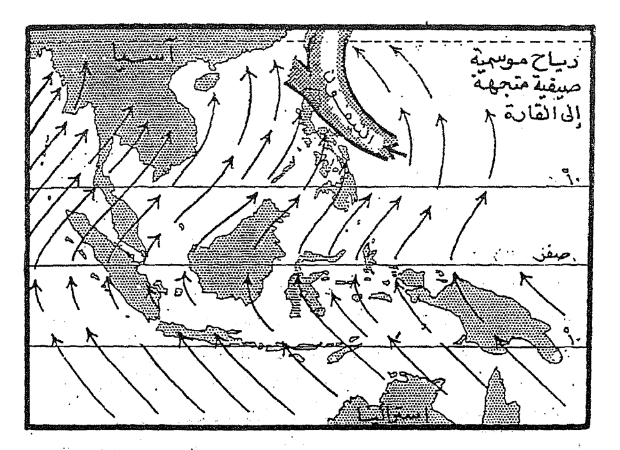
على الرغم من أن شبه القارة الهندية ـ الباكستانية تقع داخل نطاق المناخ الموسمي، إلا أن درجة الحرارة ومواسم سقوط الأمطار تختلف من مكانٍ إلى آخر. فوق أجزاء شبة القارة. ويمكن أن نميز ثلاثة فصول سنوية مختلفة تشكل مناخ شبه القارة تتمثل في يلي :

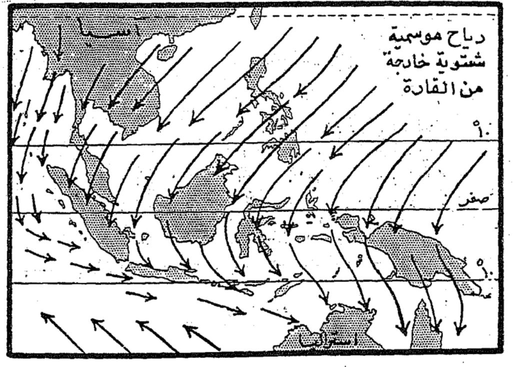
الفصل البارد: يمتد من أكتوبر إلى أواخر فبراير، وتنخفض فيه درجة الحرارة كثيرا خلال شهر يناير، بينما ترتفع درجة الحرارة خلال هذا الفصل كلما اتجهنا من الشمال إلى الجنوب. فتبلغ متوسط درجة حرارة هذا الفصل في بيشاور ١٠ْم، وفي أقصى الجنوب ٢٧م. ونظرا لبرودة اليابس وارتفاع الضغط فوقه تخرج الرياح الشمالية الغربية الجافة الباردة من اليابس وتتجه صوب البحار (٠الضغط المنخفض) وتؤدي إلى شدة برودة وجفاف الأجزاء الشمالية من شبه القارة. وعندما تعبر الرياح خليج بنغال وتتشبع بالرطوبة، تنحرف نحو مراكز الضغط المنخفض المحلية فوق جنوب هضبة الدكن، وتسقط الأمطار على الساحل الجنوبي الشرقي الغات الشرقية، والساحل الشرقي لجزيرة سيريلنكا (سيلان).

الفصل الحار: يمتد من بداية مارس إلى منتصف يونيه، ومع حركة الشمس الظاهرية نحو مدار السرطان، ترتفع درجة الحرارة تدريجياً إبتداء من أول شهر مارس، ويعد شهري إبريل ومايو، أشد شهور السنة حرارة في كل أجزاء القارة الهندية (قبل سقوط المطر)، بمتوسط درجة الحرارة قد يزيد على ٣٠ْم خلال هذا الفصل وخاصة في المناطق الداخلية حيث قد يزيد هنا إلى أكثر من ٤٠ْم.



شكل رقم (٢٥)


آسيا
رياح موسمية
صيفية متجهة
إلى القارة
٠١°
صفر
١٠°
استراليا


آسيا
رياح موسمية
شتوية خارجة
من القارة
١٠°
صفر
١٠°
استراليا

شكل رقم (٢٦)

الفصل الممطر: يمتد من يونيو إلى نهاية سبتمبر أو أكتوبر، وترتفع الحرارة على اليابس ويصبح منطقة ضغط منخفض تجذب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية من منتصف شهر يونيه، وتسقط أمطاراً غزيرة فوق ساحل الغات الغربية. وطوال هذا الفصل يصبح الاتجاه الجنوبي للرياح هو الإتجاه السائد، ويختلف طول الفصل الممطر من مكان إلى آخر تبعاً لأثر موقع الجغرافي والظروف المحلية. فتزداد كمية الأمطار على سفوح الغات الغربية وسفوح الهيمالايا وأسام (لاحظ تعامد الرياح على المرتفعات بحيث تزيد على ٢٠٠ سم. على حين تقل في شرقي الدكن (١٠٠ سم) وفي باكستان بصفة عامة بين ١٠ سم إلى ٤٠ سم، وكما تكاد تنعدم في صحراء ثار في شمال غرب الهند وجنوب شرقي باكستان.

الفصل الثاني

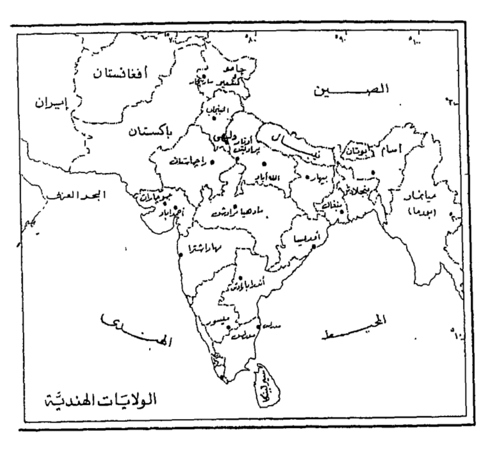
جمهوريـــــة الهـــــــند

(خمسون عاما من الفيدرالية)

لوحة موزاييك بشري : تحتل جمهورية الهند ثلاثة أرباع شبه القـــارة الهندية وحدها، وهي من أكثر دول العالم ازدحاما بالســـكان، ولنتخيـــل أن المليـــار هندي يعادلون سكان كل أفريقية وجنوب غرب آسيا معا، وســـوف تتفـــوق الـــهند بمعدلات نموها الحالي على كل هؤلاء السكان الذين ذكرناهم، بـــل ســـتتفوق علـــى الصين أيضا خلال العقد الحالي ولعله من أعاجيب الزمان أن تظـــل الـــهند كوحـــدة سياسية واحدة حتى الآن، فالهند موازيك ديني ولغوى. وسلالي، واقتصـــــادي. بـــل يمكن القول أنها أمم، ولعل الاستعمار الإنجليزي، ــ رغم مســـاوءه ــ مـــا أضفـــي عليها هذه الوحدة، عاصمة موحدة، شبكة طرق ومواصلات، لغة تفـــاهم مشـــترك. خدمة مدنية، وقد تبنت الهند النظام الفيدرالي منذ الاستقلال عام ١٩٤٧، أي إعطـاء الأقاليم بعض الاستقلال ونجحت في هذا إلـــى حـــد بعيـــد، فلـــم تشـــهد انقلابـــات. وديكتاتوريات حاكمة، وأن كان هذا ليس معناه أن الهند لم تشـــهد عوامـــل الطـــرد المركزيـــة Centrifugal forces، فـــهناك الخلافـــات الحدوديـــة، وحروبـــــها، الاضطرابات المدنية التي هددت وحدتها أحيانا.

تظهر فيها ٢٥ ولاية، فضلا عن ٧ أقاليم اتحادية، منها دلهي، / نيودلـــهي التي تضم العاصمة، وهو الإقليم الذي يضم أكثر من مليون نسمة، اما بقية الأقـــاليم فلم تبلغ المليون بعد. وأن كان بعض الولايات الخمس وعشرين تضم الواحدة منـــها سكان قد يفوق بعض الدول سكانا، فهناك أوتار بارادش التي تضـــم ١٦٠ مليونـــا، وبهار ١٠٠ مليون، وهذه معظمها في حوض الجانج، بل وهي نواة الهند الجنوبية، ومهادشيترا ٩٠ مليونا التي تحتضن ميناء بومباى، والبنغال الغربيـــة ويقطنـــها ٨٠ مليونا منها ١٣ مليون في كلكتا وحدها، وليس معنى هذا أن الولايات الجنوبية قليلة السكان، وأن كانت أكثرها تخلفا.

رغم أن الإنجليزية هي لغة الإدارة والأعمال، فهي أيضا لغة التجارة والمال والتعامل، ومع ذلك تعتبر اللغة التي يتكلمها أكثر من ثلث السكان في الولاية هي لغتها الرسمية، وبالتالي هناك ١٤ لغة رسمية في الولايات، كما أن هناك مطالبات بالاعتراف بلغات أخرى. ومن المشكلات الأخرى العرقية كما في الشمال الشرقي، حيث مجموعة الناجا الذين تضمهم ولاية آسام، فقد ثاروا عقب استقلال الهند، مما أدى إلى تدخل القوات الاتحادية وعقد صلح بعد عقود من المفاوضات، وتم الاعتراف لهم بوضع خاص عام ١٩٦١.



شكل رقم (٢٧)

وهناك مشكلات دينية مثل مشكلة السيخ (المنبوذون) التي قامت ضد الهندوس والمسلمين، ووجدت لها تابعين بالملايين في البنجاب والأراضي المجاورة لها. وقد تعاونوا مع الإدارة البريطانية فترة الاستعمار، ولذلك فقد ردت لهم الإدارة الاستعمارية الجميل، بتعيين مئات الآلاف منهم في الجيش والبوليس، ومن ثم تكونت منهم طبقة متوسطة في البنجاب (الشمال الغربي)، وعندما نالت الهند استقلالها هجر الكثير منهم قراهم واتجهوا إلى المدن، ومن ثم فلهم حتى اليوم نفوذ في الشئون الهندية يفوق نسبتهم الضئيلة (٢%)، وقد طالبوا عقب الاستقلال أن تقسم ولاية البنجاب إلى قسمين غربي (السيخ) وشرقي (للهندوس) ووافقت الحكومة على هذا ولم يقتنع السيخ بهذا، بل طالبوا بزيادة استقلال الولاية تحت اسم كاليستان، وقام التمرد والمظاهرات والعنف مما أدى بالحكومة إلى التدخل بعنف ومواجهة عام ١٩٨٤ عند المعبد الذهبي المقدس لديهم. ثم كان اغتيال أنديرا غاندي رئيسة الوزراء على يد حراسها من السيخ، وتعقدت المشكلة. ومن وقتها ازدادت الفجوة بين السيخ والهندوس ويتكرر مثل هذا الاضطراب في العلاقات بين الحين والحين.

ورغم أنه لا توجد ولاية إسلامية في الهند، فعدد المسلمين فيها نحو ١١٥ مليون مسلم، وبهذا تعتبر أكبر أقلية في العالم، ويلاحظ أن الجماعات المسلمة من الجماعات التي يزيد نموها بسرعة، وهم في معظمهم من سكان المدن، فعلى سبيل المثال نجد أن نحو نصف سكان بومباي من المسلمين.

نظام الطبقات Cast system

من عوامل الطرد المركزية نظام الطبقات الذي يتآكل معه المجتمع، وهو نظام يرتكز في الفكر الهندوسي على الأصل، والعلاقات العائلية، والحرفية، قد يرجع في اصله إلى تقسيم السكان اجتماعيا إلى كهنة، ومحاربين، وتجار، وزراع، وحرفيين، وخدم، وإن كان أيضا يدخل لون البشرة، لذلك قسمت الجماعات عبر القرون إلى طبقات منعزلة عن بعضها فيه الأمراء، والكهنة، وينتهي إلى الحرفيين، والخدم المنبوذين الذين لا يُمسون.

ولا يمكن في هذا النظام الهندوسي رفع شخص من طبقة أدني إلى طبقة أعلى، كل شخص من طبقة معينة له حرف معينة، وملبس خاص، وله أماكن عبادته الخاصة به، ولا يأكل أو يلعب وأولادهم أو حتى يسيرون مع أولاد الطبقة الأخرى. ورغم أن المهاتما غاندي، وجواهر نهرو حاولوا تعديل هذا النظام والتخفيف من حدته، فلم يستطيعوا محو ما ثبت في الأذهان منذ قرون، وتبين أن ١٥% من الهنود من الطبقات الدنيا، ٤٠% في الطبقة المتوسطة، ١٨% في الطبقة العليا ومعظمهم من البراهما أو رجال الدين، وبطبيعة الحال لا يوجد هنا النظام لدي مسلمين أو السيخ، وقد حاولت كل الحكومات الأخذ بيد الطبقة الدنيا، وتتضح نتيجة هذه الجهود في المدن عنها في الريف، حيث أولاد الطبقة الدنيا يجلسون على الأرض في الفصول الدراسية (إذا ذهبوا إلى المدرسة وهذا نادر) ولا يمكنهم الحصول على الماء من آبار القرية لأنهم بهذا يلوثونها، ويجب أن يخلعوا أحذيتهم ـ أن كان لديهم ـ إذا مروا على منازل الطبقة العليا، وإن كانت الدولة في المدن تحتفظ لهم بنسبة في التعليم، ونسبة في الوظائف الحكومية، وفي المجالس التشريعية، وهذا بفضل جهود المهاتما غاندي ونهرو، مازال نظام الطبقات مما يهدد المجتمع، فقد اغتيل غاندي ذاته بعد الاستقلال مباشرة بواسطة أحد المتعصبين الهندوس (*).

(*) لا تذكر الهند إلا ويذكر اسم غاندي (١٨٦٩ ــ ١٩٤٨) فهو أبو استقلال الهند، كان رجل التسامح المثالي كان رحيما بالطبقات المسودة، أطلق عليهم أولاد الله، وساند فكرة حماية الفقر. واستخدام اللغة الهندوسية كلغة قومية، صاحب سياسة اللا عنف، والصدق، ومقاطعة السلع البريطانية، وإن كان ضئيل البنية، فقد كان يتمتع بقوى روحية وخلقية عالية، أخذ يناضل من أجل حقوق الهنود حتى نالت الهند استقلالها عام ١٩٤٧ وانتشرت أفكاره في جهات كثيرة من العالم. فكان كفاح مارتن لوثر كينج في الولايات المتحدة الأمريكية قائما على نفس الأساس. وقد أطلق الهنود على غاندي لقب المهاتما أي الروح العظيمة.

يضم عالم آسيا الجنوبية نحو ربع سكان العالم ١,٤ مليـــار، والـــهند لـــها وحدها نحو المليار، وإذا تفوقت سكانيا على الصين خلال الربـــع الأول مـــن هــذا القرن، تستحوذ على المكانة الأولي، ولاشك أن هذا النمو السكاني له مشكلاته علــى التنمية، مما دفع بالحكومة الفدرالية، وحكومات الولايات، إلــى اتخــاذ الإجــراءات لمحاولة خفض معدلات المواليد، ورغم ظهور بعض النتائج المبشرة، فمازالت الــهند في أواخر تسعينيات القرن العشرين ذات زيادة سنوية قدرها ١٩ في الألف، وهـــذا معناه أن سكان الهند، يتضاعفون كل ٣٦ سنة، وبالتالي فأي عملية للتنمية لا تظهر وتبتلعها هذه الزيادة السكانية.

يرتبط توزيع السكان في شبه القارة الهندية بالمطر أولا والسهول ثانيا، من ثم كان السهل الشمالي هو مركز الثقل البشري أي سهول الجانج والسند، ففي كـــل منهما نصف سكان الهند ونصف سكان باكستان، وتقل الكثافة كلما اتجهنا شرقا فــي حوض السند، فهنا في هذه السهول حيث المطر وحيث الري قلب الهند البشري.

أما في هضبة الدكن فتجد السهل الساحلي الغربي أكثر كثافة مـــن نظـــيره الشرقي وبدرجة وسط في هضبة الدكن، ونواة السكان هنا هـــي التربـــة البركانيـــة Deccan Trap التي تعتبر بفضل تربتها السوداء البركانية الأصل، هي حقل القطن الأعظم في الهند.

ولا شك أن انتقال السكان من الريف إلى الحضر من عوامل الحد. ذلـــك أن الزيادة السكانية، إذ تنتفي الدوافع الريفية لزيادة النسل. ومازال المجتمـــع الـــهندي ريفيا ٢٦% من السكان من أهل الحضر، ولكن في نفس الوقت تمثل هذه نحو ٢٥٠ مليونا من السكان، أي ما يقرب من عدد سكان الولايات المتحدة الأمريكيـــة. ومـــع ذلك فسكان الحضر مازالوا في طريقهم إلى الزيادة، لأن السكان يتدفقون على المـــدن بنحو ٥% سنويا، ولا يرجع هذا إلى جاذبية المدن المعهودة، ولكن يرجع أيضا إلـــى

الفقر. وبؤس الريف، ويساعد على هذه الهجرة أن أقرباءهم في كلكتا أو مدارس يستقبلونهم، ويتم إيوائهم معهم، ويساعدونهم على إيجاد فرص عمل. فيعيش المهاجر داخل جماعتة بلغتها ودينها وتقاليدها.

دلهي القديمة والجديدة Delhi new and old

إذا عبرت جوا فوق إقليم دلهي ونيودلهي ونظرت إلى أسفل، فلا يمكن لك رؤية شئ ما. إذ يغلفهما غطاء من الأتربة والدخان (سحابة سوداء) تمنع الرؤية لمنسات الأمتار. ولا تنكشف الغمة إلا بسقوط الأمطار، وان كانت دلهي تأتى في ذيل الرياح الممطرتن فهي في معظمها جافة. إلا في يونية ويولية حين يسقط عليها قليل من المطر.

وحين رأت الإدارة البريطانية الانتقال من كلكتا إلى الداخل. قررت بناء عاصمة جديدة بالقرب من دلهي، وكانت الظروف مختلفة عما هي عليه الآن، فإلى الجنوب من دلهي القديمة، ترتفع الأرض على هيئة تل كبير بنحو ١٥ مترا عما حولها، وإلى الجنوب منه يجري نهر يامونه أحد روافد الجانج، وبالمقارنة بكلكتا لاشك أنها أكثر ملائمة للصحة العامة لاختفاء بيئة المستنقعات. ولم تكن دلهي عام ١٩١٢ مدينة كبيرة، وكانت سماؤها صافية، وأصبحت هذه التلال هي موقع نيودلهي، والتي تكون مع دلهي إقليم العاصمة. والواقع أن موقع العاصمة هذا يعد استراتيجيا إلى حد كبير، فقد استقرت فيه وعبرته جيوش وإمبراطوريات، فهي بوابة ممر ضيق يربط بين الطرق التي تأتي من الشمال الغربي إلى السهول الشمالية، من ثم فالمدينتان الشقيقتان لا تضمان قمة الجهاز الإداري للدولة فحسب، وإنما هما نواة المعمور للقسم الشمالي من الهند، وتتعدد الوظائف الحضرية وتتفاعل إدارة ، تجارة، صناعة، خدمات ، بنوك، تامين ....)، حرف قديمة إلى جوار أخرى جديدة، بمعنى آخر عملاق في الهند. وقد استمرت نيودلهي عاصمة في عهد الاستقلال وكان عدد سكانها عام ١٩٧٠ يزيد على ٤ مليون نسمة ارتفع إلى ١٢ مليون عام ٢٠٠٠.

ومن ثم تعتبر المدن الهندية بدورها فسيفساء من التناقضات الاجتماعية، ولا يمكن أن تتوفر لكل هؤلاء تسهيلات الحياة.

فهناك آلاف مؤلفة دون مأوى تهيم على وجوهها، تبيت على الأرصفة

والحدائق وتحت الجسور، ومعني هذا تهديد للسلم الاجتماعي لأن هـؤلاء الشباب الذين لا يجدون عملا يكونون بمثابة قنابل موقوتة.

أسباب عدم انفراط الهند:

وأمام هذه التحديات الكبيرة التي تساعد على الطرد ما العوامل التي أدت إلى عدم انفراط الهند **centripetal forces** هذه المدة الطويلة؟

لا شك أن أولها الرباط الثقافي هو أهمها، الثقافة الهندوسية، كتاباتها المقدسة، أنهارها المقدسة التي تغلف حياة الهند، فبالنسبة للغالبية هي طريقة حياة، كما هي عقيدة وانتشار فوق كل أنحاء الهند (رغم وجود المسلمين والسيخ) لا شك يغطى على هذه الاختلافات، وإن كان ما يقوم بها المتعصبون الهندوس أحيانا يهدد هذه الوحدة. الأمر الثاني هو الديمقراطية، ففي دولة مثل هذه متعددة الأعراق والديانات يعتبر النظام الديمقراطي والاعتماد على المؤسسات الديمقراطية هو أمر بالغ الأهمية والأمر الثالث أن الاهتمام بالنقل والمواصلات في الوقت الحاضر، الذي يؤدي إلى زيادة الاتصال بين الناس، والسلع بعضها والبعض الآخر، كل هذا يؤدى إلى الجمع وليس الطرح.

والواقع أن طاقة الهند على استيعاب الخلافات ومرونتها في التعامل مع المطالب الإقليمية والمحلية كان عاملا أساسيا، فالحدود بين الأقاليم يمكن تحريكها، والمطالب الانفصالية تعالج بخليط من المفاوضات واستخدام القوة الفيدرالية، فالهند في آسيا نجحت فيما فشل فيه الأوربيون في يوغسلافيا مثلا.

وأخيراً لا يمكن ذكر عوامل الربط والتماسك دون ذكر للقيادات الكارزمية (الجاذبية) التي ظهرت في الهند من أمثال غاندي، ونهرو، وخلفائهم، الذين كانوا يمثلون رموزا تلتف حولها الأمم الهندية، الآن وقد اختفت هذه الرموز أصبحت القيادات الجديدة في ميزان الاختبار، على العموم فالهند حتى الآن نجحت فيما فشل فيه الآخرون.

الهندوسية :

الهندوسية أو الهندوكية، أو التارنجيا من أقدم المعتقدات، وظهرت دون نبي أو كتاب مقدس، ظهرت في وادي السند من المرجح منذ أربعة آلاف عام، وأساس هذه العقيدة هي " الكارما " التي تنضمن انتقال الروح في اعتقادهم؟، فكل كائن له روح، وهذه الأرواح مرتبة تصاعديا، والروح المثالية هي التي تصنعد إلى أعلى السلم بالاتحاد مع البراهما، وتصعد الروح أو تهبط إلى الدرجات السفلي تبعا لسلوك الكائن في هذه الحياة، فالأعمال الطيبة والتفاني في العقيدة تؤدي إلى الارتفاع إلى مستوى عالي في الحياة الآخرة، وعلى العكس فالسلوك السيئ يؤدي إلى الحضيض. وتشترك جميع الأرواح سواء للإنسان أو الحيوان في هذه العملية. ومبدأ التناسخ reincatr nation هو حجر الزاوية في هذه العقيدة، فالإساءة إلى الحيوان في هذه الحياة سيؤدي إلى أن يتحول الإنسان إلى هذا الحيوان في الآخرة، وترتبط تعاليم الهندوسية بنظام الطبقات، والطبقات نفسها هي درجات في سلم الكون، وهذا النظام يغلق الطبقة ويجعل حراكها إلى طبقة أخرى متعذرا، وخاصة الطبقة الدنيا والتي لا تمس أو حتى تلمس. وحتى عقود مضت لم تكن لهذه الطبقة الدنيا حق دخول المعابد، وبعض المدارس، ويقتصر عملها على أقذر أنواع الأعمال في المجتمع، وإن كان ظهور الأديان الأخرى في الهند والتطورات التي شهدها العالم، وظهور المعتدلين كالمهاتما غاندي قلل من حدة هذا الفصل.

ويعتقد الهندوس أن بناء معبد يستحق بانيه جائزة وثوابا من السماء، وتتعدد أضرحة الهندوس سواء في الريف أو الحضر من أضرحة ريفية بسيطة إلى معابد ضخمة في المدن، ويجب أن يكون مكان إقامة المعبد مكانا مريحا، وليكن مثلا تحت شجرة ضخمة تظلله، وبالقرب من مورد ماء قدر الإمكان، وذلك لأن الآلهة لا يبعدون كثيرا عن موارد الماء، ولأن الماء له وظيفة مقدسة لدى الهندوس، كما يجب أن يواجه المعبد القرية في مكان واضح لاستقبال الهدايا والعطايا.

ولديهم النار المقدسة، وفي البيت تظل النار مشتعلة ولا تخمد، وعلى الهندوسي عبادة البراهما أي روح العالم، وتلاوة الفيدا (تعاليم) عبادة الأسلاف وتقديم الطعام والماء لهم، وعبادة الالهه بحرق القرابيين، وعبادة الموجودات الحية، ووضع الطعام على عتبة الدار للمنبوذين والحيوانات والطيور.

هذا وقد انبثقت عدة طوائف من الهندوسية من أشهرها ذلك الجناح المتطرف الذي يقوم على فكرة الهندوتفا Hindutva، وهو مذهب يجعل التفوق للهوية الهندوسية، وينكر أي حقوق لغير الهندوس حتى للطبقات الدنيا من الهندوس، ونادوا بفكرة أن يطلق على الهند اسم " هندوستان " أي الأرض التي تزدهر عليها أمة الهندوس وحدها، وانه على الأجناس الأجنبية الموجودة فيها أن تعتنق الهندوسية ثقافة ولغة، ولا تشتغل بشيء سوى تمجيد الجنس والثقافة الهندوسيتين، وتتخلى عن هويتها الخاصة وتذوب في الجنس الهندوسي " وأبناء هذه الطائفة هم الذين أسهموا في تدمير مسجد أيوديا في ديسمبر ١٩٩٢، وأدي هذا نتائج مفجعة ومازالت. هذا وقد تقدمت تعاليم الهندوسية في جنوب شرقي آسيا، ولكن الهند هي مجالها الأكبر.

قوة الإسلام:

أتت موجات الإسلام تكتسح الإقليم من فارس وأفغانستان وبطبيعة الحال كان دخوله عن طريق حوض السند، الذي أسلم معظمه، وقد تحول نحو ثلثي السكان في هذا الإقليم إلى الإسلام، وسرعان ما تقدم الإسلام، واخترق عنق الزجاجة حيث تقع دلهي، واستمر شرقا وجنوبا بشرق في حوض الجانج (هندوستان) قلب أو نواة الهند، ثم أتاها الإسلام أيضا من الشرق (بنجلاديش الآن) أما على هضبة الدكن جنوب السهول، فلم يكن هناك تأثير كبير للإسلام، وكان من أهم الإمبراطوريات الإسلامية التي شهدتها الهند كانت إمبراطورية المغول في القرن ١٤ الميلادي، ولاشك أن الإسلام وجد ترحيبا من الطبقات المستضعفة بسبب تعاليمه السمحة (المسلون أخوة)، ومن ثم كان الإسلام دين الطبقة الحاكمة حينئذ. كما هو دين الطبقة المقهورة (القمة والقاعدة) من ثم كانت القسم الشمالي الغربي من شبة

القارة (باكستان الآن) معظمه مسلم، بينما ١٥% فقط من سكان الهند يدينون به.

وبينما كان هذا يحدث في السهول الشمالية عاشت الهند الجنوبية في شبة عزلة نسبيا عن أحداث السهول الشمالية وقد عاشت على الهضبة الجنوبية شعوب قديمة، حتى قبل قيام حضارات السند والجانج في الشمال، وتدل سماتهم السلالية على أنهم اقرب إلى الأفارقة والأستراليين الأصليين، كما أن لغاتهم بعيدة عن اللغات الشمالية الآرية، وهكذا تصبح الهضبة الجنوبية فريدة في سكانها المعرفون باسم " الدرافيديون " وإن كان الاختلاط كثيرا الآن، ومع ذلك فهذا القسم من الهند مازال مميزا، واللغات الأربع الرئيسية لديهم هي تيلوجو، والتاميل، وكنارس وملايالم، ويتكلم اليوم نحو خمس سكان الهند بلغتي التيلوجو والتاميل ورغم ما حدث من اختلاط، فهناك ارتباط ما بين العنصر واللون وبين هرم الطبقات كما ذكرنا، لذلك فالفاصل السلالي على صفحة الهند هو الخط بين الدرافيديين جنوبا، والأريين (الهندو أوربين) شمال ومن هنا انشطر المجتمع الهندي أفقياً.

الاستعمار الأوربي:

في هذا المجتمع المعقد لغويا ودينيا وسياسيا ظهر عنصر أخر بعد عام ١٥٠٠م، وهو الدول الأوربية التي كانت تبحث عن الخامات والأسواق والنفوذ السياسي، وقد استغل الأوربيون الفرقة بين الهندوس والمسلمين، واستطاع التجار البريطانيون التحكم في التجارة مع أوربا في التوابل، والقطن، والحرير، وكسبوا المنافسة ضد منافسيهم من الفرنسيين والهولنديين والبرتغاليين. كما سادت سفن شركة الهند الشرقية البريطانية حركة الملاحة في بحار الهند وجنوب شرق آسيا والتي كانت فيما مضي في أيدي العرب والصينيين والأندلسيين والهنود. حتى أصبحت شركة الهند الشرقية البريطانية هي الإدارة الاستعمارية البريطانية للهند، وأن واجهتها مشكلات عديدة فيما بعد، أدت إلى انتقال الإدارة الاستعمارية إلى الحكومة البريطانية، وأصبحت الهند مستعمرة بريطانية لمدة ٩٠ عاما حتى حصلت

على الاستقلال عام ١٩٤٧.

الحضارة الهندية حضارة محلية:

لا شك أن العزلة الجغرافية الحادة من أبرز حقائق الوجود الهندي أن لم تكن أبرزها بالفعل، فحائط الهملايا يبترها بترا عن القارة بحيث أن التقسيم الجذري بين السلالتين المغولية والقوقازية هو هذا الحائط العظيم، فهو سور الهند الطبيعي وإلى الآن لم يعبره خط حديدي، كذلك يمكن أن تعد جبال أركان يوما في غرب الهند الصينية حائطا أخرا، فإذا أضفنا أن السواحل غير مضيافة، أدركنا معني العزلة الذي ذكرناه.

من ثم كان المصدر الأساسي للتأثيرات البشرية على شبه الجزيرة كان إقليم السند في الشمال الغربي، وهو القريب من الممرات الجبلية التي عبرتها الغزوات والهجرات، وبالتالي إذ ذكرت الحضارات القديمة في شبة الجزيرة لابد وأن نذكر إقليم السند فهو من أقاليم نشأة الحضارات القديمة، وكان على صلة بالحضارات التي قامت قديما في حوض الرافدين وللأسف فإن معظم آثار حضارة السند مدفونة تحت الأرض، وأن دلت بعض المواقع الأثرية التي تم اكتشافها أنه كانت هناك حضارة عظيمة قامت على أساس الري، وكما كان الحال في الحضارة المصرية القديمة وحضارة الرافدين، كانت هناك تقنية عالية في أساليب الري، من ثم قامت تلك الحضارة في الوادي الأدنى لنهر السند.

وكانت حضارة السند بالنسبة لبقية شبه القارة الهندية، كما كانت الحضارة المصرية بالنسبة للأفريقية، فانتقلت الأفكار والاختراعات شرقا وجنوبا للجماعات التي عاشت في شبة الجزيرة، وكان من العوامل الهامة في نشرها غزو الجماعات الأرية الآتية من إيران، وفي اتجاههم نحو الشرق دفعوا بتلك الأفكار والمخترعات نحو سهول الجانج وقامت الحياة الحضرية (المدن) وباتجاههم جنوبا تغلبوا على القبائل البدائية التي كانت تعيش حينئذ، وبدأت لغتهم (السنسكريتية) تتفرع إلى اللغات المتعددة التي تعرفها الهند اليوم.

ونمت بعد ذلك الحضارة الهندية، من قبائل متفرقة منعزلة بعضها عن

بعض في قراها، فظهرت المدن وتطورت الحرف والتجارة بالاتصال مع جنوب غرب آسيا، وظهرت المعتقدات وأهمها الهندوسية التي ظهرت من المعتقدات والممارسات إلى وصلت الهند مع الأريين، وبدأت حياة جديدة، وظهر نظام الطبقات على رأسها طبقة البراهما، ولذلك ظلت الهند بعيدة عن السلام لنحو ثلاثة آلاف عام، نتيجة لصراع ومنافسة الممالك التي قامت فيما بينها، حتى قامت الوحدة فيما بعد على يد أحد أمراء ممالك شمال غرب الهند، ثم تعرضت الهند لغزوات من الخارج سواء من الفرس أو اليونان، إذ توغل الاسكندر الأكبر إلى قلب الهند، إلى سهولها في القرن ٤ ق.م.

وحضارة الهند هي محلية بدرجة كبيرة تتمثل في العمارة الهندية والموسيقي الهندية والديانة الهندوسية، وحُرمت من الاحتكاك الخارجي كثيفا كان أم خفيفا، كما أنها لم تصدر حضارتها، فيما عدا صادرها الثقافي الوحيد وهو الديانة البوذية، هاجرت منها وانفصلت عنها، وأصبح موطنها آسيا الشرقية والجنوبية. إذن دون مغالاة فالحضارة الهندية حضارة محلية أساسيا، وإذا كانت المؤثرات الهندية وجالياتها وصلت إلى جنوب شرقي آسيا والخليج، ومع ذلك فهذا لا يتناسب مع ثقل العالم الهندي، بل أن المناطق الأخرى كثيرا ما ذهبت إليها وأخذتها (*)، فقد ظلت حبيسة شبة القارة الهندية، ورغم وجود عدة ممرات على رأسها ممر خيبر في الشمال الغربي، فقد كان مدخلا إليها أكثر منه مخرجا.

(*) أخذهم الإنجليز إلى أفريقية لمد الخطوط الحديدية في كينيا، وأخذوهم إلى جنوب أفريقية لزراعة قصب السكر في إقليم ناتال، ولم يظهروا في الخليج بكثرة إلا بعد ظهور البترول.

الإنتـــــاج الزراعـــــي

خصـــائــص الزراعــة فــي الهنــد :

رغم الجهود الكبيرة التي نجحت بها الهند في زيادة إنتاجها الزراعي، فــإن بعض الأقاليم تصادفها مجاعات متقطعة، غالبا ما تكـــون نتيجـــة موجـــات جفـــاف وبالتالي هلاك المحاصيل، واليوم يعيش نصف سكان الهند عند حد الفقر، وإمكانيـــة رفع هذا الفقر ليس أمرا قريبا، فحتى في ظل متوسط دخل الفرد ٢٩٠ دولار سنويا. فإن زيادة السكان تبتلع أي تقدم اقتصادي.

تعتبر الهند نموذجا لتخلف الإنتاج الزراعي في العالم، فالزراعة التقليديـــة هي السائدة، وانخفاض إنتاجيه الفدان وانخفاض إنتاجيه العامل الزراعي ظاهرتـــان تميز هذا النوع من الإنتاج، كما أن نقل المحاصيل الزراعية من مناطق الوفرة إلـــى مناطق الجوع تقف أمامه مشكلات عديدة، طول المسافات. رداءة وسائل النقل. ففـي عام ١٩٩٩ كانت ٤١% من مجموع ٦٠٠,٠٠٠ قرية فقـــط قريبـــة مـــن الطـــرق والسيارات ومازالت حيوانات الجر تفوق الآلية.

ومع زيادة السكان ينخفض نصيب الفرد مـــن الأرض الزراعيـــة، إذ تبلـــغ الكثافة الفسيويولجية نحو ٨٠٠ لكل كم٢، وإن كانت نصف نظيرتها لـــدى جارتـــها بنجلاديش (١٦٠٠ كم٢) ولكن الزراعة الهندية متخلفة بحيث تصبـــح المقارنـــة خادعة، إذا أن ثلثي الأيدي العاملة في الهند يعتمدون على الزراعة كمصـــدر حيـــاة مباشرة، كما أن غالبية الزراعيين الهنود فقراء جدا لدرجة عجزهم عـــن تحســـين التربة أو استخدام آلات، وأما المناطق التي نجح فيها تحديث الزراعة كما في إقليـــم القمح في البنجاب، فهي جزر متقدمة وسط محيط متخلف. وقد يكون هـــذا الركـــود الزراعي راجعا في جزء منه أيضا في أن الهند بعد الاســـتقلال لـــم تقـــم فيـــها أي مشروعات إصلاح زراعي، فما زال نحو ربع مساحة الأراضي المزروعـــة يمتلكـــها ٥% السكان الزراعيين، وربما أن نصف العائلات الريفية تمتلك فدانا (واحـــدا) أو لا شئ.

الهند دولة زراعية تزرع سنوياً حوالي ٢٩٠ مليون فدان، خمسها على الري والباقي على الأمطار. والري ضروري في الجهات القليلة المطر أو في الجهات التي تتذبذب فيها كمية المطر كأعالي الجانج وشرقي الدكن. وعلى العموم فالزراعة التي تعتمد على مياه الري أفضل بكثير وأضمن من الزراعة التي تعتمد على مياه الأمطار.

المحاصيل الزراعية وهي الأرز هو المحصول الأساسي مساحة وغذاء. ولما كان الأرز في حاجة إلى وفرة في المياه كانت سهول الجانج الأدنى والأوسط والسهول الفيضية لأنهار هضبة الدكن حيث تزرع الهند أكثر من ٧٠ مليون فدان ويمثل الأرز المكان الأول ويزرع معظمه في البنغال وأسام وبهار، وفي السهول الساحلية للهند في الشرق والغرب يزرع الأرز بكميات ضخمة حيث وفرة المياه والتربة الجيدة، وعلى العموم لا يكفي محصول الأرز المحلي سكان الهند وتستورد كميات كبيرة كل عام لتكفي حاجة السكان.

وتبلغ مساحة الأرز حوالي ٨٥ مليون فدان أرزاً وتتركز زراعة الذرة في القسم الأوسط من هضبة الدكن والحوض الأعلى لنهر الجانج لحاجتها الأقل للماء وهي غذاء قسم كبير من أهل الريف، ويزرع القمح في المناطق شبه الجافة وخاصة في شمالي هضبة الدكن وهو هنا محصول شتوي وتنتشر زراعة الفول السوداني كمحصول غذائي أيضا، كما يسهم قصب السكر الذي يزرع في مساحات واسعة خاصة حيث تتوفر مياه الري كما في إقليم البنجاب وأعالي حوض الجانج ويسهم في توفير احتياجات السكان من السكر، أما باقي المحاصيل فتشمل زراعة الشعير والسمسم والكتان والبهارات والجوت والخروع والشاي والتبغ.

ومن المنبهات يزرع بالهند شجيرات الشاي والطباق والبن. ويعد القسم الشمالي الشرقيَ من الهند والقسم الجنوبي الغربي من هضبة الدكن أهم أقاليم زراعة شجيرات الشاي بالهند، وتحتاج شجيرات الشاي لنموها إلى تربة عميقة

خصبة جيدة الصرف. وتزرع شجيرات الشاي على المدرجات الجبلية في آسام. وتحتاج زراعتها إلى كثير من الأيدي العاملة اللازمة للقيام بالشئون الزراعية من جهة، ولعمليات جمع أوراق الشاي وتجفيفها من جهة أخرى.

وتزرع الهند مساحة كبيرة من الأرض قطناً تبلغ ١٧ مليون فدان، وهو من النوع القصير التيلة، ولكنه يسد حاجة الملايين، ويتركز إنتاج القطن في مناطق ثلاث الأولي هي منطقة التربة السوداء في الشمال الغربي للدكن إلى الشرق من بمباى والمنطقة الثانية منطقة السهول الرسوبية الخصبة في حوض الجانج والأخيرة في منطقة مدراس حيث التربة الحديدية الحمراء وتنسج الهند الأن معظم إنتاجها من القطن، وقد أنشأت مصانع للنسيج في جهات كثيرة من البلاد، خصوصا منذ أن اتجهت إلى تصنيع بلادها وحلت المصانع الحديثة محل المصانع اليدوية القديمة التي كانت منتشرة في معظم قرى الهند بشكل واضح معروف، وقد كان إنتاج الهند من القطن حسب إحصائية ١٩٩٧ حوالي ١,٢ مليون طن أي ٩,٥% من الإنتاج العالمي. وكما تزرع الهند الكتان خصوصاً في الشمال لحاجتها لنسيجه، فضلا عن زيته الذي يدخل في صناعة البويات.

تربية الحيوان:

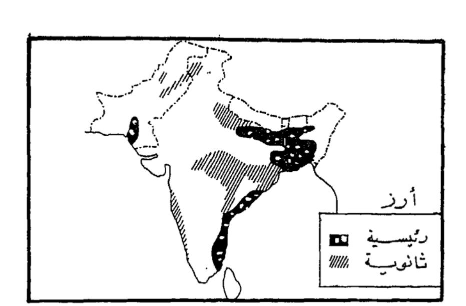
أما من ناحية الثروة الحيوانية فرغم أن الهند بها عدد ضخم من الماشية فإنها من النوع الهزيل حيث المراعي الفقيرة، فالعدد الهائل من الحيوانات لا يتفق مطلقاً مع مساحة المراعي، وتحرم ديانة الهند تحرم ذبح الأبقار، ولذلك تتكدس بشكل يلفت النظر، بالهند حوالي ١٨٣ مليون رأس أي حوالي ١٥% من قطيع العالم، وكثيراً ما تشاهد في المدن وفي الميادين العامة، وألبانها من النوع الرديء ويجمع بطريقة بدائية غير صحية إلا حول المدن الكبيرة مثل بمباي حيث توجد معامل حديثة لتعبئة اللبن، كما أن وأعداد ضخمة من الهنود لا يأكلون اللحم، وتستخدم الحيوانات في الهند في أعمال الحقل والألبان. وتسبب الماشية المتراكمة بدون عناية ورعاية تلفاً للأشجار خصوصاً الماعز والضأن كما تساعد على جرف التربة، فهي تحفر الأرض بأرجلها ويسهل بعد ذلك تعريتها خصوصاً على سفوح

الجبال.

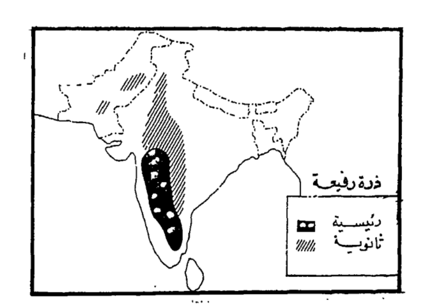
والواقع أنه كان من الممكن الاستفادة من الثروة الحيوانية الضخمة أيضا في تخصيب التربة عماد الإنتاج الزراعي، غير أن هذا لا يتم لأسباب متعددة منها :

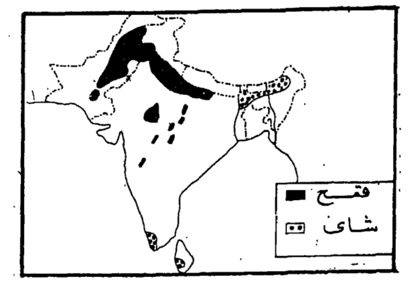
- معاناة الماشية من سوء التغذية، وضعف الجسم، ومن ثم لا تعطي أنواعاً جيدة من الأسمدة العضوية.
- يستخدم الأهالي روث الماشية بعد عملية تجفيفه كمواد للوقود.
- صعوبة جمع روث الماشية، حيث تمرح الماشية من مكان إلى آخر دون أن يخصص لها مكان محدد تتجمع فيه.





شكل رقم (٢٨)





من مشكلات الزراعة في الهند :

يقاوم كبار الملاك أي اتجاه للإصلاح ويزيد من قسوة الظروف أن كثيرا من المزارع الهندية مفتتة نتيجة قوانين الوراثة، وبالتالي يمنع هذا الوضع قيام الميكنة، والري المشترك، والتعاون الزراعي، من ثم فلا عجب إلا تنجح المجـهودات التـي وجهت نحو الأرض ما عدا في ولاية البنجاب وهاريانا وأوتار برادشي حيث أمكـن تحديث الزراعة.

وعلى الرغم من المساحات الواسعة التي تزرع فـي الـهند والمحـاصيل الضخمة التي تنتجها غير أنها قد تتعرض للمجاعات، حقيقة أنها أقـل تعرضـاً الآن من القرن الماضي إلا أنها تتعرض لخطر الجفاف وتذبذب كمية الأمطـار بحيـث لا تكفي الزراعة حاجة السكان، فكثيراً ما يعقب الجفاف حدوث المجاعة وخاصة إذا قل متوسط المطر في إقليمين متجاورين في عام واحد أو توالت بضع سنوات جافة فـي نفس الإقليم، غير أنه يجب أن نشير إلى أن الفجوة نقل بين الإنتاج واستهلاك فـي الحبوب، بل صدرت الهند إلى أفريقية في الثمانينيات كميات من الحبوب مشاركة في برامج إغاثة اللاجئين، ومع ذلك فالوضع الغذائي على حد الموسي Razors`edge ورغم المشكلات التي يعانيها القطاع الزراعي في الهند فمازالت الزراعة هي أسـلس التنمية، ومازالت الزراعة تستخدم ثلثي الأيدي العاملة. مولدة معظم دخل الدولة مـن الضرائب، وتسهم المنتجات الزراعية بقدر وافر فهناك صادرات المنسوجات القطنية، الشاي، الفاكهة، الخضروات، منتجات الجوت، والمصنوعات الجلدية وبالتالي تسـهم في دخل البلاد من العملة الصعبة.

(ممباي) بومباي

بومباي من الأسماء التي سوف تمحي من الخرائط ليحل محلها ممباي. كانت بومباي قبل الاستعمار الإنجليزي عبارة عن مرفأ صغير سمي باسم أحد الإلهات عند الهندوس واسمها ممباي، وأمام هذا المرفأ الصغير سبع جزر صغيرة، ويعيش السكان على الصيد البحري الفقير. وقد اطلق عليها البرتغاليون وهم أول من وصلها من الأوربيين بوم باهيا **Bom Bahia** أي الخليج الجميل وعندما تولي الحزب الهندوسي المتطرف الحكم في الهند، أصدر قرار بتغيير الاسم القديم إلى ممباي تخليدا لآلهتهم، وقد أقرت الحكومة الفيدرالية هذا التغيير عام ١٩٩٦.

وممباي بسكانها الذين يزيدون على ١٧ مليون نسمه هي أولى مدن الهند. وهي عاصمة ولاية مهارا شاترا، الولاية القائدة للهند اقتصاديا. وتعتبر ممباي صورة الهند مصغرة أو هي الهند مختزلة، إزدحاما، فوضي، معابد، مساجد، كنائس، وككل المدن الهندية موازيك بشري، تتنافس فيها وسائل النقل من الأتوبيسات مع عربات تجرها الثيران إلى الركشة، وعربات اليد، " رجال الأعمال ". ورجال الدين، والموظفون، والشحاذون.

ولعل الموقع الجغرافي وليس الموضع هو الذي أعطى ممباي هذه الأهمية، فقبل حفر قناة السويس، كانت كلكتا تسبقها، ولكن بعد حفر القناة أصبحت مومباي أقرب الموانئ الهندية الى اوربا. والآن هي منفذ أكثر أقاليم الهند تقدما

الإنتاج الصناعي

حين استقلت الهند عام ١٩٤٧ ورثت بقايا إطار صناعي مهلهل، وإذ بعد قرنين من الاستعمار البريطاني لم يعمل بالصناعة سوى ٢% من مجموع العاملين ولم يسهم هذا القطاع إلا بنحو ٢% من الدخل القومي.

وسادت الصناعات الغذائية والنسيجية، ولم تعرف الهند الصناعات الثقيلة بصورة مؤكدة إلا بعد الحرب العالمية الثانية، وتركزت الصناعات في المدن الرئيسية الكبيرة، كلكتا، مومباي ثم مدراس.

مقومات الصناعة :

تتمثل مقومات الصناعة في الهند في خامات زراعية ومعدنية وقوى محركة للصناعة وأيدي عاملة رخيصة:

هذا وقد ساعد على نشاط الإنتاج الصناعي في الهند وفرة بعض الخامات التي يمكن استغلالها، منها المحاصيل الزراعية كالقطن والجوت، ومنها ثروة معدنية تأتى على قمتها الفحم الذي يتركز في شمال شرقي الهند، وهذه المنطقة لها وحدها ٩٠% من الإنتاج الفحمي، هذا فضلا عن مناطق متفرقة في هضبة الدكن. وإذا كانت الهند قد اكتشفت حقولا بترولية في ولايات آسام وجوجرات وبارود، فإن إنتاجها لا يكفي الاستهلاك، من ثم تعتمد على الاستيراد، وتعوض الهند هذا باستغلال القوي المائية بإقامة السدوذ على الأنهار، فضلا عن الاستخدامات النووية. ويتوفر الحديد في الهند ويستغل وتستكمل حاجتها بالاستيراد، ويساعد المنجنيز الذي يتوفر في هضبة الدكن على قيام صناعات الصلب الشديد المقاومة، وهناك عدة معادن أخرى ولكنها تستخرج بكميات قليلة كالنحاس والميكا.

أخذت الهند سياسة الخطط الخمسية، وذلك لتنشيط الصناعة، وحتى قامت فيها صناعات متعددة من الحرير والصوف والقطن والجوت، وهي صناعات قديمة، إلى الحديد والصلب وقطارات السكك الحديدية والجرارات والسيارات، والألومنيوم،

والصناعات الكيماوية كالأسمدة والأسمنت وغيرها وأهم هذه الصناعات :ـ

صناعة المنسوجات، وتعد صناعة المنسوجات القطنية من أقدم الصناعات التي عرفتها الهند، واشتهرت الهند بصناعة المنسوجات القطنية والحريرية، فقد أنشئ فيها أول مصنع للمنسوجات القطنية عام ١٨٥١. وتتركز مصانع غزل القطن ونسجه داخل نطاق زراعة القطن. كما في ممباي (بومباي) وأحمد أباد، وناجبور، ومدراس، وكانبور، ودلهي، وكلكتا، وقد تخصصت مصانع ممباي، وأحمد أباد في صناعات المنسوجات القطنية الجيدة، معتمدة على غزل جيد مستورد من الخارج.

وتتركز صناعة الجوت أيضا بجوار مناطق زراعته، من ثم تركزت مصانع الجوت على ضفاف نهر هوجلي بالقرب من كلكتا.

أما صناعة المنسوجات الصوفية فهي أقل أهمية إذا ما قورنت بصناعة المنسوجات القطنية أو الجوت، ومع ذلك فاشتهرت الهند وخاصة إقليم كشمير بصناعة السجاد الجيد، وكذلك صناعة البطاطين وغيرها. وتتركز مصانع هذا النوع من المنسوجات في ممباي، وبنجالور، والله أباد، وكانبور.

صناعة الحديد والصلب:

ترجع نشأة صناعة الحديد والصلب إلى فضل رجل الصناعة الهندي جامشدج تاتا الذي أقام أول مصنع للحديد والصلب في إقليم جامشدبور، وأسس الشركة التي عرفت باسمه (شركة تاتا للحديد والصلب).

وكان اختياره لموقع جامشدبور نموذجيا لوفرة كل من خامات الحديد، والفحم، والحجر الجيري بالقرب من هذه المنطقة المختارة. وأنشأ أول الأفران العالية عام ١٩١١، وظهرت بداية إنتاج الصلب منذ عام ١٩٣٣، وبعد نجاح هذه الصناعة دعمتها الحكومة، وظهرت أفران عالية لصهر الحديد في شمال شرقي الهند (لاحظ توفر الفحم) وفي وسط هضبة الدكن وجنوبيها. هذا وتستمر الهند في برامجها لزيادة إنتاج الحديد والصلب لأنه أساس لصناعات كثيرة كالسكك الحديدية

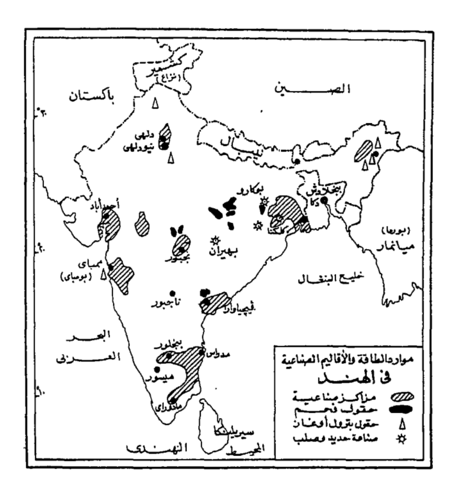
والسيارات والجرارات فضلا عن السفن التي تقدمت في صناعاتها كثيرا.

الصناعات الكيماوية :

وتعد الصناعة الكيماوية أساس التقدم الصناعي للدولة الصناعية بالعالم، كما تساهم صناعة الأسمنت على سرعة نمو حركة البناء والتعمير بهذه الدول.

وقد وجهت حكومة الهند عنايتها للنهوض بالصناعات الكيماوية. وتتركز صناعة الكيماويات في أقاليم البنغال الغربية، وكانبور، وولاية جوجارات)، وممباى وجنوبي هضبة الدكن، مما أدي إلى زيادة الصناعات الكيماوية وتنوعها، وأهمها صناعة الأسمدة وصناعة الأسمنت، ومن الصناعات المستجدة على الساحة العالمية، صناعة برامج الكمبيوتر.

برامج الكمبيوتر وثورة المعلومات: استطاعت الهند الدخول في عمق الثورة الصناعية الثالثة (ثورة المعلومات)، من خلال الأعداد الهائلة من الفنيين والتكنولوجيين وشركات تكنولوجيا المعلومات، والذين تمكنوا من الدخول في عملية التقسيم الدولي للعمل في مجال تكنولوجيا المعلومات، ولو على الأقل كمجرد سمسار صغير لدى شركات الكمبيوتر العالمية الكبري. ويمثل هذا التطور التكنولوجي في الهند نتاجا للسياسات التي اتبعتها الحكومات الهندية منذ عام ١٩٨٤، ولذلك أصبحت الهند تمتلك في الوقت الحالي شريحة واسعة من المبرمجين والفنيين، والذين يتركزون في عدد من المؤسسات، مثل وادي البنغال للسيليكون، ومعهد الهند للعلوم، ووكالة الفضاء الهندية.



شكل رقم (٢٩)

الصناعات النووية :

وفي المجال النووي، تتمتع الهند بقدرات عالية في مجال الاستخدامات السلمية والعسكرية للطاقة النووية، فقد بدأ الاهتمام بالطاقة الذرية في الهند منذ فترة ما قبل الاستقلال، وكان هذا الاهتمام مرتبطا بشيوع الإدراك في الهند أن التكنولوجيا النووية تعتبر ركنا محوريا من أركان التطور الصناعي، ويمكن أن يفيد الهند بشدة في عملية التطور الاقتصادي، ومما ساعد على استمرار وتطور البرنامج النووي الهندي أن كافة الحكومات الهندية منذ الاستقلال، قدمت الدعم والمساندة السياسية للبرنامج النووي الهندي، وقد تم بناء أول مفاعل نووي هندي في مدينة

بومباى في منتصف الخمسينيات، ثم تم بناء مفاعل بحثي نووي عام ١٩٦٠ قدرته حوالي ٤٠ ميجاوات، وفي الوقت الحالي، بلغ عدد المفاعلات النووية العاملة في الهند ٩ مفاعلات، كما يجري تشييد ٧ مفاعلات أخرى، وهي من الأنواع الصغيرة والمتوسطة. وأصبحت المفاعلات النووية توفر حوالي ٣% من الكهرباء للبلاد. وتعتزم الهند إنتاج ٢٠,٠٠٠ ميجاوات من الطاقة الكهربية عن طريق المفاعلات بحلول عام ٢٠٢٠.

مراكز رئيسية للصناعة :

١ – تعتبر كلكتا هي المركز الصناعي الرئيسي في الإقليم الصناعي شرقي الهند حيث الصناعات القائمة على الجَوت أساسا، وقامت بجانبها صناعات المنسوجات القطنية والكيماويات، كما تقوم في جمشدبور إلى القرب من كلكتا كأكبر مركز في الهند لصناعات الحديد والصلب.

٢ – مميای وحيدر أباد أي الإقليم الغربي، وقد تخصصا الإقليمان في الصناعات القطنية والكيماوية وبعض الصناعات الهندسية والغذائية. وقد اعتمدت هذه المنطقة الصناعية على الظهير الخلفي لها المنتج للقطن في هضبة الدكن، ورخص الأيدي العاملة، وتوليد الكهرباء من مساقط جبال الخات الغربية.

٣ – مدراس وهي المركز الصناعي الرئيسي في جنوبي الهند. ويقع خلفها عدة مراكز صناعية صغيره، كلها تؤدي إلى مدراس وتقوم هنا صناعات النسيج والصناعات الهندية الخفيفة، وبناء السفن في مدراس.

كلكتا

يرتبط اسم كلكتا بكل السوءات التي توجد في مدن الدول النامية، الفقر، الأمراض، التلوث، الجرائم، الفوضى، والفساد. فإذا أطلقت على مكان ما أنه كلكتا هذا الإقليم. فأنت تلخص بذلك جميع السوءات.

ولكن ما حقيقة مدينة كلكتا؟ استمدت المدينة شهرتها السينة خلال الفترة الاستعمارية. حيث كان الطاعون والملاريا، وغيرها من الأمراض تحصد آلاف البشر، وقد أختار الإنجليز هذا الموقع على بعد ١٣٠ كم من مصب نهر هوجلي في خليج بنغال. ولا يرتفع أكثر من ٩ أمتار عن سطح البحر، وغير بعيد من مسطحات المستنقعات التي تنتشر في مساحات واسعة في الإقليم. ولكن أهميته التجارية غطت على عيوبه البيئية، وشهدت كلكتا أيام عزها حين مُنحت شركة الهند الشرقية الإنجليزية حرية التجارة مع ظهير كلكتا المزدحم بالبشر، واتخذها الإنجليز عاصمة إدارية لهم عام ١٧٧٢، وقام الإنجليز بتصريف الماء الزائد وتجفيف المستنقعات حتى يجعلوه صالحا للسكن، وبنوا فيها المساكن الحديثة حتى كانت تعرف بأنها " مدينة القصور . كما قام أغنياء التجار الهنود ببناء المساكن الفخمة أيضا خارج القطاع الإنجليزي، أما خارج هذين القطاعين مباشرة ستجد القطاعات الخاصة بالحرف المختلفة، وتعرف باسم الأحياء وعلى ضفتي نهر هوجلي تنتشر العشوائيات من الصفيح حيث أفقر الفقراء، ولم يكن القرن العشرين رحيما بكلكتا. فقد نقل الإنجليز عاصمتهم عام ١٩١٢ إلى نيودلهي، ثم كان انفصال باكستان عام ١٩٤٧ مما خلق باكستان الشرقية (الآن بنجلاديش) وحرم كلكتا من ظهير كبير من ناحية، ومن ناحية أخرى عانت المدينة من تدفق أعداد ضخمة من المهاجرين مما خلق فوضى كبيرة. وكلكتا الآن بسكانها الذين يزيدون على ١٣ مليونا فيها ما يزيد على نصف مليون نسمة بدون مأوي، حتى ليخيل للناظر إليها أن هذه أكثف مدن العالم قاطبة!

الهند بين الشرق والغرب والجنوب والشمال

من المعروف أن إذا أردنا تقسيم الهند إلى أقاليم، فهناك الذي لا شك فيه هو التقسيم إلى الشمال والجنوب، الشمال هو قلب الهند، أما الجنوب فهي الزائدة الدورية، الهندوسية هي لغة التفاهم المشترك في الشمال، بينما الإنجليزية هي لغة

التفاهم المشترك الأكثر أهمية عن الهندوسية. التنمية أكثر سرعة في الشمال. و هي أكثر بطأ في الجنوب.

ولكن هناك تقسيم آخر قد يكون أقل وضوحا، وهو الشرق والغرب خط يمتد إلى الشرق من دلهي إلى الطرف الجنوبي لشبه الجزيرة فإلى الغرب من هذا الخط نجد التقدم الاقتصادي متسارع مما ينبئ بأن هذا الإقليم في تقدمه سيصبح كتايوان وإندونيسيا، بينما إلى الشرق نجد تقدما أقل، وهو في هذا أقرب إلى بنجلاديش وميانمار. ونظرا لأن كثيرا من عمال القسم الغربي في الهند هاجروا إلى دول الخليج، ويعتبر الإقليم الغربي أكثر تطورا في علاقاته مع العالم الخارجي.

وإذا كانت ولاية مهارشترا Maharashtra (ظهير مومباي) قوة إقتصادية فإنها أيضا موطن أساسي للهندوسين الأصليين الذين يعارضون أي تدخل واستثمارات أجنبية.

مواطن ضعف ومشكلات

القاعدة البشرية:

بدأت الهند تستحوذ على مكانة متصاعدة على الساحة الدولية خلال العقد الماضي، وذلك في ظل التطور الملحوظ في القدرات الاقتصادية الهندية، بالإضافة إلى الدور الإقليمي الفاعل الذي تلعبه الهند في قضايا الأمن، والصراع في جنوب آسيا، ومع ذلك فإن مؤشرات القوة الهندية الشاملة. تشير إلى أن هناك مواطن ضعف ممثلة في القاعدة البشرية الضخمة، وعلى الرغم من أن الهند لها تفوق ملحوظ في حجم القاعدة البشرية الضخمة للغاية، حيث يقترب عدد سكان الهند من بليون نسمة، فإن هذه الثروة البشرية تعتبر سلاحاً ذو حدين، لأنه بينما تمثل هذه الثروة سوقاً بشرية ضخمة، ومصدر لكفاءات بشرية متنوعة في كافة المجالات إلا أن العدد السكاني الضخم يعتبر عبئا على الاقتصاد، وحيث أن عملية التنمية البشرية لم تسر بصورة طيبة، فمازالت الهند تعاني من ارتفاع معدل الأمية، والتي تقدر

نسبتها بحوالي ٥٦%، حسب تقديرات عام ١٩٩٨. وفي الوقت نفسه تعاني الهند من الانقسامات الدينية والطائفية والأثنية، وتدني مستوى التنمية البشرية لقطاعات واسعة من الشعب الهندي، ولكن ربما يعوضه جزئياً مرونة النظام الديمقراطي الهندي الذي يساعد على احتواء التناقضات الاثنية الضخمة.

الاندماج القومي والتعايش السلمي:

تضافرت الأزمة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية في زيادة مشكلة الاندماج القومي والتعايش بين الجماعات المختلفة حيث زادت الحركات الانفصالية المطالبة باستقلال عن الهند وبالتالي كثرت أعمال العنف والإرهاب سواء بسبب هذه المطالب أو كجزء من توترات اجتماعية بين الجماعات الدينية والثقافية المختلفة.

فالسيخ على سبيل المثال مازالوا يطالبون بالانفصال عن إقليم البنجاب. ويثيرون الاضطرابات في محاولة لإجبار الحكومة على تنفيذ مطالبهم، لكن مشكلة السيخ في النهاية تتميز بأنها محدودة في نطاق جغرافي معين يتركز فيه السيخ وبالتالي يمكن السيطرة عليه. أما المشكلة الأكبر فتتمثل في التوتر بين المسلمين والهندوس فالمسلمون هم اكبر أقلية في الهند (١١٥ مليون نسمة)، وهم موزعون كأقليات في ولايات متفرقة من البلاد ولا يمثلون الأغلبية إلا في إقليم جامو وكشمير، لذلك فإن أي مشكلة تثور في منطقة معينة يمكن بسهولة أن تنتقل لباقي مناطق تواجد المسلمين وبالتالي تؤدي إلى اضطراب كبير.

أما القضية الثانية فهي عدم تساوي الفرص أمام المناطق المختلفة في الهند في التنمية والحصول على الخدمات وغالباً ما تكون هذه المشكلة هي أساس معظم الصراعات الإثنية الداخلية في معظم دول العالم.

وقد تفجرت حالة السخط من الأوضاع المختلفة في شكل صراع ديني ثقافي بين الهندوس والمسلمين، وبدأ يتخذ منحنى عنيفاً مع بروز الحركات الأصولية منذ بداية التسعينات، وتفجر العنف بشكل واضح مع حادث مسجد بابري الشهير الذي هدمه المتطرفون الهندوس، وأقاموا في موضعه معبداً لمعبودهم رام، وكان هذا

الحادث بداية لسلسلة من أحداث العنف، وليس في الهند وحدها، بل وفي المنطقة كلها حيث بدأت جماعات من المسلمين في الدول الإسلامية المجاورة للهند في تحطيم المعابد الهندوسية الموجودة لديها كنوع من الثأر لما حدث في الهند من المساس بمقدساتهم.

المجال الاقتصادي:

أما في المجال الاقتصادي، فلاشك الهند تتمتع بمؤشرات عالية نسبيا في مجالات التطور التكنولوجي، مما يضعها في مكانة جديدة في مجتمع المعلومات العالمي، ولكنها تعاني من عدد من المشكلات الخطيرة، وأبرزها أن السواد العظم من الشعب الهندي يعاني من الفقر المدقع، حيث أن أكثر من ثلث السكان لا يحصلون على القدر الكافي من الغذاء، وهناك أكثر من ٣٥% من السكان يعيشون تحت خط الفقر، وهناك ٥% فقط من السكان يحصلون على ٢٣٠٠ دولار سنويا. وفي الوقت نفسه، فإن توزيع عنصر العمل على النشاط الاقتصادي مازال يعكس نمط الاقتصادات المختلفة، حيث يعمل أكثر من ٦٧% من قوة العمل في الزراعة (رغم أن مساهمتها في الناتج المحلي الإجمالي لا تزيد عن ٢٥%، و١٥% في الخدمات، و ١٥% في الصناعة) ومن ناحية أخرى، فإن الهند تعاني من خلل كبير في الميزان التجاري، حيث تصل القيمة الإجمالية للصادرات إلى حوالي ٣٦,٦ بليون دولار، في حين بلغت الواردات إلى حوالي ٥٠ بليون دولار لعام ١٩٩٩. هذا ومن أهم مشكلاتها الخارجية مشكلة كشمير.

الفصل الثالث

باكستان ــ بنجلاديش

باكستان

التقسيم:

كان الواضح حتى قبل استجابة الحكومة البريطانية لمطلب الاستقلال أن الهند الكبرى لن تعيش كوحدة سياسية واحدة بسبب الصراعات بين الهندوس والمسلمين، ولكن عملية التقسيم لم تكن سهلة، فالغالبية المسلمة كانت تشكل الجزء الشمالي الغربي، وكذلك الجزء الشرقي من الهند الكبرى (بنجلاديش) كما أن هناك تجمعات إسلامية في داخل النطاق الهندوسي، وأي خط يرسم للتقسيم سوف لا يفصل تماما بين الهندوس والمسلمين، لذلك لابد من هجرة ملايين السكان عبر هذا الخط، ولم يكن المسلمون والهندوس هم الذين يستأثرون بهذا التقسيم فحسب، بل هناك السيخ فأرض البنجاب هي مواطن ملايين من السيخ، وهم من اشد أعداء المسلمين، خاصة وأن خط الحدود سيترك السيخ في باكستان، وقام السيخ بمظاهرات حتى قبل يوم الاستقلال في ١٥/ أغسطس ١٩٤٧ ولا يمكن تصور ما حدث للمهاجرين عبر الخط الجديد من الشرق إلى الغرب والعكس لنحو ١٥ مليون نسمة من نهب وسلب وقتل وتشريد، فالمعاناة الإنسانية كانت فوق التصور البشري. ورغم هذه الهجرات عبر الجانبين فلم يكن في الإمكان تنقية كل جانب تماما من العنصر الآخر، فمازال هناك عشرات الملايين من المسلمين في الهند، وقد اقترب حجمهم عن عدد سكان باكستان.

هبة السند :

إذا كانت ارض مصر هبة النيل، فباكستان هي هبة السند، فنهر السند ورافده الرئيسي سوتليج هي باعثة الحياه في قلب هذه الدولة الكثيرة السكان ومن روافده أيضا جيلم، والراوي فضلا عن وستلج، فباكستان ليست كبيرة من حيث المساحة بمقاييس الدول الأسيوية الكبيرة، ولكن بسكانها البالغين نحو ١٤٠ مليون

نسمة، فهذا يضعها ضمن أكبر عشرة دول سكانيا، وتأتي بعد إندونيسيا سكانا من بين الدول الإسلامية. وتمتد باكستان بإسفين بين إيران وأفغانستان غربا والهند شرقا، ومن البحر الغربي جنوبا حيث تبلغ أقصى عرض لها إلى المرتفعات الشمالية التي تتوجها الثلوج، وهنا في القسم الشمالي تتعقد الحدود. ففي الشمال تتنافس الهند والصين وباكستان وحتى وقت قريب الاتحاد السوفيتي (سابقا) في إقليم الحدود الشمالية، ولكن النزاع الأساسي هو النزاع الهندي الباكستاني في وإقليم جامو وكشمير، الذي مر عليه نحو نصف قرن دون حسم.

نقل العاصمة:

حين استقلت باكستان عقب تقسيم الهند الكبرى عام ١٩٤٧ كانت عاصمتها كراتشي على ساحل البحر قرب النهاية الغربية لدلتا السند، ولكن العاصمة الحالية هي إسلام أباد قرب روالبندي في الشمال غير بعيدة من كشمير هي رسالة إلى الهند وغيرها من الجيران بأنها قريبة من مناطق النزاع، وبتسميتها إسلام أباد هي رسالة أخرى إلى الهند الهندوسية، وهكذا كان استخدام العاصمة الوطنية من الناحية الجغرافية السياسية تجسده العاصمة المتقدمة والقريبة من إقليم النزاع.

تنوع الأقاليم :

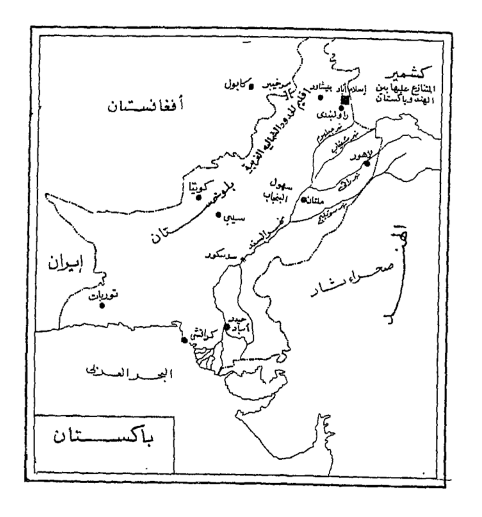
وتتنوع الأقاليم كما تتنوع الحياة في باكستان نظرا لتنوع الظروف الطبيعية من الشقة الساحلية التي تبرز فيها كراتشي المدينة والميناء المهيمن إلى صحراء بلوخستان إلى البنجاب قلب الدولة والذي تعتمد على زراعة الري إلى الجبال الشديدة التضرس في حدودها مع أفغانستان، إلى مرتفعاتها في الشمال الغربي، وكما تتنوع ظروفها الطبيعية نجد أيضا تنوعا للمجتمعات، تتكلم الأردية كلغة رسمية والإنجليزية لغة التفاهم المشترك lingua Franca بين النخبة المتعلمة فضلا عن لغات أخرى متعددة ورئيسية في مختلف أنحاء باكستان.

إقليم البنجاب : هو نواة باكستان وامتد عبر خط الحدود الفاصل بين كل

من الهند وباكستان، ومن ثم نجد أن هناك ايضا البنجاب في الهند. وبنجاب باكستان الذي يضم ٦٠% من السكان، بل أنه في المثلث الذي شكله نهر السند مع رافده الرئيسي سوتليج يعيش ٨٠% من سكان بنجاب، وسكان البنجاب يعيشون أساسا على الزراعة الكثيفة، والقمح محصولها الرئيسي، وأن كان ٦٠% من قطن باكستان هو بنجابي، من ثم قامت صناعة المنسوجات القطنية، كما يستخرج من الإقليم كميات قليلة من البترول ويستفيد الإقليم أيضا من توليد الكهرمائية بإقامة السدود على روافد النهر مثل مشروع ماندي وملاكلاند. ويضم هذا الإقليم لاهور المركز الرئيسي للإسلام وعاصمة الإقليم وهي مركز صناعي وتجاري هام، وفيصل أباد هي مدينة صناعية حديثة، وعقدة مواصلات السكك الحديدية ومولتان، وتضم لاهور اليوم نحو ٧ مليون نسمة يعيشون قرب الحدود مع الهند، وقد استقبلت المدينة مئات الآلاف من المهاجرين واستمرت في نموها السريع عقب التقسيم، وإذا كانت لاهور قد تأسست منذ ألفي عام، فإن عهد الإسلام الذهبي شهدته خلال حكم الغول عندما كان إقليم البنجاب ممرا إلى الهند، واتخذت لاهور عاصمة، وبالتالي قامت فيها المباني الجميلة من قصور وجوامع وحصون تعد تحفا معمارية، كما أنها ضمت جامعة لاهور الإسلامية القديمة، ومساحات واسعة من الحدائق التي تشد النظر، من ثم كانت قلب الإسلام في باكستان، وإذا كانت بعد التقسيم قد فقدت ظهيرها، ولكن دورها في باكستان الحديثة حافظ على استمرار نموها.

إقليم السند : إلى الجنوب من إقليم البنجاب ومركزه كراتشي على الساحل وحيدر أباد على النهر في الداخل، ويضم الإقليم ثلاث هيئات طبيعية landscape، التلال الصخرية في الغرب، الصحراء إلى الشرق (صحر ثار) وبين هذا وذاك الأرض الغرينية المعتمدة على الري في الزراعة، وقد أقيمت مشروعات عديدة للري على النهر مما جعل هذا الإقليم سلة حبوب القمح والأرز بالنسبة لباكستان، كمادتين غذائيتين، فضلا عن القطن كمحصول تجاري، وتقوم عليه مصانع الغزل والنسيج، واستقبل هذا الإقليم أيضا فيضانات من المهاجرين مما نتج عنه صراع بين المواطنين الأصليين والمهاجرين في هذا الإقليم، وقد تضخمت كراتشي كثيرا بعد

وصول المهاجرين، ولم تتحمل بنيتها التحتية تدفق الملايين، فضلا عن انتشار الدخول المنخفضة بين السكان مما أعطاها مظهر المدن الفقيرة.



شكل رقم (٣٠)

<u>بلوخستان:</u> ويمتد من السند كإسفين داخل إيران، وهو صحراوي صخري خفيف الكثافة السكانية. ويعبره السكان ذهابا بين إيران وباكستان وعن طريق هذه الصحراء الصخرية وصل المذهب الشيعي إلى إيران، ورغم أن باكستان دولة إسلامية سنية، فإن الشيعة يمثلون نحو ٢٠% من السكان. وتبدو أهمية بلوخستان

بالنسبة للمستقبل أكثر مما هي الآن، ذلك أن البحوث تشير إلى إمكانات كبيرة من الثروة المعدنية، وقد اكتشفت كميات قليلة من البترول والغاز الطبيعي، ولكن أهميتها استراتيجية لأنها تشرف على ممر بولان، وتتصل بخط حديدي مع زاهدي في إيران.

وعاصمة هذا الإقليم كويتا تقع في واحة خصبة وسط هذا الإقليم الجبلي الشديد الجفاف، وقد خربتها الزلازل في الثلاثينيات من القرن الماضي أزالت كل معالمها بما فيها الآثار التي اشتهرت بها، ثم كان بظهور حقل بترول سوي Sui بالقرب منها سببا في ظهور نهضة صناعية.

إقليم الحدود الشمالية الغربية، وهو الإقليم المجاور لأفغانستان المضطربة والذي شاهد تدفقات ضخمة من المهاجرين، ويسود الإقليم المرتفعات الشديدة التضرس وبه أعلى قمة ثانية بعد إفرست وهي قمة جودوين، وتغطي الغابات معظم هذه المرتفعات والأحواض الجبلية، كما تشقها الممرات الجبلية، ويعتبر ممر خيبر أهمها، فكان طريق غزوات الأتراك إلى السند، كما تدفق المغول عبره إلى الهند، كما عبره في العقود الأخيرة ملايين من الأفغان بحثا عن الأمن في باكستان.

وتعتبر بشاور أكبر مدن هذا الإقليم على الطريق الاستراتيجي الخطير في شمال غربي البلاد (ممر خيبر)، ولكن هذا الإقليم أقل أقاليم باكستان حضرية باستثناء بلوخستان، وتقع بشاور في وادي خصيب غني بالقمح والذرة، ولكن مع تدفق المهاجرين الذي بلغوا في بعض التقديرات ٤ مليون نسمة، واجه الإقليم كثيرا من صعوبات الإعاشة مما استلزم إلى مساعدة هيئات الإغاثة الدولية.

وإلى الجنوب الشرقي من بشاور تقع إسلام أباد العاصمة قرب حدود كشمير، كما تقع شمال روالبندي التي كانت العاصمة المؤقتة أثناء إعداد إسلام أباد.

وتتنوع أصول السكان في هذا الإقليم، حتى قبل وصول المهاجرين الأفغان، إذ يتألف الباتان نسبة عالية (معرفون أحيان بالبوشتن) وهم جزء من باتان أفغانستان؛ وكان لهم دعوي انفصالية للاتحاد مع أقاربهم في أفغانستان. وعندما غزا السوفيت أفغانستان عام ١٩٧٩، تدفقت أعداد كبيرة منهم إلى هذا الإقليم،

واستقبلت باكستان هؤلاء المهاجرين وعملت على إيوائهم، في نفس الوقت مدت فيه الطرق الجيدة التي تربطه بأنحاء باكستان.

ومنذ التسعينيات وإقليم الحدود الشمالية الغربية ظل منطقة حساسة فلا تعدو المسافة بين بشاور، وكابول عاصمة أفغانستان ٢٧٠ كم، وكل ما يحدث في أفغانستان لابد وأن يؤثر على باكستان، وعندما خرج الروس من أفغانستان عاد معظم الأفغان إلى بلادهم، ولكن في فصائل متنافرة، ولعل أحداث أفغانستان الأخيرة خير شاهد على ذلك.

تقييم باكستان :

رغم ضخامتها ومكانتها الإقليمية في عالم المحيط الهندي، مازالت باكستان دولة فقيرة، ومازالت نسبة التحضر فيها نحو ٣٠%، ومازالت زيادة السكان مرتفعة في حدود ٢٩ في الألف أي يتضاعف السكان في اقل قليلا من ربع قرن. ومازال إنتاج الغذائي للكفاية الذاتية ساندا، ومتوسط العمر نحو ٦١ عاما، هذا فضلا عن أن نسبة الأمية تبلغ ٦٥% لمن هم فوق سن الخمسة عشر عاما. ومع ذلك فقد تقدمت باكستان تقدما محسوسا في الخمسين عاما الماضية لأن الأحوال التي ذكرناها كانت أسوا من هذا بكثير، فقد توسعت المساحات المعتمدة على الري وتوسعت صناعة المنسوجات القطنية، وقامت صناعة الصلب في (أم قاسم) بالقرب من كراتشي. فباكستان تصدر للعالم المنسوجات القطنية والمصنوعات الجلدية، والسجاجيد. والأرز وتصديرها للأرز رغم تضخم عدد سكانها معناه نجاح قطاع الزراعة، كما أنها من أكبر الدول المنتجة للهيروين في جنوبي غربي آسيا لزراعتها للحشيش والأفيون اللازم للعمليات الطبية وبالتالي تنتشر عملية تهريبه رغم جهود الحكومة لإيقافها، ولا ننسى أن باكستان هي إحدي الدول النووية، الأمر الذي تم بمساعدة الصين نكاية في الهند.

مشكلة كشمير

معلقة بين الهند وباكستان لمدة نصف قرن

إشتهرت ولاية كشمير في فترة الاستعمار البريطاني بأنها ملجأ للموظفين البريطانيين لقضاء إجازتهم صيفا، هربا من الحر اللافح، ومن الأمطار الموسمية، ثم أصبحت بعد عام ١٩٤٧ من مناطق الإنفجار السياسي في العالم، ومنطقة صراع مرير بين الدولتين الجديدتين الهند والباكستان، وكشمير أو بالأصح ولايتي جامو Jammu وكشمير ومركزى جليجت Gillgit ولادكه Ladakh تقع في شمال باكستان الغربية أو بمعنى آخر شمال غربي الهند، من ثم أصبحت متاخمة للهند، وباكستان، وأفغانستان، والصين. وتبلغ مساحة المنطقة موضوع النزاع ما يزيد على ٨٢ ألف ميل مربع يعيش عيها ٥, ٥ مليون نسمة، ثلاثة أرباعهم من المسلمين.

ويغلب الإرتفاع على سطح كشمير، إذ يتراوح إرتفاعها ما بين الألف والألفي متر من الجنوب الغربى إلى سلاسل قراقورم في الشمال حيث يربو الإرتفاع على الثلاثة آلاف متر، ولا تظهر الأرض المنخفضة إلا في ولاية جامو حيث يمتد شريط يقل إرتفاعه عن الألف متر في جنوبها الغربي. أما ولاية كشمير فتقع شمال جامو بإرتفاع يتراوح بين ١٢٠٠، ١٥٠٠ متر، وتضم مدينة سريناجار Srinagar العاصمة التي تضم نحو ٤٥% من السكان، تجمعهم وتوحد بينهم الظروف الطبيعية والحضارية، فهم محاطون بالجبال من جوانب ثلاثة، ويتكلمون لغة واحدة، ويدينون بالإسلام، أما جامو التي تقع إلى الجنوب وبها نحو نصف السكان، فيتركز الهندوس منهم في جنوبيها فقط، بينما ينتشر المسلمون في بقية أنحائها.

ويرجع النزاع بين الهند والباكستان بشأنها إلى أغسطس عام ١٩٤٧، حينما كان على كل ولاية أن تقرر الانضمام إلى أي من الدولتين الناشئتين. ورغم أن الديانة السائدة في كشمير هي الإسلام، إلا أن الأسرة الحاكمة هندوسية، ولم يبد حاكم كشمير أول الأمر رأيه في الانضمام إلى أي من الدولتين، بل يظهر أنه أراد أن

يبقى الحال على ما هو عليه بعيدا عنها. ولما كان تقسيم شبه القارة الهندية. على أساس الدين فقد بدأت الثورة الداخلية ضد الإدارة الهندوسية. وبدأت جيوش الهند تدخل كشمير لمساعدة المهراجا، وبدأت قوات الباكستان تدخل كشمير لمساعدة الشعب، واستمر القتال بين الفريقين في كشمير ما يزيد على العام، وأخيرا توقف القتال في يناير عام ١٩٤٩ عند خط وقف إطلاق النار نتيجة لتدخل الأمم المتحدة، وقسم خط وقف إطلاق النار كشمير إلى قسمين بحيث أصبح ثلثي مساحة كشمير وأربعة أخماس سكانها تحت الإدارة الهندية بما فيها العاصمة سارينجار.

وظلت كشمير مقسمة منذ عام ١٩٤٩ على هذا الحال، وذهبت جميع الجهود التي بذلت لحل النزاع سدى، إذ كانت كلا من الدولتين تدعيان حقوقا في المنطقة إستنادا على أسس أثنولوجية واقتصادية وسياسية وتاريخية. وأصبحت مشكلة كشمير من العقبات الرئيسية التي تقف في وجه استمرار الصداقة الهندية الباكستانية، وحاولت الأمم المتحدة الضغط لعمل استفتاء للسكان، ولكن هذه الرغبة كانت ترفض دائما من الهند.

وتستند باكستان في مطالبها بكشمير إلى عوامل متعددة منها:

١ ــ أن معظم السكان من المسلمين.

٢ ــ ارتباط كشمير بالسكك الحديدية والطرق بما يعرف في الوقت الحاضر بباكستان وذلك قبل تقسيمها، من ثم كان توجيهها التجاري نحو الباكستان.

٣ ــ أن ضم كشمير إلى الهند معناه تحكمها في مياه السند ومدى استفادة باكستان من مياهه في الري وتوليد الكهرباء، نظرا لأن أعالي السند وروافديه الرئيسيين يمران في كشمير.

٤ ــ أن ضم الهند لكشمير معناه تهديد للأمن القومي في باكستان نظرا لعدم وجود حواجز طبيعية بين جنوبي كشمير وباكستان، فضلا عن أن ضمها للباكستان ضروري للأمن في إقليم الحدود الشمالية الغربية حتى لا تنفصل قبائل الباتان.

وتستند الهند في ضمها إليها إلى عدة إدعاءات منها:

١ ــ أن حكومة كشمير طلبت تدخل الهند رسميا عام ١٩٤٧.

٢ ــ أن حكومة الهندية قامت منذ عام ١٩٤٧ بمشروعات تنمية لكشمير كمد شبكة كثيفة من طرق المواصلات البرية والحديدية مع الهند، فضلا عن مشروعات توزيع الأراضي.

٣ ــ أن مستقبل كشمير يكون أكثر ابتساما إذا ما ضمت إلى الهند لما تحتويه من أسواق أكثر اتساعا، كما أنها أكثر تصنيعا من الباكستان.

٤ ــ يمكن الاتفاق دوليا على مشكلة المياه التي تثيرها باكستان.

٥ ــ يجب حماية مصالح المليون هندوسي الذين يعيشون في جنوبي جامو.

هذا وقد ظهرت اقتراحات متعددة لحل المشكلة نذكر منها:

١ ــ استفتاء يشمل كل كشمير، بشرط انسحاب قوات الطرفين ولكن الهند كما ذكرنا رفضت الجلاء عن إقليم أصبح تحت قبضتها الفعلية.

٢ ــ ضم الأجزاء ذات الغالبية الهندوسية كجامو، والبوذية كالادكه إلى الهند والباقي إلى الباكستان.

٣ ــ استقلال كشمير عن كل من الجانبين، وهذا لا شك سيحدث فراغا كبيرا في المنطقة.

٤ ــ ضم كل جزء من كشمير بعد وقف إطلاق النار إلى الدولة المسيطرة عليه، وكان الرئيسي نهور من أنصار هذا الحل عام ١٩٥٦.

هذا وقد بذلت الهند جهدا كبيرا منذ عام ١٩٤٩ في ربط الجزء الذي سيطرت عليه باتفاق رؤوس الأموال هناك. وتوجيه التجارة نحو الهند، وفي عام ١٩٥٧ أعلنت الهند ضم هذا الجزء إليها رسميا، ومن ثم زادت المشكلة في باكستان تعقيدا يعكس اهتمامها بالمشكلة.

بنجلاديش (أرض الفقر والأخطار الطبيعية)

تظهر بنجلاديش (*) في خرائط آسيا الجنوبية وكأنها إحدى الولايات الهندية، ذلك أن الهند تحيط بها من جميع الجوانب، وتحتل بنجلاديش دلتا نهري الجانج والبراهما بوترا، من هنا كانت خصوبة تربتها وقد حصلت بنجلاديش على استقلالها عام ١٩٧١ وبعد انفصالها عن باكستان، وكانت تعرف من قبل باسم باكستان الشرقية، وهي الآن إحدى أفقر الدول وأكثرها تخلفا بسكان يبلغون نحو ١٢٥ مليونا، ويتضاعفون في أقل من ٣٠ عاما.

وكان من أهم عوامل انفصال باكستان الشرقية (بنجلاديش) وباكستان الغربية (باكستان) هي عدم الاتصال بين الجانبين، إذ تفصلهما الهند بريا عن بعضهما بمسافات طويلة تبلغ أكثر من ١٠٠٠ كم وبالتالي، وكان الاتصال بين الجانبين جويا وبحريا، وبالتالي كان هناك إحساس ببعدهم عن مركز الإدارة والحكم، خاصة وأن مشكلاتهما مختلفة، فأحس أهل الشرق أنهم مظلومون بالنسبة لأهل الغرب.

الأخطار الطبيعية : تواجه بنجلاديش بأخطار طبيعية لعل من أهمها الأعاصير المدارية التي تنشأ في خليج بنغال (الهاركين أوالتيفون) كما حدث في خريف ١٩٩٤ حين أهلكت نحو ١٥٠ ألف نسمة، فالأعصار في تقدمه نحو الشمال أي نحو اليابس دفع أمامه حائطا من الماء بارتفاع نحو ٧ أمتار متجها نحو الجزر والدلتا، واكتسح معظم الجزء الجنوبي الشرقي من ميناء شتيا جونج، بل وتقدم عبر فروع الدلتا مكتسحا مدمرا كل ما صادفه بعيدا عن سواحل الخليج، وعندما انحسرت المياه، رجعت ومعها جثث البشر والحيوان إلى البحر، فكانت كارثة بكل المقاييس، هذا نموذج لما حدث طوال القرن العشرين وكان نصيب بنجلاديش وحدها نحو ٧٠% من كوارث العواصف المدارية في العالم.

(*) معناها أرض البنغال.

ترجع مثل هذه الكوارث، إلى جانب هجوم الأعصار إلى أن ارض بنجلاديش بالكاد ترتفع فوق مستوى سطح البحر بنحو ١٥ مترا، كما أن دلتا الجانج والبراهمابوترا عبارة عن متاهة من الروافد والقنوات. ولا ترتفع الأرض نسبيا إلا في أقصى الشرق والجنوب الشرقي تمهيدا للتقدم نحو مرتفعات نحو سلاسل شيتا جونج التي تغطيها الغابات، ونظرا لخصوبة الدلتا، فيكاد يكون كل شبرا منها مستغلا بالمحاصيل الغذائية كالأرز، والقمح، ومحاصيل التصدير. كالجوت، والشاي، ويأتي الفيضان كل عام بتربة جديدة تكسب التربة السابقة لها خصوبة، وتساعد على تكوين جزر جديدة، وهذه الأخيرة إذا ما تكونت يسرع إليها الناس يزرعونها، لذلك إذا تقدم الأعصار بحائطه المائي فهو مدمر للإنسان والحيوان والمحاصيل، وحين ينتهي تقدمه ترى القنوات والروافد تجري فيها المياه سريعة وكأنها غاضبة. ولا تستطيع بنجلاديش مواجهة مثل هذه الأخطار.

الأحوال اقتصادية :

يعيش أربعة أخماس السكان في دلتا البنغال لخصوبتها، ويعكس نصيب الفرد من الناتج المحلي الوضع الاقتصادي لسكان بنجلاديش، إذ يبلغ ٢٢٠ دولارا وكذلك الحال في نسبتها الحضرية التي تبلغ نحو ١٧%، فهنا أرض المزارع الذي يفلح الأرض ليكفي حاجته باستخدام الآلات اليدوية البدائية، وهنا أيضا أعلى كثافات سكانية ١٥٠٠ كم٢، ومن ثم كان متوسط مساحة الملكية نحو ثلاثة أفدنه ونصف ولكن هناك في نفس الوقت هناك بصيص من النور يتمثل ارتفاع إنتاجية الفدان من الأنواع المختلفة من الأرز مما أدى شبه اكتفاء ذاتي غذائي من هذا المحصول، كما يزرع الطباق والشاي. ويلعب القمح دورا أخر في الدورة الزراعية بتحسين الأمن الغذائي. ولكن مع هذا مازال هناك عدم توازن غذائي. والنقطة المضيئة الأخرى، أنه رغم بعض مشكلات الحدود مع الهند، وأحيانا اضطرابات داخلية، فهناك حالة من الاستقرار دامت طوال العقود الثلاثة الأخيرة، لأنها دولة تعيش على الكفاف، فلا يمكنها أن تعيش في ظل اضطرابات سياسة خاصة وأن بنيتها التحتية سيئة للغاية.

ورغم أن هناك مصانع متفرقة في بنجلاديش، فاعتمادها أساسا على

صناعة نسيج الجوت الذي يصدر على هيئة أجولة، وشنط، قطع من القماش لتغليف السلع الأخرى، وأخيرا قامت بعض صناعات أخرى كالمنتجات الجلدية والمنسوجات القطنية، والصناعات الغذائية والأسمنت، ولكن يظل الجوت هو مصدر العملة الصعبة أساسا.

وتعتبر دكا العاصمة، فضلا عن شيتاجونج الميناء الرئيسي هما المركزان الحضريان الرئيسيان، ونظرا لشدة الحركة في مرفأ شيتاجونج، فقد أقامت الحكومة ميناء تشالنا لتخفيف الضغط. وهناك مشاكل النقل، فلا توجد كباري على فروع نهر الجانج، ويوجد خط حديدي واحد. وإذا أردت أن تسافر من دكا إلى أي جهة من الجهات عليك أن تواجه طرق سيئة، ووقت ضائع في انتظار القوارب، بل وكثير من أجزاء البلاد لا يمكن الوصول إليه إلا بالقوارب التي تملأ المجارى المائية بالآلاف.

ولعل خط الحدود بين بنجلاديش والهند هو خط ديني أيضا، ذلك أن ٨٤% من سكان بنجلاديش مسلمون وهناك ١٦% هندوسي، على حين أن ولاية البنغال الغربية الهندية والمجاورة لبنجلاديش وتشبهها في ظروفها الطبيعية أغلبها هندوسي، وبها أقلية مسلمة.⊕

⊕ خريطة بنجلاديش ومكانها ص ١٨١

الفصل الثالث

الشمال الجبلي والجنوب الجزري

الشمال الجبلي (نيبال وبوتان)

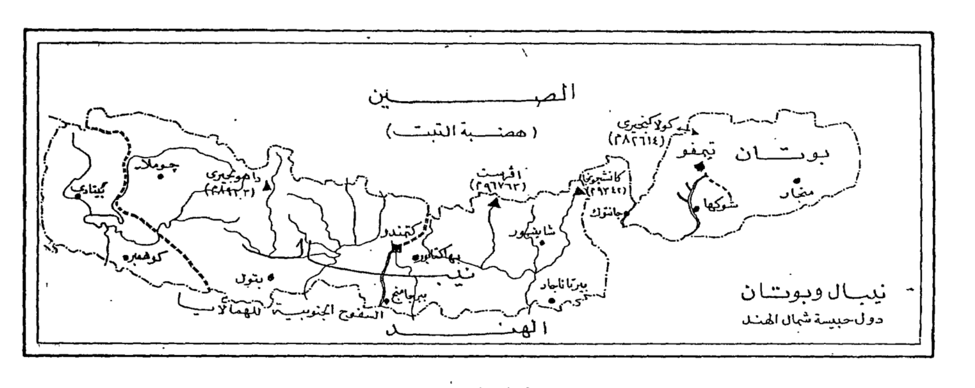
سبق أن ذكرنا أن عالم آسيا الجنوبية من أكثر العوالم الجغرافية تحديدا من الناحية الفزيوغرافية، فالحائط الجبلي الشمالي يقف حاجزا بين الهند وباكستان والصين، ويعتبر عقبة كأداء حتى وقتنا الحاضر، فتصعب الحركة والاتصال في هذا الاتجاه، ولكن هذه الحوائط الجبلية هي مصدر ماء الأنهار التي تجري بعد ذلك إلى سهول الهند وباكستان وبنجلاديش نتيجة ذوبان الثلوج من ناحية وإجبارها الرياح الموسمية صيفا على اسقاط ما بها من بخار ماء على هيئة مطر.

هنا في المناطق الجبلية الشمالية تستقر عدة دول حبيسة، من أفغانستان غربا ونيبال، وبوتان وترجع نشأة هذه الدول إلى عقود من الصراعات، ونظرا لأن سيكيم على هيئة إسفين بين نيبال بوتال، استطاعت الهند الاستيلاء عليها، وأصبحت أحد ولاياتها الخمس وعشرين منذ عام ١٩٧٥، بينما احتفظت كل من بوتان ونيبال باستقلالهما.

تقع نيبال شمالي الهند بسكان يبلغون نحو ٢٥ مليون نسمة، وتقع هضبة التبت إلى شمالها، وتنقسم إلى ثلاثة أقاليم جغرافية، الجنوب، ومناخه شبه مداري، وتقع فيه سهول تيراي الخصبة، ثم النطاق الأوسط من الهيمالايا بمجاريها المائية السريعة الجريان وأوديتها العميقة، ثم أعالي الهمالايا حيث توجد قمة إفرست.

وسكان نيبال من أصول متعددة، ولكن ٩٠% منهم من الهندوس، ومع ذلك فالهندوسية هنا غيرها في الهند، فقد امتزجت بها البوذية، وتنتشر معابدها الجميلة بكثرة خاصة في وادي كتماندو قلب نيبال.

ومشكلات نيبال هي مشكلات الدول النامية، ضغط السكان على الأرض المحدودة وما ينتج عنه من تدهور للأحوال البيئية، فعلى سبيل المثال اختفت ثلث


نيبال وبوتان
دول حبيسة شمال الهند
الصين
(هضبة التبت)
بوتان
تيمفو
مثار
شوكها
كولاكنجري
(٢٨٢٦١٤)
كانشجونجا
(٢٩٣٤٢)
جانتوك
افرست
(٢٩٦٢٦٣)
شابشور
بيرتانا جاد
نيبال
بهاكتابور
كتمندو
بيرجانج
داموجيري
(٢٨٩٤٣)
چوملا
بتول
كوهمبره
السفوح الجنوبية للهملايا
الهند

شكل رقم (٣١)

مساحة الغابات منذ التسعينيات إلى الآن، واضطر المزارعون مع الضغط البشري إلى التوسع على المرتفعات، لحاجتهم أيضا للأخشاب وللوقود، فالأخشاب تكاد تمثل مصدر الطاقة الوحيد، ولكن نظرا لزيادة الضغط على السفوح الدنيا، يضطر المزارعون لمغادرتها، وبالتالي تتعرض الأرض للتعرية الشديدة (تتصحر) خاصة إذا عرفنا شدة الأمطار الموسمية التي تكتسح التربة، مع الفيضان المحمل بالطمي الذي يؤدي إلى الفيضانات الكاسحة في أحواض البراهما بوترا والجانج الأدنى حتى أن نصف المزارع قد هجرت نتيجة لاختفاء التربة، وفي بلد يعتمد ٩٥% من سكانه على الزراعة المعيشية (القمح ـ الذرة ـ الرز)، فضلا عن قصب السكر والطباق، فضلا عن مجموعة من الفواكه المتنوعة، فقد عملت الدولة على تجفيف مستنقعات تيراي التي كانت مباءة للملاريا، وأصبحت أهم مناطق زراعة الأرز ورعي الماشية، ومع ذلك فنيبال تعاني مشكلة غذائية خطيرة، وتدل المؤشرات جميعا على أنها بلد فقير، بمتوسط دخل الفرد نحو ١٦٠ دولار، ويعتبر من أقل متوسط دخل في شبة القارة الهندية، أقل حتى من بنجلاديش، وإذا أضفنا إلى ذلك بنيتها التحتية الهشة، والحركات الانفصالية واردة، من ثم فهي في حاجة إلى تكامل أجزائها، فالسفوح الجنوبية المطلة على النهر، هي شبه مدارية وأقرب إلى الهند، وسكان غربي نيبال مختلفون، وعاداتهم وتقاليدهم عن سكان شرقيها، وهناك خوف دائم من ابتلاع الهند لها.

هكذا فنيبال بموقعها الحبيس، ومشكلاتها الاقتصادية، والثقافية، والسياسية يعرضها لمخاطر كثيرة.

بوتـــــان

إلى الشرق من نيبال بمساحة تبلغ ثلث مساحة نيبال، وبسكان أقل من المليون بقليل توجد مملكة بوتان، ويفصلها عن نيبال سكيم التي ضمتها الهند إليها، ولكن ثلث سكان بوتان أصلهم من نيبال، وهم يعيشون في القسم الشرقي، أما العنصر الثاني فهم سلالة المهاجرين إليها من نيبال، ويوجدون في المناطق الحارة الرطبة بالقرب من حدود الهند، أما المجموعة الثالثة فهي مجموعة المستوطنين الذين جاءوا من التبت. وتختلف عن نيبال في أن الديانة الرسمية هي البوذية رغم أن معظم النيباليين هنا من الهندوس، كما أن بوتان أكثر تطرفا نحو الشمال. وتقع عاصمتها تيمفو Thimphu في غربها بسكان نحو ٣٥ ألفا.

ويعيش فلاحو بوتان في الوديان، على ضفاف الأنهار الصاخبة النابعة من المرتفعات المغطاه بالثلوج، وأصبحت هذه الأنهار مصدرا للرى والأخضرار والحصول وللطاقة الكهرومائية. ويقوم أهل بوتان إلى جانب الزراعة بكثير من الحرف اليدوية التي تستهوى السائحين كالتحف الفضية، والذهبية، والنحاسية، ونحت الخشب، وأجراس المعابد والسيوف والخناجر، ونسج الصوف، والحرير، والقطن يدويا، وأوعية الطعام، والقبعات.

وكدولة حبيسة تتجه تجارتها الخارجية مع الهند أساسا والدول المجاورة، تصدر الأخشاب والمعادن والمنتجات الزراعية والحبهان. ولا شك أن الهند تتطلع إلى ضمها بدورها، ولكن تتميز بوتان بأن لديها اكتفاء غذائي، فضلا عن موقعها وكأنها حصين مرتفع به إمكانات كبيرة من الغابات، وتوليد الكهرباء وبعض المعادن، ولكن أهم مواردها هي السياحة، وهنا يحس السائحون بأن الزمن قد توقف في بوتان.

الجنوب الجزري : سيريلنكا ـ والمالديف

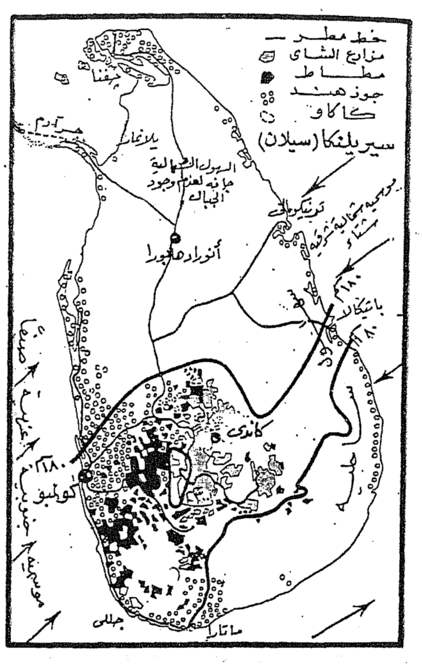
سيريلنكا

كانت معروف باسم سيلان قبل عام ١٩٧٢، هذه الجزيرة التي تتخذ شكل الكمترى ولا تبعد عن الطرف الجنوبي للهند إلا بنحو ٣٥ كم، بما يعرف بمضيق بالك Palk، وموقع سيرلينكا استراتيجي في وسط المحيط الهندي، وعلى الطريق الملاحي الرئيسي بين قناة السويس، والشرق الأقصى، وكانت كولمبو عاصمتها في فترة الاستعمار البريطاني محطة رئيسية للفحم بعد بورسعيد وعدن.

وتعتبر الدولة الرابعة التي حصلت على استقلالها عن بريطانيا في آسيا الجنوبية. وكان عليها بعد الاستقلال عام ١٩٤٨ أن تواجه مشكلات اقتصادية وسياسية بعضها شبيه بمثيله في الهند، والبعض الآخر مختلف تماما. وكان هناك سبب وجيه لخلق دولة سيريلنكا، سكانها غالبيتهم ليسوا هندوسا ولا مسلمين، بل أن ٧٠% من سكانها البالغين ٢٠ مليون نسمة بوذيون من العناصر التي يطلق عليهم السنهاليين، ويعيش معظمهم في جنوب وغربي الجزيرة، كما تختلف عن الهند وباكستان في أن الزراعة هنا هي الزراعة الواسعة، زراعة الابعديات الضخمة Plantation الموجه ناتجها للتصدير.

هذا ومعظم سكان سيرلينكا آريين، وليسوا درافيديين، أي أن المؤثرات البشرية، هي تلك المؤثرات التي سادت في شمالي الهند، ذلك أن أسلاف الآريين هاجر بعض منهم إلى سيريلنكا في القرن الخامس قبل الميلاد، وبالتالي نقلوا إليها حضارة شمال غربي الهند المتقدمة، ولعل البوذية تمثل هذه المؤثرات أكمل تمثيل، هذا فضلا عن تقنيات الري، واليوم نجد خلف هؤلاء الغزاة ممثلا في " السنهاليين " يتكلمون السنهالية، وبدورها تنتمي إلى عائلة اللغات الآرية التي تسود شمالي الهند.

أما العنصر الرئيسي الثاني فهم التاميل ينتمون إلى تاميل جنوب الهند (الدرافيديين) لم يأتوا بإعداد كبيرة بحيث يتحدون السنهاليين، وأن كانوا قد أدخلوا طريقة الحيلة الهندية، ولغة التاميل في شمالي الجزيرة، وأصبحوا يكونون أقلية تبلغ


خط مطر
مزارع الشاي
مطاط
جوز هند
كاكاو
سيريلنكا (سيلان)
جفنا
يلانجا
السهول الشمالية
جافة لعدم وجود
الجبال
أنورادهابورا
ترينكومالي
موسمية شمالية شرقية
شتاء
باتيكالا
كاندي
كولمبو
جللي
ماتارا
موسمية جنوبية غربية صيفا

شكل رقم (٣٢)

نسبتها نحو ١٨% من مجموع السكان، وقد ازداد عددهم فقط في منتصف القرن التاسع عشر، عندما جلبتهم الإدارة البريطانية للعمل في المزارع التي أنشئت حينئذ للشاي والطباق.

وتتهم حكومة سيريينكا بعد الاستقلال أنها همشت أقلية التاميل (رغم الاعتراف بلغتهم كلغة رسمية عام ١٩٧٨، مما أدي إلى قيام ثورة عارمة في شمال الجزيرة تحولت إلى حركة انفصالية (نمور التاميل).

وأن كانت سيرلينكا تتميز بحجمها الصغير، فهي تتميز أيضا بسطحها الجبلي في معظمه فيبلغ الارتفاع في جنوبيها إلى نحو ٢٥٠٠ متر، وتنمو الغابات على سفوح هذه المرتفعات التي تؤدي إلى المناطق السهلية التي تحيطها، وكذلك الحال في شبه جزيرة جفنا في أقصى الشمال، وكان لهذا الارتفاع أثره في أن مياه الأمطار حين تسقط على المرتفعات تنساب لري حقول الأرز، سهول حضيض المرتفعات.

الإنتاج الزراعي:

ويعتبر الإقليم الجنوبي الغربي للجزيرة هو الإقليم الزراعي القائد، ومازالت الزراعة الواسعة التي أدخلها الأوربيون مستمرة، منتجة لجوز الهند في المنخفضات وفي السهول الغربية والجنوبية الغربية، والمطاط على الجهات المتوسطة الارتفاع في غربي الجزيرة والشاي على منحدرات المرتفعات الوسطي. ومازال الشاي مسئولا عن ربع قيمة الصادرات، وله شهرته العالمية، وإلى جانب هذه المحاصيل النقدية الرئيسية، هناك قصب السكر، والقطن، والفلفل الأسود، والحبهان، والقرفة،

والقرنفل، والأرز، هو محصول الغذاء الرئيسي، فيزرع في المنخفضات، ونجحت سيرلينكا في بلوغ الاكتفاء الذاتي فيه لفترة ما، ولكن الزيادة السكانية المرتفعة مع عدم كفاءة الزراعة، أعاد سيرلنيكا إلى عملية استيراد الأرز مرة أخرى.

وتتمتع سيرلينكا بثروة غابية متنوعة من أشهر أشجار البامبو (الجيزران) ومنه نحو ٤٠٠ نوع، وعليه طلب كبير في الخارج.

الصناعة ومحاولة التحديث :

وتعتبر كولمبو العاصمة المركز التجاري المركز الرئيسي للصناعة وهي صناعة غذائية في المقام الأول، ثم المنسوجات القطنية، والأسمدة، والأسمنت. وتعتمد على التصريف في السوق المحلي الضيق. وبدأت كولمبو منذ الاستقلال في الازدهار والتحديث، ولكن الحرب الأهلية التي قام بها التاميل في الشمال، في منتصف التسعينيات. والتي تخرج من حي التاميل في كولومبو من حين إلى حين، كثيرا ما تؤدي إلى انحسار السياحة، خاصة وأن السكان يعتمدون أساسا على الخدمات والتجارة، فصلا عن السياحة، ويدعي التاميل أنهم يطلبون المساواة في حقوق التعليم والتوظيف، وملكية الأرض والتمثيل السياسي، (يري قادتهم أنه إذا كانت الدولة غير قادرة على تحقيق مطلبهم، فلتقم دولتان كما هو الحال في قبرص. ولاشك أن التاميل يجدون دعما من الخمسين مليونا تاميلي الذين يعيشون في جنوبي الهند.

هذا وقد قويت قبضة التاميل على القسم الشمالي وخاصة شبه جزيرة جفنا حيث تقوم قوات التاميل (نمور التاميل) بالسيطرة عليها، ويقوم نمور التاميل بطرد القوات الحكومية لإحكام السيطرة، وبالتالي تعتبر حزيرة جفنا هي نواة دولة التاميل أن نجحوا في الانفصال. ومازالت الاشتباكات بين الجانبين، كما أن هناك محاولات من الحكومة لتحقيق بعض مطالبهم، وأن ظهرت مشكلات اللاجئين الهاربين من الحرب الأهلية على الجانبين.

جزر مالديف

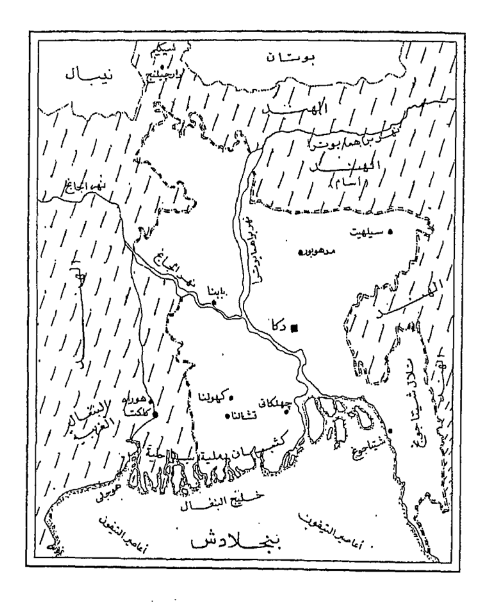
تخيل دولة تتألف من أكثر من ألف جزيرة ميكروسوبية على الخريطة بمساحة إجمالية أقل من ٣٠٠ كم٢ تقع على بعد ٦٠٠ كم من أقرب قارة إليها وهي في انتشارها تمتد على مسافة ٧٥٠ كم من الشمال إلى الجنوب ومن بينها ٢٠ جزيرة فقط هي المأهولة بالسكان وهي ليست إلا القمم الظاهرة لسلسلة طويلة من الجبال المغمورة، تقع أقربها على بعد ٥٠٠ كم من الهند. كذلك لا يرتفع السطح في أي منها اكثر من ٢ متر فوق سطح البحر في خليج تزوره أعاصير التيفون مرارا، فإذا أضفنا أن سكانها نحو ٣٠٠ ألف نسمة، تصبح هذه دولة المالديف أكثر أجزاء آسيا الجنوبية، جنوبا.

والواقع أن هذه الجزر الحلقية (أتول) تتخللها الممرات التي يسمح عمقها بمرور السفن، ولها شواطئ من الرمل الأبيض التي تقوم عليها أشجار جوز الهند السامقة ملقية بصدرها على مياه البحيرات الصافية، وتعيش الغالبية من المالديفيين (يسمون أنفسهم الديفهيون) المسلمين في قرى صغيرة تعتمد على صيد الأسماك أساسا، وتجميع جوز الهند والأسماك في العاصمة " مالية " لتصدر إلى الخارج، على حين تمثل العاصمة أيضا مركز توزيع الواردات.

وإذا ما أبحرت إلى العاصمة وهي جزيرة مالية، تصبح جزر مالديف أشبه بفراشات كبيرة طافية فوق سطح الماء، وتكثر القوارب حول الجزر لأنها وسيلة النقل الوحيدة بين الجزر المأهولة، ومن معالمها الرئيسية ذلك الجامع الكبير وبضع مباني قد ترتفع إلى طابقين، وتغطي الجزيرة أشجار جوز الهند. ويتكلم أهل المالديف لهجة سنهالية قديمة، من ثم فالمعتقد أن سكانها أتوها من سيريلنكا، وكانوا بوذيين، ثم تحولوا إلى الإسلام، يحكمهم السلاطين، ثم مر على استعمارها البرتغاليون، والإنجليز، وبعد أن نالت استقلالها من الحماية البريطانية عام ١٩٦٥ تحولت إلى جمهورية عام ١٩٦٨ وانضمت إلى هيئة الأمم المتحدة.

وتجتذب شواطئ المالديف والتي تغطيها أشجار جوز الهند، السائحين

الأوربيين الذين وفدوا من البلاد الباردة، من ثم كـــانت الســياحة هـــي صناعتـــهم الرئيسية، فضلا أن صيد الأسماك يطبيعة الحال فهو مصدر غذائهم الأساسي.



شكل رقم (٣٣)

الباب الرابع

عالم جنوب شرقي آسيا

بين العمالقة : الهند والصين

الفصل الأول

في شخصية جنوب شرقي آسيا

الموقع الجغرافي يجذب الاستعمار:

هو إقليم الجزر وأشباه الجزر، الركن الجنوبي الشرقي من القارة بين عالم المحيط الهندي في الشمال الغربي وعالم الصين في الشمال الشرقي، تغسل مياه المحيط الهندي شواطئه الغربية، بينما تمتد مياه المحيط الهادي منه إلى الشرق. وقد غزته الصين بالسكان، ومدته الهند بالتجار، وعبر المحيط الهندي أتاه التجار العرب، ولعب أهالي حضرموت دوراً هاما في نقل هذه التجارة حتى قبل الإسلام بوقت طويل واتخذوا طريقهم إليه في البحر سربا، وتبعهم الأوربيون ليكونوا إمبراطوريات، ثم عرج الأمريكيون عليه.

كان الإقليم ومازال ذا موقع استراتيجي خطير، فهنا مضيق ملقا **malacca** بين سنغافوره وسومطره ممراً عالميا تطل عليه سنغافورة وكأنها مراقب للحركة وأول حرب خسرها الأمريكيون كانت هنا (حرب فيتنام) باعت فيها الولايات المتحدة الأمريكية نصف احتياطيها من الذهب، كما كان هذا الإقليم ميدان كبير من ميادين الحرب الباردة. هكذا كان لموقع الإقليم أثره في أن شاهد تحديات من بعد وعن كثب.

موازييك من الدول الصغيرة :

وقد يشبه جنوب شرقي آسيا من الناحية الجغرافية بطريقة أو أخرى شرقي أوربا كلاهما موازاييك من الدول الصغيرة على هامش وحدتين من كبريات

دول العالم، أو وهي بمعنى آخر شقة حرام أو حاجز buffer zone بين هاتين الوحدتين العملاقتين، محمل بالضغوط من كل جانب، وكشرقي أوربا أيضا هي مسرح لتنوع ثقافي، وهي أيضا كشرقي أوربا في أن خريطتها تغيرت حديثا، فقد انفصلت سنغافورة عام ١٩٦٥ عن الملايو لتصبح واحدة من أصغر الوحدات السياسية، دولة المدينة City state، وكذلك اختفي الحد السياسي بين فيتنام الشمالية وشقيقتها الجنوبية عام ١٩٧٦، وكما كان الحال في يوغسلافيا عندما شدت انتباه العالم لصراعاتها الثقافية والعرقية وما صاحب ذلك من كوارث بشرية وهجرات واسعة، ونظراً لأن خريطتها السياسية معقدة أيما تعقيد، لذلك يجب دراستها بإنتباه، في الغرب نجد ميانمار Myanmar وكانت معرفة باسم بورما قبل ١٩٨٩. وهي الدولة الوحيدة في جنوب شرقي آسيا التي لها حدود مع كل من الهند والصين وتشترك مع تايلاند في رقبة شبة جزيرة الملايو، والأخيرة هي قلب هذا الإقليم، أما الجزء الجنوبي من شبة الجزيرة فهو جزء من ماليزيا دون سنغافورة التي تقع في طرفها الأقصى، وفي مواجهة تايلاند تقع كمبوديا، حتى إذا ما تحركنا مرة أخرى وجدنا فيتنام، وهي شريط طويل يمتد حتى حدود الصين، بينما تقع لاوس حبيسة في الداخل. وأخيرا نجد جنوب شرقي الآسيوي الجزري الفلبين في الشمال، وإندونيسيا في الجنوب، بينهما جزيرة بورنيو الإندونيسية، ولتكملة الخريطة السياسية لابد من ذكر بروني أصغر الوحدات السياسية في هذا العالم من حيث عدد السكان، ولا نجد في هذا الإقليم دولة مهيمنه dominant كالصين، أو البرازيل، أو الهند، وإن كانت إندونيسيا عملاقة بسكانها فهي مفتتة في أرضها. ومع ذلك قامت القوى الأوربية بما عجزت عنه القوى المحلية، وهو إقامة مستعمرات ودول فيما بعد تضم أناسا ومجتمعات مختلفة معا، وإذا ضربنا مثلا بإندونيسيا فهي تتكون من ١٣ ألف جزيرة بسكان يجعلها رابعة دول العالم سكانيا، وما أمكن لتسع سلطنات الماليزية أن تتحد، سواء اتفقنا أو اختلفنا على أثر الاستعمار فقد ظهرت في النهاية تسع دول من صنع الاستعمار والعاشرة سنغافورة، استقلت بعد استقلال ماليزيا.

بل وحتى من ناحية الأرض نجد تنوعا وتبعثرا، تتكون الأرض الأصلية الرئيسية من شبة جزيرة كبيرة يضاف إليها آلاف الجزر مكونه أرخبيل إندونيسيا

والفلبين، كان هناك البرتغال في تيمور (القسم اشرقي من الجزيرة) ومحمية بروناي في سراواك في كلمنتان، هكذا يختلف هذا الإقليم عن آسيا الشرقية وآسيا الجنوبية في تفتته، بينما نجد الكتل الضخمة ممثلة في الصين والهند في الإقليمين السابقين.

ثقافات ولغات واستغلال الاستعمار لها :

وفي أودية الأرض الأصلية وأحواض أنهارها تختلف ثقافات، وتتعدد لغات، وتنوع ديانات، وفنون، وطعام، ولكن لا تظهر ثقافة لها القدح المعلي على الجميع. واستغل المستعمر الأوربي الذي كون إمبراطوريات التعددية الثقافية باللعب عليها والوقيعة بين الجماعات بعضها والبعض الآخر، " فرق تسد "، بدأ بشركاته التجارية وهكذا ظهرت خريطة الإقليم السياسية نتيجة التدخل الأوربي، فلم تسلم من هذا التدخل سوى تايلاند، بل كانت ذات فائدة لكل من الاستعماريين الإنجليزي في الغرب، والفرنسي في الشرق، فكانت حاجزا بين القوتين، مانعا للصدام، ورغم أن الاستعمار نحت في هوامش خريطتها ولكن ظل القلب مستقلا.

كان أهم شيء عندهم هو البحث عن الثروة في هذا الإقليم الغني، وكانت من أهم السلع التي يتاجرون بها البهارات والسكر، والمنسوجات القطنية، والحريرية، وكان الصراع هائلا بين الأسبان، والهولنديين، والإنجليز، والفرنسيين، وكان الصراع هائلاً أدي إلى الاتصال بين الشرق والغرب وخرج جنوب شرقي آسيا من عزلته، وأصبح يلعب دوراً هاماً منذ ذلك الوقت في السياسة العالمية.



مظاهر السطح في جنوبي شرق آسيا

شكل رقم (٣٤)

انتقل جنوب شرق آسيا من أيدي التجار إلى أيدي المستعمرين، وتأسست شركات بقصد التجارة ولكنها ثبتت أقدامها عن طريق جيوشها، وعقدت معاهدات مع الحكام الوطنيين وانتهي الأمر بالسيطرة السياسية الأوربية على الإقليم بأجمعه. وكان ذلك في القرنين ١٧، ١٨. وخرجت بريطانيا وهولندا بنصيب الأسد، فقد أسست هولندا شركة الهند الهولندية الشرقية، وسيطرت على جميع أجزاء جزر الهند الشرقية، وسيطرت إنجلترا على شبه جزيرة الهند وبورما والملايو كذلك بورنيو الشمالية. أما الفرنسيون فقد جاء دورهم متأخراً واتجهوا إلى الصين الهندية بعد أن أفلحت إنجلترا في السيطرة على الهند، واحتلوا جزرا في المحيط الهادي استولت عليها اليابان في الحرب العالمية الأولي، أما أسبانيا فاستولت على جزر الفلبين وبعض الجزر في المحيط الهادي وانتهت كل منهما إلى الولايات المتحدة.

التضاريس :

يتميز هذا العالم بكثرة الحواجز الجبلية والأراضي الوعرة Rugged غير المنتجة مع الأرض الخصبة سواء في دالات أنهارها، أو في أوديتها، والتربة البركانية على مدرجاتها الشديدة الخصوبة، التي تسقيها الأمطار طول العام، أن لم يكن معظمه.

وتنقسم الهند الصينية إلى أحواض كبيرة يفصل كل منهما عن الأخر سلاسل جبلية تمتد حول الهضاب القديمة، أهمها هضبة ينان وهضبة جنوب الصين، وتكون السلاسل الجبلية الشمالية حافة حوض النهر الأحمر، وتفصل نهر الميكونج عن الصين، والسلسلة الأخرى تفصل حوض النهر الأحمر عن الميكونج، وفي شمالي لاوس تصل معظم القمم إلى ارتفاع ٢٠٠٠ متر، وتصل بعض الهضاب إلى إرتفاع يتراوح بين ١٠٠٠، ١٥٠٠ متر. ومن هذا المركز تخرج سلاسل أنام Anname نحو الجنوب الشرقي. وتسير السلاسل الجبلية موازية لساحل أنام وتفصل بشكل واضح أنام عن لاوس.

ولما كانت السلاسل غير منتظمة في ناحية الارتفاع والشكل وفي امتدادها تكونت أحواض ينفصل الواحد عن الآخر تماما، أو أحياناً تتصل بممرات على ارتفاع

كبير، وأهم هذه الممرات بوابة أنام. وتفصل أيضاً أنام الشمالية عن الجنوبية، وتستمر الهضاب في الامتداد شرقا، ثم تتجه نحو الجنوب على طول الساحل نحو خليج تايلاند، من ثم يعتبر النقل البري صعبا عبر السلاسل الجبلية.

وتتكون سهول الهند الصينية من سهول تونكنج في الشمال. والحوض المستوى السطح في كمبوديا والسهول الدلتاوية في ميكونج في الجنوب. ومن أهم المظاهر الجغرافية في سهل كمبوديا البحيرة الكبرى وتعرف باسم توتل ساب Toutel Sab، وتتصل بنهر ميكونج بواسطة قناة طولها يتراوح بين ٦٥،٨٠ كم، وتحمل نفس اسم البحيرة، ويكون تيار مياهها لمدة ستة أشهر من ميكونج إلى البحيرة وبقية السنة من البحيرة إلى ميكونج، وقد تتأثر البحيرة بحركات المد والجزر وتبدو أهميتها للغاية لأنها تنظم فيضان الميكونج.

المناخ :

جنوب شرقي آسيا إقليم مداري، فهو يقع في معظمه بين المداريين، بل وأطراف شبه الجزيرة وجزر إندونيسيا تنتمي للمداري الرطب طول العام (الاستوائي)، ونظرا لموقعه يضم ثلاثة أقاليم رئيسية هي : الموسمي،السوداني (السفانا)، الاستوائي، ولا يظهر المناخ دون المدارى إلا في شمالي فيتنام وميانمار ولاوس. ولا يشتهر جنوب شرقي آسيا رطوبة وحرارة مرتفعة دائما وغابات الأمطار فحسب، بل يشتهر أيضاً بجباله البركانية على الأقل في الارخبيلات، جبل كراكتوا Kraktoa في مضيق السوند بين جاوة وسومطره، فقد انفجر هنا بركان عام ١٨٨٣ بشدة أدي إلى نسف الجبل بأكمله وتطايره في الهواء، مرسلا طبقات كثيفة من الرماد البركاني غطت الغابات والقرى لمئات الكيلو مترات وأدت إلى مقتل نحو ٤٠ ألف نسمة في الجهات الساحلية، وأدت إلى سيادة الظلام.

البشـــــــر

إذا ما قورن سكان هذا الإقليم بالأعداد الضخمة في آسيا الجنوبية أو آسـيا الشرقية، فيبدو أن أعداد سكان دول الإقليم تعـد متواضعـة باسـتثناء إندونيسـيا. فتايلاند والفلبين وفيتنام، كل منها يتراوح عدد سكانه بين ٦٠، ٨٠ مليـون نسـمة على حين أن لاوس يبلغ سكانها نحو ٦ مليون نسمة فقط، وكمبوديـا ١٢ مليونـا. بصورة أخرى أنه من مجموع ٥٠٠ مليون نسمة تقريبا الذين يسـكنونه، تختص إندونيسيا والفلبين معا بنحو ٢٧٥ مليون نسمة أي ٥٥% من مجموع سكان الإقليم. بينما ٤٥% الباقية من نصيب السبع دول الأخرى على الأرض الأصلية للإقليم.

الكثافة العامة ليست عالية في الإقليم باستثناء سنغافورة الحضرية بالكامل. كما أن الكثافة الإنتاجية أيضا أقل من نظيرتها في شرقي الصين أو الهند، لذلـك إذا ما استقرت الأحوال السياسية، فيمكن لهذه الدول أن يكون لديها فائضـا مـن الأرز للتصدير. ويبدو أيضا هذا الإقليم يشبه أن آسيا الجنوبية، وآسيا الشرقية في تجمـع السكان في أودية الأنهار والأراضي السهلية وخاصة الدلتاوات، حيث ترتفع الكثافات وتخطط الأراضي للزراعة وخاصة الأرز، ولكن خارج هذه السهول الفيضية، وعلـى المستويات الأكثر ارتفاعاً تبدو حشائش السفانا هي السائدة التي تنمو فـي التربـة الحمراء الأقل خصوبة، وبالتالي تقل كثافة السكان، وفي نفس الوقت هناك بيئات في جزر الفلبين وإندونيسيا لا توجد في بيئات آسيا الجنوبية والشرقية، ففي هذه الجـزر التربة البركانية الخصبة التي ترويها مياه الأمطار، فيتحول المظهر الطبيعـي إلـى مساحات من الغابات الخضراء على مدى النظر، وتعطي إمكانـات كبيـرة للإنتـاج الزراعي، لذلك نجد سفوح المنحدرات وقد تحولت إلى مدرجات تكسوها المحـاصيل الزراعية.

هل هناك مشكلة ضغط على الأرض؟

وإذا كان هذا هو الوضع فمعني هذا أنه لا توجـد مشـكلة ضغـط علـى الأرض، كما هو الحال في آسيا الشرقية والجنوبية لماذا؟ لا شك أن الإقليم اسـتقبل



Al بوكسيت
C فحم
Cr كروم
Cu نحاس
Fe حديد
Mn منجنيز
Ni نيكل
O بترول
P فوسفات
Sn قصدير
W تنجستن
Zn زنك
باودوين
بيتان
باليكبابان
باليمباج
الثروة المعدنية فى جنوب شرقى آسيا

شكل رقم (٣٥)

هجرات ولكنها محدودة إذا ما قورنت بما حولها ويرجع ذلك أولا إلى عوامل طبيعية منها الطبيعة الوعرة، فالمرتفعات التي تكسوها الغابات الكثيفة في شرقي الهند وشمال غرب ميانمار (بورما) وإلى الشمال من ميانمار نجد التبت الشاهقة، وإلى الشمال الشرقي وإلى الشمال من لاوس نجد هضبة ينان الشديدة الوعورة، لذلك كانت حركة الانتقال أسهل في الشرق بين الصين وجنوب شرقي الصين وشمالي فيتنام وكان هذا الطريق ممهدا للاتصال والهجرة من هذه الناحية، وقد أشرنا إلى هذا في دراسة الصين حيث هجرة سكان جنوبي شرقها إلى هذا الإقليم. ويتمثل العامل الثاني في أن الأراضي الزراعية المنتجة والتي تضم التجمعات البشرية الكثيفة ليست متصلة، بل تفصلها بعضها عن بعض مساحات أقل إنتاجية، وعادة ما تكون مرتفعة تعوق الحركة والانتقال.

من ثم كانت الهجرات التي آتت إلى هذا الإقليم هي بحرية بالدرجة الأولى، وهذا صحيح بالنسبة للعرب والأوربيين، بل وللصنيين والهنود، فمعظم الذين وصلوا إلى هذا الإقليم لم يكونوا مزارعين يبحثون عن الأرض، بل هم تجار وعمال يبحثون عن عمل في المدن، فالحي الصينى يمثل ظاهرة رئيسية في كل مدن جنوب شرقي آسيا وخاصة الساحلية.

إقليم مرور حركة مستقبل للهجرات :

نظرا لموقعه كإقليم مرور وحركة وجدنا التأثيرات البشرية والثقافية قد آتته من الخارج، فالهندوسية والبوذية التي نشأت في الهند، انتشرتا عبر خليج بنغال إلى الملايو مباشرة، كما بلغه الإسلام عن طريق التجار العرب، حتى أصبحت إندونيسيا أكبر الدول الإسلامية سكانا، وأما الصين فقد أمدته بالعنصر البشري، خاصة من جنوبي الصين واستمرت في شبه جزيرة الملايو بخاصة، وإن كان مجالها أكبر من هذا بكثير، وإذا فصلنا قليلا بالنسبة لهذه الجاليات الأجنبية، يمكن القول بأنه على الرغم من أن الهنود أقل عددا من الصينيين فقد أثروا تأثيراً واضحاً في النصف الشرقي. فقد هاجر عدد من الهنود إلى ميانمار للاشتغال بالتعدين، ثم في إنتاج الأرز بعد ذلك، ويسكن معظمهم الآن في رانجون، ودلتا الإيراوادي وعلى طول خطوط

النقل. ويقرب عددهم ٦,٥ مليون نسمة، وعدد الهنود في الملايو نحو ثلاثة أرباع المليون، بينما يبلغ عددهم في سنغافورة مائة ألف أغلبهم جاءوا في خلال القرن العشرين لمساعدة المستعمرين في زراعة المطاط. وقد تركوا الآن في معظم المزارع لزراعة أراضيهم أو للعمل بالتجارة وفي المكاتب الحكومية. وقد أصبحوا مصدر مشكلات متعددة في ميانمار لأنهم يستأثرون بمعظم الأعمال المربحة.

واتصل الصينيون في عصور مبكرة بجنوب شرقي آسيا ربما منذ القرن الأول الميلادي، ويمتاز الصيني بأنه لا يكون جاليات متكتلة كالهنود، والصيني في هجرته الحديثة لا يعمل فقط بالتعدين، بل يقوم ببعض أعمال لا يقوم بها الهنود، ويمتاز الصيني بأنه يستطيع المعيشة في أي بيئة اكثر من أي شعب آخر: ويعمل الصينيون في مناجم القصدير في الملايو، كما يشتغلون في عدة أعمال كالزراعة والحرف والوظائف المختلفة، ويبلغ عددهم نحو ٢ مليون نسمة في ماليزيا، وفي سنغافورة وحدها يوجد ٩٠٠ ألف صيني، وقد أصبحت سنغافورة مركزاً لكل إقليم جنوب شرقي آسيا بسبب استقرار الصينيين الذين يسكن معظمهم الآن حول المدن الكبيرة.

وتعتبر ماليزيا أكبر مركز للاستيطان الصيني لأنها قريبة من وطنهم الأصلي، وعدم ازدحامها بسكانها الأصليين الذين لا يرغب معظمهم في العمل في المزارع أو المناجم أو التجارة.

<u>محاصيل الإقليم :</u>

يشتهر الإقليم بحاصلاته النقدية كالمطاط والسنكونا والكوبرا والقصدير والبترول، وهو أعظم مناطق إنتاج الأرز في العالم، وتتمثل مناطق إنتاجه في دلتاوات الميكونج وسالوين وايراوادي. ويمكن زيادة رقعة المساحات الزراعية، وإن احتاج الأمر مكافحة الملاريا وتوفير رءوس الأموال، ومازالت رءوس الأموال الأوربية تلعب دوراً هاماً.

وفي بعض مناطق جنوب شرق آسيا تأسست مزارع علمية واسعة، ففي الملايو يزرع فيها غلات نقدية تصدر معظمها للخارج كالمطاط، وإن كان معظمها

يتبع شركات ورؤوس أموال أجنبية تستخدم طرق استغلال مستوردة من الخارج وليست نظما محلية سائدة. فالفلاح الصيني أو الهندي تربطه طقوسه الدينية ونظمه الاجتماعية في استغلال الأرض.

عناصر القوة والضعف:

وعلى الرغم أن جنوب شرقي آسيا يتميز بأكثر من عنصر من عناصر القوة: وهي الموقع وعدد السكان وغني الإقليم، وتنوع ثروته الزراعية، أو المعدنية غير أنه لم يلعب في يوم من الأيام دوراً في السياسية العالمية، كما أن الدول التي ظهرت فيه بعد الاستقلال دول ثانوية. كما أن حضارته لا تقارن بحضارة الهند والصين. والسبب في ذلك الشكل العام للتضاريس الذي لا يساعد على إيجاد وحدة بين أجزائه، بل تعمل على تقسيم شبه الجزيرة لأقسام ثانوية تكاد تكون منفصلة بعضها عن البعض، فالجبال تمتد من الشمال للجنوب وتترك أودية طويلة هي مناطق العمران في الملايو ميانمار وتايلاند. ثم تمتد السلاسل الجبلية إلى الجنوب، وتظهر قممها العالية على شكل جزر منفصلة بعضها عن البعض الآخر. كل هذا لا يساعد على إيجاد عامل الوحدة والترابط، ثم نجد تعقيدا بشريا في هذا الإقليم، عناصر مختلفة تمثل هجرات قديمة، ثم عقائد مختلفة، نجد الديانات السماوية جنباً إلى جنب مع العقائد البدائية، ويوجد عدد كبير من المسلمين، تنتشر المسيحية والبوذية والهندوكية، ثم نجد فرقاً كبيراً في المستوي الحضاري: جماعات تعيش على الصيد والجمع، وجماعات تعيش على الزراعة الكثيفة، أو الزراعة على أحدث الطرق العلمية خصوصاً في مزارع المطاط.

يمكن أن نقسم عالم جنوب شرقي القارة إلى :

- الأرض الأصلية : وتشمل فيتنام، كمبوديا، لاوس، تايلاند (بورما) ميانمار.
- إقليم الجزر : ويشمل ماليزيا، سنغافوره، إندونيسيا، بروناي، والفلبين.

الفصـــل الثانـــي

دول في صلب القارة

فيتنام

عندما انتهت حرب الصين الهندية عام ١٩٧٥ كان عدد سكان فيتنام نصف عددهم الآن، فقد قارب عدد سكان فيتنام الآن ٨٥ مليون نسمة، أكثر من ٦٠% منهم دون سن الحادية العشرين، من ثم فحروب الستينيات والسبعينيات محفورة في عقل الفيتناميين كجزء من تاريخهم، وكل هم الفيتناميين هو التغلب على آثار تلك الفترة التعيسة واللحاق بالنهضة الاقتصادية في الإقليم.

تمتد فيتنام كشريط يمتد في استطالة من الحدود الصينية حتى راس دلتا نهر الميكونج لمسافة ٢٠٠٠ كم وهي حدود من صنع الاستعمار الفرنسي. وقسم الفرنسيون هذا الشريط إلى ثلاثة أقسام لعدم تجانسه:

الأول هو تونكين وهي أرض النهر الأحمر ومركزه هانوي في الشمال.

والثاني كوشين صين أو إقليم دلتا الميكونج ومركزه سايجون (هوشي منه) في الجنوب.

والثالث هو أنام ومركزه مدينة هويه بين الإقليمين السابقين.

وقد أدخلت الإدارة الفرنسية اللغة الفرنسية كلغة تفاهم مشترك، ولكن حين احتلها اليابانيون أثناء الحرب العالمية الثانية نشطت القومية الفيتنامية، وبعد هزيمة اليابانيين عام ١٩٤٥، حاولت فرنسا العودة، ولكنها وجدت مقاومة شديدة انتهت بهزيمتهم في موقعة ديان بيان فو عام ١٩٥٤. على أن فيتنام بعد خروج الفرنسيين لم تخرج دولة واحدة، بل كان هناك النظام الشيوعي في الشمال ومركزه هانوى، ونظام غير شيوعي في الجنوب ومركزه سايجون. ولعل ما شجع على ذلك أن شكل الدولة ذاته متسع في الشمال والجنوب، وضيق في الوسط، فكأنهما عالمان منفصلان، وتورط الأمريكيون في الصراع الذي قام بين النظامين في الستينيات، بإرسال المستشارين العسكريين إلى سايجون لمقاومة النظام الشيوعي الشمالي،

وعندما لم ينجح الجنوبيون في صد المد الشيوعي، كانت الخطوة التالية. فأرسلت الولايات المتحدة الأمريكية الأسلحة والقوات حتى بلغ عدد القوات المسلحة الأمريكية في وقت من الأوقات نحو نصف مليون جندي، وكانت خسائر الأمريكيين فادحة، مما أدي إلى قيام المظاهرات والاضطرابات في الولايات المتحدة الأمريكية ضد اشتراك الولايات المتحدة في هذه الحرب، وكانت نتيجتها سقوط الرئيس جونسون في انتخابات الرئاسة، وسقطت حكومة سايجون (الجنوب) عام ١٩٧٥، وخرج الأمريكيون كما خرج الفرنسيون من قبل. وأصبح السوفيت هم الراعون للنظام الجديد بعد انتهاء الحرب، وبعد أن اتحدت فيتنام بالكامل عام ١٩٧٦ تحت النظام الشيوعي.

يشبه الفيتناميون جغرافية بلادهم بتعبيرات ثقافية، فيقولون أنها أشبه بمزارع يحمل سلتي أرز على كتفيه السلة الشمالية يمثلها حوض نهر الأحمر، والسلة الجنوبية وتمثلها دلتا الميكونج، وإن كانت الحقيقة تزيد عليها ثلاثة أقاليم أخرى، المرتفعات الشمالية في أنام، والسهول الساحلية. فالمرتفعات الشمالية المتاخمة للصين ولاوس تعطيها الغابات، وهي قليلة السكان وبها أقصى مرتفعات فيتنام ممثلة في قمة سييان أكثر من ٣٠٠٠ متر، أما سلاسل جبال أنام فتمتد من المرتفعات الشمالية حتى تقترب من هوشي منه (سايجون سابقا) بنحو ٨٠ كم٢.

والأرز هو المحصول الأساسي في فيتنام يزرع في مساحات كبيرة في دلتا الميكونج، ويستخدمون الجاموس بكثرة في حقول الأرز، ويكفي الأرز حاجة السكان ويبقي فائض للتصدير، كما تربي الخنازير للحومها وشحومها، ومن المحاصيل الثانوية الذرة، البطاطا، وقصب السكر، والطباق، وجوز الهند، والمطاط، والقطن، هذا إلى جانب صيد الأسماك نهرا وبحرا، وهناك قطع أخشاب التك وجمع غاب البامبو للتصدير، وتستغل حقول الفحم ومناجم الفوسفات والقصدير من شمالي فيتنام، وتعتبر هوشي منه (سايجون) أهم مدنها وموانيها بسكانها البالغين نحو ٨ مليون نسمة، كما تقوم فيها بعض الصناعات الغذائية، كما أنها المركز المالي والتجاري للبلاد، وهناك دانتج المدينة والميناء الثاني في الجنوب، اتخذها

الأمريكيون أثناء حربهم في فيتنام قاعدة حربية: ومقابل هوشي منه في الجنوب هانوي في الشمال، وهي العاصمة بعد وحدة البلاد، وهي ثانية مدن البلاد حجما وتقع على دلتا النهر الأحمر، وتقوم هايفونج كمنطقة صناعية تخدم ميناء هانوى.

لاوس الدولة الحبيسة

دولة فقيرة يقل طولها عن الألف كم، ويقل عرضها عن ٨٠ كم أحيانا، وهي مشهورة هناك بأنها أرض الجبال المتضرسة بشدة، والتي تغطيها الغابات الكثيفة، والسهول الفيضية الخصبة، حيث تنحدر المجاري المائية من الجبال لتغذي نهر اليمكونج، وتفيض على الأرضي السهلية المزروعة أرزا والذي يمثل غذاء الإنسان الأساسي.

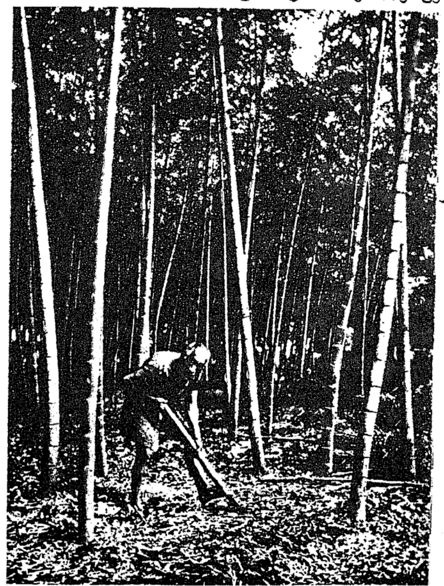
تقع إلى الشمال من كمبوديا، وهي الدولة الحبيسة الأخيرة في الصين الهندية، تكاد تكون منعزلة عن العالم، تتغير أحوالها أكثر منذ فترة الاستعمار الفرنسي (١٨٩٣ ـ ١٩٥٣)، ومن بين جيرانها المحيطين بها نجد الصين العملاقة، ويمتد جزء كبير من حدودها الغربية مع نهر ميكونج، على حين تمتد حدودها مع فيتنام في المناطق الجبلية، ولا يمتد فيها خط حديدي، بل بضعة طرق معبدة، ومازالت بعيدة عن الحضرية، فمن مجموع سكانها البالغين نحو ٥ر٥ مليون نسمة، ومعظمهم من عناصر اللاو سكان تايلاند، لا تتعدى نسبة فيها الحضرعلى ٢٠%، بل أن عاصمتها فياتجشان لا يزيد سكانها على ثلاثة أرباع مليون نسمة وحتى في ميدان الزراعة نجدها زراعية بدائية تعتمد على زراعة الأرز لكفاية الحاجة المحلية.

ينقسم سكان لاوس بصفة عامة إلى قسمين أساسيين :

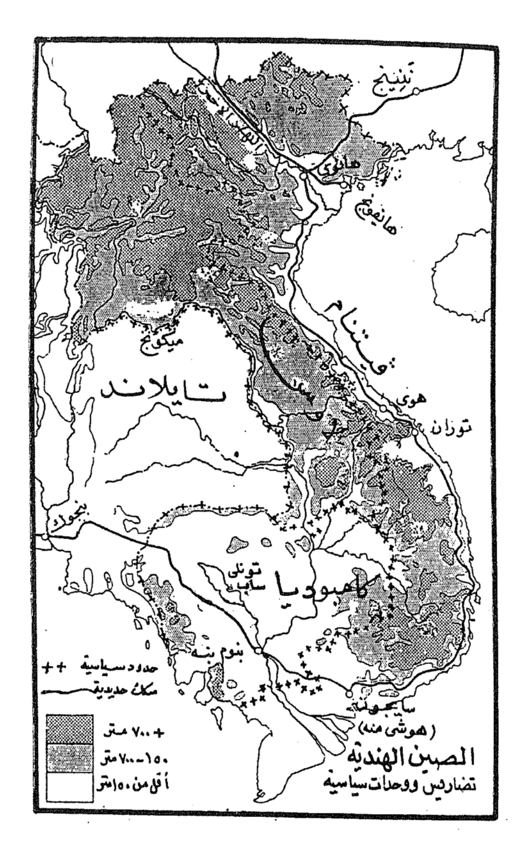
سكان السهول أو اللاو وهم سكان الأودية والسهول المنخفضة خاصة في السهل الفيضي لنهر الميكونج، يعيشون وسط حقول الأرز، في مساكن من أخشاب البامبو ترتفع عن سطح الأرض بما يتراوح مترين أو ثلاثة أمتار حتى

تتفادي مياه الفيضان، ويستغل أسفل المسكن في حفظ الأدوات وأوعية المنزل فضلا عن إيواء الماشية أثناء الليل، كما يوجد مخزن الحبوب على مسافة غير بعيدة من المساكن. هذا ويتراوح سكان القرية ما بين ٣٠٠ ، ٥٠٠ نسمة وتكون هؤلاء السكان نحو ٥٠% من السكان.

سكان الجبال منهم من يعيش على السفوح المتوسطة، يعيشون في مساكن صغيرة متفرقة، يقومون بزراعة السفوح بعض قطع الأشجار وحرقها للاستفادة بها كسماد للأرض، وينزلون بين الحين والحين لمبادلة السلع مع سكان السهول، وتكون هؤلاء نحو ٤٠% من السكان.



أشجار البامبو الذي يشتهر به جنوب شرقي آسيا.


تنينج
هانوى
هانفنج
فيتنام
ميكونج
تايلاند
هوى
توران
بنجواد
تونلى ساب
كمبوديا
بنوم بنه
حدود سياسية
سكك حديدية
سايجون
(هوشى منه)
+ ٧٠٠ متر
١٥٠-٧٠٠ متر
أقل من ١٥٠ متر
الصين الهندية
تضاريس ووحدات سياسية

شكل رقم (٣٦)

كمبوديا الملتئمة

على عكس فيتنام التي تمتد باستطالة، نجد كمبوديا أقرب إلى الشكل النموذجي للدولة، أقرب إلى الاستدارة، وأن كانت عاصمتها بنوم بنسه أقرب إلى الجنوب الشرقي ويؤلف الكهيمر أو الخيمر ٩٠% من السكان (هكذا يطلق الكمبوديون على أنفسهم) ٥% من الفيتناميين، ١% من الصينيين، ولا تختلف حياة السكان هنا عن نظائرها في الدول المجاورة من حيث الاعتماد على الزراعة والأرز خاصة، ثم تأتي بعد ذلك عدة محاصيل زراعية بدرجة أقل على رأسها المطاط والتوابل عند حضيض المرتفعات، فهما من محاصيل الصادرات الهامة بالنسبة لها وإن كانوا محظوظين في صيد الأسماك، فهم يصيدون من مياه نهر ميكونج العذبة، ومن بحيرة تونل، هذا فضلا عن مياه خليج سيام المالحة. هذا وتقع بنوم بنسه العاصمة على نهر الميكونج قبل التقائه ببحيرة تونلى، من ثم تستطيع السفن الوصول إليها، وبالتالي تعتبر عقدة مواصلات برية وبحرية ونهرية.

مازال ٧٥% من مساحتها تغطيه الغابات، ويعتبر نهر الميكونج الذي يتدفق من لاوس متجها إلى فيتنام أومارا بكمبوديا هو أساس الحياة الزراعية في وسط كمبوديا، ومن الطريف أن النهر حين تأتيه المياه متدفقة من ذوبان الثلوج فوق هضبة التبت، فضلا عن مياه أمطار الموسمية الصيفية، تفيض مياهه وتتجه لتملأ بحيرة تونل ساب (مايو ــ أكتوبر)، ثم تعود إليه إلى المياه مرة أخرى في فصل الجفاف، ومن ثم تبلغ سعة بحيرة تونل ساب (البحيرة الكبيرة) في فصل الفيضان ثمان مرات حجمها في فصل الجفاف.

تايلاند (أرض الأحرار) (*)

تعتبر تايلاند من جميع الوجوه هي الدولة القائدة في الصين الهندية. فمتوسط دخل الفرد هو الأعلى، وهي الوحيدة بين دول المنطقة التي لحقت بقطار النهضة الاقتصادية التي يشهدها الهامش الشرقي الآسيوي، كما أن بانجوك عاصمتها هي أكبر تجمع حضري، وإذا كان عدد السكان نحو ٦٥ مليون نسمة (قريب من عدد سكان مصر) فنسبة الزيادة السكانية فيها هي أقلها أيضا.

ومن أوجه الاختلاف أيضا عن بقية دول الصين الهندية هو شكلها العجيب فالجزء الرئيسي منها أو قلبها مندمج حيث معظم السكان وحيث قلب الإنتاج، ثم يمتد منها لسان طوله ١٠٠٠ كم، ويقل عرضه أحيانا عن ٣٥ كم حتى حدود ماليزيا.

ولذلك يشبهها البعض، بزهرة ساقها ممتدة في شبه جزيرة الملايو وتتفق تايلاند في أقاليمها الجغرافية على مواردها، ففي الشمال غابات التك الكثيفة تغطي المسطحات الجبلية والأودية الشديدة الانحدار، أما السهول الوسطى فهي مركز التجمع السكاني والنشاط الزراعي، وفي هذه السهل تجمعات عواصم أربع متعاقبة على البلاد، وأما الشمال الشرقي من البلاد حيث هضبة كورات فيعاني من نوبات جفاف وفيضانات مما يجعله أفقر الأقاليم.

ورغم أنه في تايلاند لا توجد دلتاوات أنهار كبرى مثل الميكونج، والنهر الأحمر، والإيراوادي، فهي تتمتع شبكة مجاري مائية تتدفق من المرتفعات الشمالية وهضبة كورات في الشرق وأهمها نهر مينام.

والأرز هو المحصول الزراعي الرئيسي، للاستهلاك المحلي وللتصدير، يمثل أكثر من نصف قيمة الصادرات، وبالتالي يتفوق على صادرات القصدير، (خامس منتج له في العالم) والمطاط، (المصدرة الثانية في العالم) وخشب التك،

(*) سميت أرض الأحرار لأنها الوحيدة في جنوب شرقي آسيا التي لم تخضع للاستعمار، وكان اسمها القديم سيام أي ذات القباب الصفراء (الذهبية).

وتعتبر اليابان وسنغافورة من أحسن عملاء الأرز التايلاندي، هذا وقد نشطت الصناعات الخفيفة في تايلاند، وأصبحت تدخل ضمن الصادرات ولعل نجاح تايلاند في هذا المجال يرجع إلى موقعها الجغرافي على رأس خليج تايلاند، ذلك أن قلب الدولة هنا منفتح على بحر الصين الجنوبي وبالتالي المحيط الهادي، كما أن نفس الخليج يعتبر مصدر ثروة سمكية ضخمة، واكتشف فيه أخيراً زيت البترول، وأقيم مصنع للتكرير، ولكن أهم عوامل التقدم الاقتصادي فيتمثل في الأيدي العاملة الوفيرة، والتي تعمل بأجور متدنية للغاية لإنتاج سلع منخفضة السعر تتنافس في أسواق التصدير، وبالتالي جذبت استثمارات أجنبية وفيره، وفتحت كثير من المؤسسات الأجنبية فروعا لها فيها كشركات السيارات والأجهزة الكهربائية اليابانية، فإذا زرت ميناءها لايم شابانج ستجد كم المنتجات متجهة إلى التصدير إلى الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها. وقد أصحت منافسا خطيرا في صادرات النسيج ولعب الأطفال والتونة والأناناس المعلب.

وتلعب الأنهار والقنوات المائية دورا كبيرا في حياة السكان، فنظرا لازدحام المدن وخاصة بانجوك العاصمة، نجد المساكن العائمة على جانبي النهر والقنوات، بل ومخازن السلع، ويقوم ساكنيها بالتجارة وهم على قواربهم.

ومما هو جدير بالذكر أن بيئات تايلاند وسكانها وآثار حضارتها ممثلة في المعابد البوذية الرائعة، يجذب ملايين السائحين (اسم سيام القديم معناه الذهبي الأصفر نسبة إلى المعابد المنتشرة بكثرة) يأتونها من ألمانيا، وأيضا من اليابان، ويزورون أيضا سواحل جزيرة بوكت في أقصى الجنوب قرب الحدود الماليزية بحيث أصبح دخل تايلاند من السياحة يمثل نصف قيمة الدخل القومي، وإن انعكس أثره على انتشار مرض الإيدز، وأصبحت تايلاند توضع في مقدمة الأقطار التي ينتشر فيها الإيدز، فاكتسبت سمعة سيئة من الناحية الصحية، فضلا عن هلاك البشر.

ميانمار (بورما)

دولة منعزلة بمساحة ٢٦٢ ألف كم٢ أقرب شكلا إلـــى تـايلاند، ويرجـــع انعزالها إلى ظروفها الطبيعية الممثلة في تعقيد تضاريسي، فـــهناك سلاســـل جبـــال أركان يوما في أقصى الغرب، وهناك هضبة شان في أقصى الشرق، وبينـــهما يقـــع الحوض الأوسط، فجبال أركان يوما هي الحاجز بينها وبين الهند. وتشير الدراســات أن سكان ميانمار في معظمهم، والبالغ عددهم ٤٨ مليون نسمة، قد أتوا على هيئـــة هجرات من هضبة التبت أي ينتمون إلى أصل مغولي، ويعتنق ٨٥% مـــن السـكان البوذية، يعيش ٨٠% منهم في الريف. ويعتبر حوض نهر إيـــروادي أكـــبر موحـــد لميانمار إذ تجري فيه السفن لمسافة تزيد على ١٢٠٠ كم، هذا فضلا عن الملاحـــة في روافده، وتعتبر دلتاه هي صحن الأرز Rice Bowel بالنسبة للسكان حيث يزرع فيها بكثافة، فضلا عن زراعتة في أودية أنهار شاندوين وسيتانج، كما يزرع القطـــن في المناطق الأقل مطرا خاصة في الوادي الأوسط لنهر إيراوادي، هذا مع السمســـم والفول السوداني والذرة، والطباق، ولما كانت الغابات تغطي أكثر من نصف مســاحة ميانمار، فتدخل الأخشاب في قائمة الصادرات الهامة إلى جانب الأرز، حيـــث تقطـــع الأشجار وتنقلها الأفيال إلى المجاري النهرية لتجرف مع تيارات الأنهار حتى تصـــل إلى مدينة رانجوان. هذا وقد ظهر البترول وإن بكميات قليلة في وسط البلاد، وكذلك بعض الفحم رديء النوع، من ثم فمازالت ميانمار تعتمد على الأرز ومنتجات الغابات كمصدر رئيسي للدخل.

ويعيش واحد من كل خمسة من المواطنين في المدن والتي تعتبر يــــانجوك العاصمة هي أهمها جميعا، كعاصمة سكان يبلغون نحو ٣ مليون نسمة، ولوقوعـــها على نهر يانجون، أصبحت أيضا ميناء مبانمـــــار الرئيســـي، ومركزهـــا الصنـــاعي والتجاري.

البوذية

• يعرف هذا المذهب في موطنه باسم بوذا ساساتا بمعني نظام الواحد المتيقظ أو المستنير أو الحكيم، وهو ليس اسم شخص، فهو يظهر من حين إلى حين، وسوف يواصل الظهور كلما وجد الناس يبتعدون عن " الحقيقة الخالدة " ويتغلبون على الروح الشريرة والرغبات التي تربط الناس بهذا العالم الفاني.

• وتميزت البوذية بمبدأ " الطريق الوسط " ويعني الطريق الذي يقع بين حياة الحس والمتعة المسرفة، وبين حياة الزهد والتقشف المتطرفة، فقد رفض بوذا نفسه هاتين الحياتين المتطرفتين في مسار حياته وهو يدنو من البوذية.

• ويحتقر البوذيون نظام الطبقات المغلقة في الهندوسية، فعندما ينضم رجال إلى نظام أولئك الذين انشغلوا طوال الوقت بالسعي وراء حياة البوذية المقدسة (في نظرهم) لا يهم من أي طبقة جاءوا، فاحترام الأعضاء، يكون بناء على درجة قداستهم.

• والحقائق الربعة الأساسية المقدسة لدي البوذيين هي : ـ

١ ـ أن الوجود الفاني يتسم بالمرض والشر، والضيق والسخط.

٢ ـ أن الإحساس بالضيق يأتي من الرغبة، أي عطش الإنسان الدائم إلى استهلاك الأشياء والتحكم في بيئتة، واستغلالها في أشباع ملذاته.

٣ ـ الكف عن الرغبة فوضع حد للرغبة الفردية معناه حالة من الصحة والعافية، وكذلك البعد عن الانفعالات الطاغية من الكراهية، والجشع، والوهم.

٤ ـ يمكن للإنسان أن يسلك طريق وقف هذه الرغبات. بالأخلاق الحميده، والتأمل والحكمة، ومنها التعهد بالأحجام عن أذى أي كائنات حية، وإلا يأخذ شيئا لم يعد له (السرقة) والامتناع عن الكذب، وتناول الخمر والمخدرات التي تذهب بالعقل.

• ظهرت البوذية في الهند في القرن السادس ق.م كرد فعل لكثير من المظاهر غير المعتدلة في الهندوسية، ثم انتشرت جنوباً حتى سيريلينكا، وشمالا إلى التبت، ونيبال وشرقا إلى اليابان، والصين، وكوريا، وفيتنام، وبورما، والملايو، وإندونيسيا، وفي نفس الوقت الذي امتدت فيه خارج موطنها الأصلي، انكمشت في وطنها الأساسي (الهند) حتى تكاد تختفي الآن من الهند.

الفصـــل الثالث

دول جزرية وشبة جزرية

ماليزيا

تعتبر ماليزيا من الدول المجزأة إذ تتكون من الامتداد الجنوبي لشبه جزيرة الملايو، فضلا عن الجزء الشمالي من جزيرة بورنيـــو والمعـروف باســم صبـــاح وسراواك، وكانت سنغافورة في وقت ما جزء منها عند بدأ تكويـــن اتحـــاد ماليزيـــا الفيدرالي، ولكنها انسحبت منه عام ١٩٦٢. وكانت كل هذه الأراضـــي فـــي نطـــاق المستعمرات البريطانية وحتى حصلت الملايو على الاستقلال عام ١٩٥٧.

ماليزيا الغربية (شبه الجزيرة المتصلة بالصين الهندية):

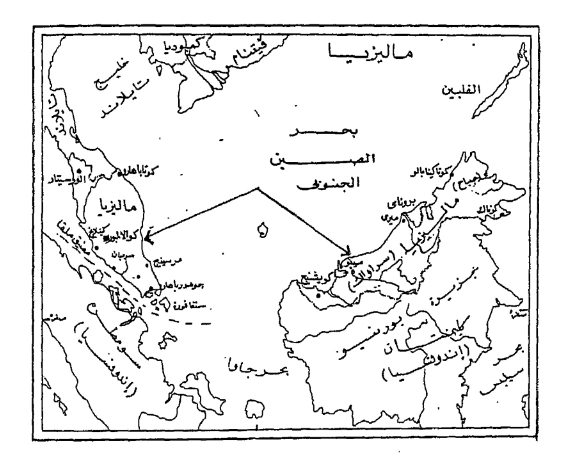
ويتألف سكان هذه الدولة من أعراق مختلفة وبالتـــالي تختلـــف عقـــائدهم الدينية، وعاداتهم وتقاليدهم، والأهم من ذلك وذاك مصالحهم فمن مجمـــوع ســـكان ماليزيا الذي يبلغ نحو ٢٤ مليون ٥٨% من المالاى (الأصليين) والصينيون ٢٧% والهنود ٧٥,٠، من ثم تنوعت الديانات وأن كان الإسلام هو الدين الســـائد، ومعـــه البوذية والهندوسية والمسيحية بنسب ضئيلة.

وقد بلغ من قوة هذه الجاليات أن ألفت أحزابا خاصة بها تشترك بـــها فـــي الانتخابات، فإذا كان هناك حزب المالاي الذي يمثل السكان الأصليين، فهناك حـــزب العمل وهو حزب العرقية الصينية، الذي يدافع عن التعدديـــة والمســـاواة، ويطـــالب بدمج التعليم الصيني رسميا في التعليم الوطني، وهناك أيضا حزب تجمـــع الـــهنود الماليزيين. ويعاني الماليزيون بصفة خاصة من الصينيين الذين يملكون كثيرا مـــن المقدرات الاقتصادية للبلاد، وهم منعزلون لا مختلطون بالسكان إلا فـــي المعـــاملات المالية والاهتمام بمصالحهم الخاصة ومصالح وطنهم الأم (الصين).

ويتركز معظم السكان في غرب ووسط ماليزيا من ملقا إلى كوالالمبور حيث انتشار مزارع المطاط ومناجم القصدير، ومن هنا كانت كوالالمبور العاصمة في حزام

المطاط والقصدير، ومركز تجمع الثروة والنشاط التجاري. ورغم أنـــها لا تتوسـط الدولة، فهي على اتصال جيد بجميع أطرافها.

أما العناصر الصينية والهنود فيسكنون نطاقا عرضه مائة كم على الســاحل الغربي، فيضم هذا الحزام ٩٠% من الصينيين، ٩٥% من الهنود المهاجرين.



شكل رقم (٣٧)

الإنتاج الزراعي:

يعيش الماليزيون على الأرز والسمك خصوصاً على طول الساحل الشرقي حيث تنتشر قرى الصيد: ويجففون السمك بطرق خاصة لتلائم المناخ الحار. وتتخذ القرى أماكن محمية حتى لا تتعرض للعواصف الموسمية الشديدة، وتحتمي المنازل بأشجار زيت النخيل، وتعمل شباك البامبو لصيد السمك على الساحل الغربي الضحل الهادي، وان كان الصيد يتوقف بين شهري نوفمبر ومارس لقوة الرياح، ويعمل صائد السمك أيضا في الزراعة أو يعيش على جمع جوز الهند. ومعظم أسماك الساحل الغربي تدخل في التجارة والباقي يأتي من الساحل الشرقي لكنه يستهلك محلياً كما أن معظم المواصلات في هذه المنطقة بحرية ساحلية.

وتزرع مساحة تبلغ نحو المليون فدان أرزا من مجموع المساحة الزراعية والتي تقدر بنحو ٦ مليون فدان، ويزرع في دلتاوات الأنهار والسهول الفيضية، كما يزرع في أشرطة ضيقة على طول الأودية التي تفصل سلاسل الجبال بعضها عن بعض، ويبلغ محصول الأرز في الملايو حوالي مليون طن أي ما يكفي ١/٣ عدد السكان فقط وتستورد الأرز من الخارج لتسد حاجتها.

ومن أهم المحاصيل التجارية المطاط الطبيعي، ثم المطاط المزروع وقد أصبح أهم سلعة تجارية في الملايو حيث يحتل مليون فدان أخرى ويقوم بزراعته معظم السكان الذين يعملون بالزراعة، ويعمل بزراعة المطاط أكثر من ٤ مليون مزارع وعندما أدخلت زراعة المطاط اتجهت أولاً نحو سفوح الجبال بالقرب من مناجم القصدير، فهذه المناطق تمتاز أولاً بأنها بعيدة عن نطاق المستنقعات التي تضر بالمطاط، وثانياً وجود طرق المواصلات التي أنشئت لجل تعدين القصدير وقد امتدت مزارع المطاط على السفوح الغربية على شكل شريط على طول السكك الحديدية.

وأدت زراعة المطاط إلى فتح أحراج وغابات الملايو، وطهرت المنطقة، وزرع المطاط البرازيلي الذي نجح نجاحاً كبيراً أكثر منه في موطنه الأصلي. زرعت ماليزيا محاصيل تجارية أخرى كالبن، والشاي، وقصب السكر، ولكن نظراً لفقر

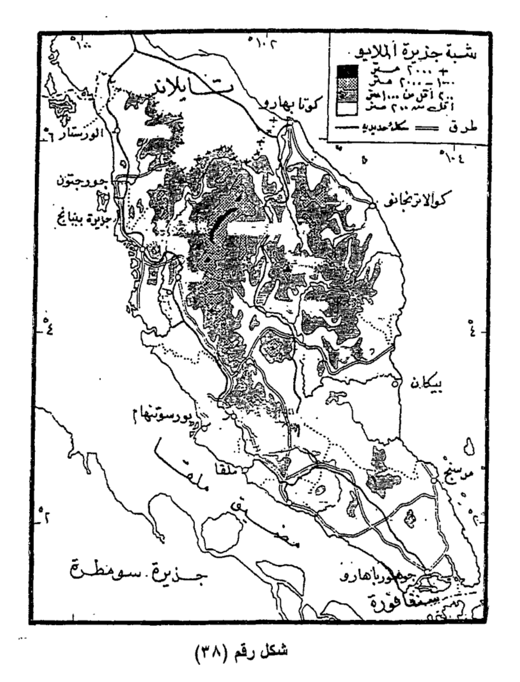
التربة وقلة العمال الزراعيين المهرة اختفت هذه الأنواع مـــا عــدا الشـــاي الـــذي استمرت زراعته اعتمادا على استيراد العمالة من الخارج.

وينتشر جوز الهند على طول الساحل ولا يحتاج لأيدي عاملـــة كثـيرة لآن الثمار مستمرة طول العام ويجفف ثماره بتعريضها للشمس أو الدخان. ولا يحتـــاج لمهارة خاصة لجمعه وتجفيفه ومعظم عماله من الملايو ويتعرض سعره للاهـتزازات ويتكلف نقلة نفقات باهظة.

أما أشجار زيت النخيل فقد أدخلت من غرب أفريقيه، ويزرع بكـــثرة فـــي الأودية وعلى طول السهول الساحلية وكانت معظم زراعته في أيــدي البريطـانيين حيث يشرفون على مزارعه الواسعة، ويقوم الهنود بالعمل وتحتاج زراعته لطـــرق مواصلات جيدة وينقل جزء كبير من زيته إلى سنغافورة عن طريق البحـــر وتنتـج ولاية جوهور Johor وحدها نصف ما تنتجه الملايو كذلك تســاهم ولايــة بـيراك وسلنجور Selangor بقدر وفير من الإنتاج، كما تزرع الملايـــو الأنانـــاس أيضـــاً ويجمع محصوله على دفعتين في ديسمبر ويوليه بعد سنة ونصـــف مـــن زراعتـــه ويدخل قائمة الصادرات أيضاً، وتعتبر التجارة في القصدير مقسمة بين ماليزيا مركـز التصدير الأول والولايات المتحدة مركز الاستيراد الرئيسي، وتصدر ماليزيا من يقرب من ثلث الإنتاج العالمي ومعظم العمال من الصينيين والهنود.

التعدين:

ومن ناحية الثروة المعدنية نجد القصدير يلعب دوراً هاماً فـــي اقتصاديـــات ماليزيا، ومعظم مناجمه مكشوفة في الرواسب الطمية وتحتوي أكاسيد القصدير على نسبة عالية منه (٧٥%) وتظهر معظمها مختلطة مع الحصى والزلط والرمال التي حملتها عوامل التعرية المائية.



شكل رقم (٣٨)

يمتد نطاق المناجم على طول السلاسل الوسطي خصوصاً في غربها في وادي كينتا Kinnta وحول كوالامبور حيث يستخرج من هناك ٣/٤ قصدير ماليزيا، وكما توجد مراكز تعدين أخرى في الشرق في أقصى الشرق لقلة وسائل النقل وبعثرة أكاسيد القصدير على طول الساحل عند سفوح السلاسل الشرقية من نهر بسيت Besut حتى جوهور.

ويوجد الحديد في الملايو ونسبته نحو ٥٠ ــ ٦٥%. وتوجد أكاسيد الحديد مختلطة في مناجم مفتوحة في جوهور وكلانتان، بهانج. ترنجانو، ويقوم بالتعدين عمال من الصينيين ومعظم المناجم في شرقي ماليزيا، وتستخدم الأنهار في نقل أكاسيده حتى الساحل، ويوجد الذهب بكميات قليلة في الرواسب الطميية، وكما يوجد في جهات متعددة في وييراك وملقا وسانجور.

وقد أصبحت كوالالمبور العاصمة مركزا للصينيين، ومد خط حديدي بينها وبين تايبنج وحتى أقرب ميناء سويتنهم Swetenham وولد Wold ثم مد خط حديدي على طول السفوح الغربية حتى سنغافورة.

ماليزيا الشرقية: وتتكون من سراوك وصبا في جزيرة برنيو.

أما سراواك فهي متأخرة حضارياً إذ لا زال يعيش أكثر من ٥٠% من سكانها حياة شبة منعزلة في الغابات، يعملون على جمع الطعام والقيام بالزراعة المتنقلة البدائية، وصيد الحيوانات، والأسماك. ولم تتغير حياة سكانها كثيراً منذ العصر الحجري حتى الوقت الحاضر.

وقد عمل المهاجرون الجدد من الهنود والصينيين على استغلال الأرض القابلة للزراعة بسرواك، وزراعة الأرز، والتوابل، وأشجار المطاط الطبيعي. وأصبحت سرواك اليوم بفضل مجهودات الزراع الصينيين من الأقاليم المصدرة للتوابل، وتتركز النطاقات الزراعية الخاصة بالأرز والتوابل على طول الساحل الشمالي لسرواك، ولا يزيد مساحتها على ١٨ كم٢.

وكانت صبا ضمن المستعمرات البريطانية في جزيرة بورنيو، واعتبرت بريطانيا أراضي صباح محمية بريطانية منذ عام ١٨٨٨ وخلال الحرب العالمية الثانية استولت اليابان على أراضي صبا، ثم بعد انتهاء الحرب، وهزيمة اليابان عادت صبا مرة ثانية مستعمرة تابعة للتاج البريطاني، وفي عام ١٩٦٣ أصبحت صبا ولاية مشتركة في اتحاد ماليزيا الفيدرالي وعُرف اسمها رسمياً باسم " صبا "

وتبلغ مساحتها نحو ٤٨ كم٢.

يعيش فوقها نحو نصف مليون نسمة ولا زال يعيش معظم سكان " صبـــا " (جماعـــات الدوســـون Dusuns، والباجـــاو Baaus، والســـولوك Suluks، والموروتث Muruts)، حياة أولية، منعزلة في الغابات ومناطق المستنقعات. وقـد عمل المهاجرون الجدد الذين وفدوا من إقليم جنوب شرقي آســـيا علـــى اسـتغلال أراضي صباح في الإنتاج الزراعي، ومن أهـــم غلاتـــها الزراعيـــة الـــذرة، والأرز، والكاسافا، قصب السكر، وجوز النخيل. كما يعمل بعض السكان بقطع الأخشاب مـــن الغابات، وتمثل الأخشاب نحو نصف قيمـــة الصـــادرات الســنوية لصبـــا، ويحتكـــر المهاجرون الصينيون الأعمال التجارية الداخلية للبلاد والإشـــراف علـــى تجارتـــها الخارجية.

الحياة في ماليزيا

ازداد انتعاش ماليزيا منذ منتصف الثمانينات، وبالتالي أصبحت هناك هجرة واضحـــة مـــن الريف إلى المدن خاصة العاصمة كوالالمبور، نظراً للحاجة إلى الموظفيـــن فـــي الإدارات الحكوميـــة، والبنوك، والمؤسسات التجارية، فضلاً عن وسائل الترفيه المتعددة التـــي تصحـــب زيـــادة الدخـــول، وتطورت المساكن في كوالمبور فظهرت ناطحات السحاب ورغم زيادة المباني حجما وعدداً فمـــازالت نفقات السكن فيها أعلى من أي جهة أخرى في البلاد ومن ثم بدأت هجرة سكنية إلـــى الضواحـــي أي هجرة عكسية، وساعد على هذا تعدد وسائل النقل: بالدرجات الناريـــة، الســـيارات، وســـيارات نقـــل الجماعي، والقطارات، وقد أعلنت الحكومة الماليزية عام ١٩٩٥ عن عزمها إنشاء عاصمة جديدة فـــي بوتراجايا Putrajahya على بعد ٤٠ كم إلى الجنوب من كوالمبور، على أن ينتهي العمل فيـــها عام ٢٠٠٨، ومازالت الحياة في مدن الساحل الغربي تختلف تماماً عن الحياة في القرى حيث مـــازال الناس يعيشون في مباني حشبية بأسقف مغطاة بأوراق الموز، أو الصفيح بدلا من البنـــاء المســـلح، ومعظم أرضية المنازل مغطاة بالبلاط لترطيب الجو.

وتكاد معظم مساكن المدن تحتوي على التلفزيون، والفيديو. والثلاجة، ومعظم الإرسال التلفزيوني برامج من الولايات المتحدة الأمريكية واستراليا والصين. ومعظم المطابخ تستخدم الغاز الذي يعبأ في اسطوانات ويوزع على المنشآت، كما أن معظم الحمامات تستخدم (الدش) Shower ومازالت الروابط الأسرية قوية، وإن كان عدد أطفال الأسرة قل عن ذي قبل من نحو ثلاثة أو أربعة أطفال قبل عام ١٩٨٠، إلى نحو طفلين فقط في التسعينيات. ويعيش كبار السن من الأباء والأمهات مع الأبن الأكبر، الذي يعولهما حين يتوقفان عن الكسب. هذا مع العلم أن السياسة الحكومية لا تشجع تحديد النسل حتى تخلق سوقا كبيرة للسلع المنتجة. وتأمل أن يرتفع السكان من ٢٠ إلى ٧٠ مليونا عام ٢١٠٠.

والمدارس الحكومية معانة من قبل الدولة، وان كانت هناك مدارس مازالت تحت إشراف الكنائس، كما أن هناك مدارس خاصة لكل من الجاليتين الهندية والصينية. وتمتد فترة التعليم من سن ٧ إلى ١٧ سنة وان زادت أحيانا عامين للتعليم العالي.

ويتناول الماليزي الأدوية الحديثة إلى جانب الأدوية الشعبية. وزيادة ولما كان الماليزيون مجتمع ركب عرقيا، فإن كثيرا من الماليزيين أبناء أباء يختلفون جنسيا عن الأمهات: الأب هندي والأم من تايلاند مثلا إذا كان الصينيون قد وصلوا ماليزيا لتعدين القصدير خلال الحكم البريطاني، كما جلبهم البريطانيون لزراعة المطاط، فقد أصبح الصينيون الآن يمثلون الطبقة المتوسطة. بينما يتفاوت المجتمع الهندي بين المحامين والأطباء والمهندسين، وبين أفقر وأبسط الأيدي العاملة.

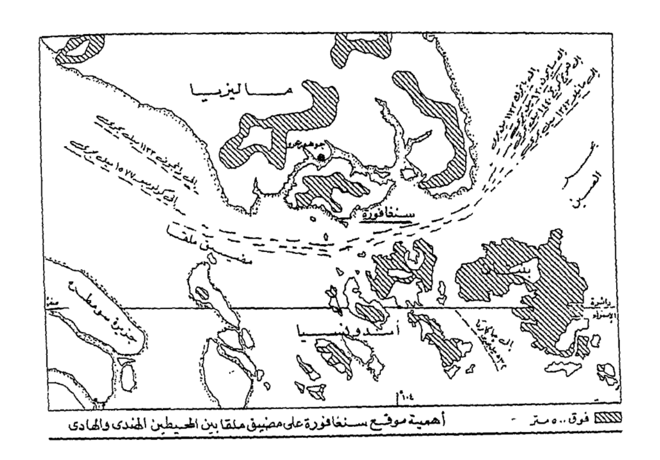
وخشية أن يمثل الصينيون قوة مؤثرة في المستقبل، يشترط القانون الماليزي مشاركة الماليزيين بنسبة ٥٠% في المؤسسات الصينية، ونظرا للتقدم الاقتصادي السريع استلزم هذا تدفق الهجرة إلى ماليزيا بأعداد كبيرة مما زاد من التعدد العرقي، فقد آتاها غير الصينيين، أيدي هاجرت من بنجلاديش، وإندونيسيا، والفلبين. ورغم تغير التوجيه الاقتصاد الماليزي مع التطورات الاقتصادية، فقد ظل التأثير الإنجليزي قويا حتى عام ١٩٧٠، ولكن تغير هذا مع زيادة المؤسسات اليابانية، والأمريكية بعد ذلك.

سنغافورة ـــ (دولة قزمية حجما وسكانا وعملاقا إقتصاديا)

دولة قزمية بمساحة ٦٥٠ كم٢، وسكان يبلغون نحو ٣,٥ نسمة (أي حجم حي شبرا في القاهرة) دولة بلا موارد اقتصادية ذاتية يزورها نحـــو ٦.٥ مليــون سائح سنويا أي ضعف عدد سكانها، ومتوسط دخـل الفـرد ٣٨ أف دولار سـنويا، وتتعدد أصول السكان كما هو الحال في ماليزيا، ولكن غالبيتهم من الأصول الصينيـة ٧٧%، وماليزيون ١٤% وهنود ٧%، فضلا عن باكستانيين وأوروبيين.

كان لأهمية الموقع الجغرافي لسنغافورة عند الطرف الجنوبي لشبة جزيرة الملايو، التي تنفصل عنه بواسطة مضيق جوهور Johore، أن أصبحـت محطـة بحرية رئيسية لتموين السفن التي تبحر على خطوط النقل بين شمال غربي أوربـا. وشرقي آسيا واستراليا، من ثم ظلت بريطانيا محتفظة بسـيادتها عليـها، إلـى أن منحت سكانها حق تكوين جمهورية سنغافورة عام ١٩٥٧. وكان مـن المنتظـر أن تشترك سنغافورة في اتحاد ماليزيا الفيدرالي، إلا أنها انسحبت من هذا الاتحاد بعـد تكوينه بفترة وجيزة. وتتألف جمهورية سنغافورة من جزيرة سـنغافورة، وبعـض الجزر الصغيرة المجاورة لها بما فيها الممرات والخلجان البحرية التي تفصل جزيرة سنغافورة عن بقية هذه الجزر الأخرى السالفة الذكر.

وكانت الغابات الاستوائية والمدارية الرطبة تغطي معظم أراضـي جزيـرة سنغافورة حتى بداية القرن الثامن عشر- ولكن سـرعان مـا أزيلـت. واسـتغلت الأراضي في الإنتاج الزراعي، وعملت العناصر الصينية والأوربية علـى اسـتغلال أرض جزيرة سنغافورة في الزراعة العلمية للمطـاط، وجـوز النخيـل، والفواكـه المدارية. كما تصاد الأسماك من المسـطحات المائيـة البحريـة المجـاورة لأرض الجزيرة.



فوق ٥٠٠ متر — أهمية موقع سنغافورة على مضيق ملقا بين المحيطين الهندى والهادى

شكل رقم (٣٩)

الموقع الجغرافي واقتصاديات سنغافورة:

ويعد ميناء سنغافورة قلب الجزيرة النابض وتشغل المدينة القسم الأوسط من الساحل الجنوبي للجزيرة. ويسكن ميناء سنغافورة أكثر من نصف جملة سكان الجمهورية.

هذه الدولة الصغيرة الحجم والسكان التي تقوم في موقع استراتيجي بين المحيطين الهادي والهندي قدر لها أن تحقق ناتجا محليا إجماليا قدرة ٢١٢ مليار دولار، وتستثمر في قطاع الصناعة وحده نحو ١١ مليار دولار، وتصدر بنحو ٢٧٠ مليار دولار أي أكثر من ناتجها المحلي، ذلك أنها لا تصدر إنتاجها فحسب، بل تصدر معظم ما تستورده سواء بحالته أو بإجراء بعض العمليات عليه بحيث تبلغ قيمة السلع المعاد تصديرها نحو ١٢٠ مليار دولار. ولعب موقعها الجغرافي أيضاً في دخولها باب تجارة الخدمات من أوسع الأبواب سواء في قطاع النقل، والاتصالات، فقد كانت محطة تموين enterpot للسفن العابرة، وخاصة تموينها بالفحم (نهاية شريان الملاحة البريطاني بورسعيد، كولمبور، واخيراً سنغافورة)، لموقعها الجغرافي الاستراتيجي الفريد عند رأس شبة جزيرة الملايو، وإشرافها على مدخل ملقا Malacca (فيما بين شبة جزيرة الملايو وجزيرة سومطره)، ومن ثم أصبحت من أهم الموانى التجارية بإقليم جنوب شرقي آسيا. وسنغافورة الآن محطة رئيسية لاستقبال وإرسال ٧٠% من الحاويات المتجهة من وإلى شرقي آسيا، من ثم نجد فيها إلى جانب إنتاجها،ى كل إنتاج العالم تقريبا، ويستقبل ميناء سنغافورة نحو ٣,٢ مليون سائح ترانزيت سنويا حتى ليحق عليها القول بأنها روتردام آسيا؟!

كل هذا لم يأت من فراغ، وإنما شهدت سنغافورة بنية تحتية ممتازة، وفي الميدان الصناعي وجدنا الصناعات الخفيفه فهناك التي تعتمد على التكنولوجيا المتقدمة ولا تعتمد على الموارد الكبيرة والثقيلة، الإلكترونيات، المستقبلات، الفيديو، التلفزيون، أجهزة الاتصالات والهوائيات وغيرها، وتقدمت كثير من الشركات في الأوطان الأمم واعتبرتها مركزاً متقدماً لصناعاتها، هكذا لم تصبح سنغافورة ميناء تموين فحسب، بل تسهم في التجارة العالمية بقدر وافر.

سلطنة بروناي Brunei

تقع أراضي سلطنة بروني في السهول الساحلية الشمالية لجزيرة بورنيو، وتجاور الحدود الشمالية الشرقية لسرواك، ولا تزيد مساحة السلطنة عن ٥٧٠٠

كم٢، ويبلغ جملة عدد سكانها نحو ٣٥٠ ألف نسمة. وقد كانت بروناي حتى القرن الخامس عشر إمارة كبيرة المساحة تضم تحت لوائها معظم أراضي جزيرة بورنيو. وفي نهاية القرن الخامس عشر وقعت بروناي تحت سيطرة دولة ملقا البحرية الإسلامية والعربية في جنوب شرقي آسيا. وبدأ ظهور الاستعمار الأوربي في القرن السادس عشر، بداية بالبرتغاليين وانكمشت مساحتها، وأصبح سلطان بروناي المسلم لا يحكم سوى جزءاً صغيراً جداً من إمارته السابقة التي كانت تشغل كل أراضي جزيرة بورنيو، ثم ظهرت بريطانيا على المسرح الاستعماري بجنوب شرقي آسيا خلال القرن الثامن عشر، انكمشت مساحة إمارة بروني مرة ثانية، وأصبحت تقتصر على ذلك الجزء الصغير من السهل الشمالي لجزيرة بورنيو.

وتتلخص الأهمية الاقتصادية لإمارة بروناي اليوم في حقول زيت البترول الذي اكتشف في إقليم سيريا Seria منذ عام ١٩٢٩ والغاز الطبيعي عام ١٩٨٤ وأصبحت من مناطق الإنتاج العالمية للبترول، وتزداد أهميتها نظراً لأن البحث في مياهها الإقليمية أثبت وجود البترول أيضا وكنتيجة لهذا أصبحت مصدر جذب للهجرات، ٧٠% من سكانها من ماليزيا ١٩% من الصين. ونتيجة لهذه الثروة تتمتع بأكبر ناتج محلي في جنوب شرقي آسيا بحيث أصبح متوسط دخل الفرد اكثر من ١٤ ألف دولار، وبعيش معظم السكان بجوار حقول البترول في الركن الغربي من البلاد، وفي العاصمة بندر سري بيجاوان، وتظهر نعمة البترول في المباني والفنادق الفخمة، وفي مراكز التسويق على عكس ما ترى في بقية برنيو، وان كانت هناك فروقات إقليمية فمازالت هناك مناطق في الداخل شبه منعزلة تعيش على الزراعة المعيشية.

إندونيسيـــــــا (*)

جزر مبعثرة

إذا كانت الأرخبيلات تكثر في العالم حول شواطئ القـارات، فـلا شـك أن أرخبيل إندونيسيا يعد من أعظمها، إذ تنتشر جزر إندونيسيا (نحو ١٣ ألف جزيرة) فكأنها عائمة فوق الماء في مساحة واسعة جنوب القارة الآسـيوية، أجـزاء منـها شمال خط الاستواء وأخرى جنوبه، من ثم يعيش سكان إندونيسيا بعددهم الذي يزيـد على ٢٠٠ مليون نسمة مبعثرين فوق الجزر، تفصلهم المسطحات المائية. ولكن مع ذلك من بين هذه الجزر هناك الخمس الكبار الذين لهم السيادة منها غينيـا الجديـدة في الشرق، ونصفها الغربي تابع لإندونيسيا، وأما الأربع الباقين فيعرفون باسم جزر سوندا الكبرى: جاوه أصغرهم مساحة وأكثرهم سكانا، سومطره في الغـرب مطلـة على مضيق ملقا مباشرة ومواجهة لماليزيا، وكليمنتان وتشمل معظم جزيرة بورنيو. وأخيرا سيليبس إلى الشرق. وتمتد مجموعة سوندا الصغرى إلى الشرق من جزيـرة جاوة، وتضم مالي وتيمور، وبالتالي تعتبر جزيرة جاوا هي الجزيرة المركزيـة فـي المجموعة.

البشر في إندونيسيا :

كانت إندونيسيا تعرف قبل الاستقلال أيام الاستعمار الهولندي باسـم جـزر الهند الشرقية، واتخذ الهولنديون من جزيرة جاوه مركزا لإدارة المستعمرة وكـانت بتافيا (جاكرتا الآن) هي العاصمة، وتعتبر جاوا اليوم هي قلب ونـواة إندونيسـيا بسكانها البالغين نحو ١٢٠ مليون نسمة، من ثم فهي من أكثر جهات العالم كثافـة. وأكثرها إنتاجية في الزراعة. وإذ قدر لك أن تبحر إلى في جاوا ستجد مئات السـفن التي تنتظر دورها للوصول إلى مرفأ جاكرتا، أحد أكبر الموانئ ازدحاما وحركة فـي جنوب شرقي آسيا، وفي الحقيقة أن هذا الميناء وظهيره يتميز بالنشاط الذي يـدب فيه، وكذلك الموانئ الأخرى في سومطره جعـل إندونيسـيا تدخـل نـادي النمـور

- (*) يطلق لفظ أرخبيل Archipelago على المسطح المائي الذي تكثر به الجزر.

الآسيوية، ذلك أن إندونيسيا تشجع استثمارات الشركات الأجنبية بما تمنحه لها من عمالة رخيصة، على استعداد العمل بثلث الأجر الذي تتقاضاه العمالة الماليزية والصينية.

وفي الحقيقية لا توجد جزيرة في إندونيسيا يمكن أن تنافس جاوا من حيث حجم السكان والازدحام ودرجة الحضرية والإنتاجية، فالجاويون يمثلون نحو ٦٠% من سكان إندونيسيا، وتأتي سومطره بعدها من حيث عدد السكان (٤٢ مليون) وأن كانت أكبر مساحة، كما تأتي سومطره في المرتبة الثانية من حيث المكانة الاقتصادية، فتمتد فيها مزارع المطاط في سهولها الشرقية، ثم تأتي كليمنتان وهي الجزء الإندونيسي من جزيرة بورنيو، وأن كانت أكبر مساحة فلا يسكنها سوى ١٢ مليون نسمة، معظمهم يعيشون في المدن والقرى الساحلية، أما جزر سيليبس إلى شرق من بورنيو فيقدر سكانها بنحو ١٤ مليون نسمة. وإذا كانت جاوا هي الجزيرة الرائدة بين الجزر، فإن جاكرتا هي الرائدة بين المدن، يطلق البعض على جاكرتا عاصمة إندونيسيا بأنها كلكتا جنوب شرقي آسيا، فإذا وقفت على الطريق السريع من المطار الدولي ومركز المدينة سترى القرى التي أقيمت فوق تلال من (الزبالة) وينبش فيها الأولاد بحثا عن شئ ممكن الانتفاع به، وهذا أمر ليس شائعا فحسب، لا في إندونيسيا، وإنما في جنوب شرقي آسيا بعامه، ولكن ليست هذه الصورة الوحيدة لجاكرتا، ذلك أن التقدم الاقتصادي ظهرت آثاره أيضا في المباني الضخمة وغابات من أطباق الهوائيات، والسيارات من أقدمها إلى أحدثها إلى جانب الدراجات التي تعج بها الشوارع ليلا ونهارا، هكذا الأعراق والديانات والألسنة واللهجات، مآذن الجوامع القضية إلى جانب أجراس الكنائس، ومعابد الهندوس، وقد تضخمت المدينة (١٤ مليون) بعد أن كانت تجمع لعدة قرى على مصب نهر سيليوانج، وتغيرت بالتدريج حتى تحولت عاصمة في فترة الاستعمار الهولندي وعرفت باسم بتافيا، ولحسن الحظ أنها تقع في شمالي غربي ساحل جاوا، أكثر أجزاء الجزيرة إزدحاما بالسكان، وتزور مرفأها جميع جنسيات السفن من روسيا إلى أرجنتين ، وتدفع جاكرتا ضريبة التقدم الاقتصادي ممثلة في تلك السحب الرمادية المثقلة بالملوثات التي تجثم فوقها طول العام.

أندونيسـيا
بحر الفلبين
الفلبين
بروناي
ماليزيا
بورنيو
كليمنتان
هالماهيرا
سيليبس
غينيا الجديدة
ايريان
بابوا
غينيا الجديدة
الملايو
مضيق ملقا
ميدان
سنغافورة
خط الاستواء
سومطرة
بنجكا
بلمباغ
بليتونغ
المحيط
الهندي
جاكرتا
باندونغ
جاوه
سورابايا
جزر سوندا الكبرى
بالي
ساجوا
تيمور
سومبا
جزر سوندا الصغرى
خليج كربنتاريا
إستراليا
١٠°
٥١٠
٩٠°
٥١١٠
٥١٢٠
١٤٠°

شكل رقم (٤٠)

العوامل الطبيعية المؤثرة في السكان توزيعا وتعقيدا :

يتنوع البشر في إندونيسيا، فهناك أكثر من ٣٠٠ تجمع عرقي، وأكثر من ٢٥٠ لغة فضلا عن أنه لا يوجد معتقد ديني في العالم إلا وله في إندونيسيا نصيب. ومع ذلك فالحكومات الإندونيسية استطاعت أكثر من مرة التغلب على هذه النزاعات. فهذا التعقيد الثقافي يذهب بجهود ومال الدولة. وتظهر المشكلة السكانية مرة أخرى في الزيادة السكانية التي إذا استمرت على حالها فمعناها تضاعف اسكان في مدى ٤٣ عاما، وفي كل الظروف الحالية ترتفع الكثافة أحيانا إلى ٢٠٠٠ نسمة/كم٢ في جزيرتي جاوة ومادير ا، ولكن في المقابل هناك جزر تنخفض فيها الكثافة إلى ٣٠ نسمة لكم٢ كما في سومطره، ولتقليل الضغط على الأرض من ناحية، ولتذويب الفوارق بين السكان، للوصول إلى اندماج وطني، تقوم الحكومات بعملية نقل للسكان translocation للسكان من جاوا إلى أجزاء الدولة أخرى، أي محاولة إعادة توزيع السكان. وإذا كانت هذه السياسة تبدو معقولة، فإنها تقابل من سكان الجهات المستقبلة بعدم الرضا أحيانا لأنهم يدخلون وسائل وممارسات لا تتفق مع تقاليدهم.

وتعمل التضاريس إلى جانب المسطحات المائية الفاصلة بين الجزر على أن تكون عوامل الطرد أو الانفصال قوية من الناحية فزيوغرافية تتناوب إندونيسيا المرتفعات والمنخفضات اتي ترجع إلى أزمنة مختلفة منها القديم ومنها الحديث كالسلاسل الجبلية الألبية التي تمتد من جاوا إلى سومطره وبورنيو وسيليبس، وهو امتداد لسلاسل الالتوائية التي تمتد في وسط آسيا ثم تنحني في ميانمار إلى الجنوب، وبين هذه اسلاسل نجد الأحواض والمنخفضات، غير أهم الظاهرات الفزيوغرافية هي الصخور البركانية المرتبطة بالنشاط البركاني الذي يترك طابعه على المظهر الطبيعي، من هذه البراكين ما هو خامد، ومنها ما هو ثائر، فهناك حوالي ١٠٠ بركان ظلت تثور بين الحين والآخر منذ القرون السابع عشر، وفي جاوا وحدها ٣٢ بركان من الأنواع الثائرة ومن أشهر البراكين بركان كاراكتوا الموجود في جزيرة كاركاتوا بين سومطره وجاوا، ويعتبر النشاط البركاني هو السبب الرئيسي في خصوبة التربة في إندونيسيا، المساعد الرئيسي في وفرة محصولاتها المختلفة.

الإنتاج الزراعي :

تضافرت العوامل الطبيعية لتصبح إندونيسيا دولة زراعية من الدرجة الأولى، فهناك كما ذكرنا التربة البركانية الخصيبة التي تغطي سفوح المرتفعات وبالتالي المنخفضات، والتي تنحدر كل عام بفعل الأمطار المستمرة طول العام والتي تنحت المرتفعات وتضيف إلى التربة كل عام طبقة جديدة، فإذا أضفنا أن المطر يسقط طول العام، فإندونيسيا استوائية المناخ ولكن وقوعها في طريق الرياح الموسمية الصيفية الشتوية، جعلها أقرب الاستوائية إلى الموسمية، (أكثر من ١٥٠ سم سنويا)، فإذا أضفنا وفرة الحرارة طول العام بين ٢٠م ، ٢٣م. كل هذا معناه إمكان الزراعة في أي فصل من فصول السنة. فضلا عن استغلال كل شبر من الأرض لمواجهة الحاجة الأساسية لهذا الكم الضخم من البشر، فهي مستودع هائل للمحاصيل المدارية من المحاصيل الغذائية. كان من الطبيعي أن يكون الأرز طبق المائدة الأساسي، وننتج الآن كل حاجتها من الأرز تقريباً بعد استغلال كل شبر من الأرض، بل تصدر بعض أنواع الأرز الجيدة، وتستورد مكانه أنواعاً أخرى أقل جودة. ويبلغ نصيب إندونيسيا من الأرز ٨% من الإنتاج العالمي، وتشبه حقول زراعة الأرز مع حقول الأرز في الهند، وتتبع نظام الزراعة الكثيفة، ومع الزيادة السريعة في السكان اتسعت مساحة زراعة الأرز وإمتدت على سفوح الجبال على المدرجات، بل وفي غرب جاوا يزرع المحصول مرتين أو ثلاثة في العام حيث المطر طول العام، ويزرع القمح في الأراضي الأقل خصباً ويدون ري، ومن ضمن المحصولات التي تزرع في مزراع واسعة المحصولات التجارية في جاوا وسومطره قصب السكر الذي توجد مزارعه تقريباً في جاوا الوسطى والشرقية، ومن المحاصيل التجارية الأخرى الشاي وحوالي ٣/٤ شاي إندونيسيا ينتج في جاوا وتعتبر ثالث مصدر للشاي بعد الهند وسيلان، وتنتج نحو ٣% من الإنتاج العالمي، ومن المحاصيل التجارية أيضا الكاكاو والبن، والكاسافا وهناك أيضا المطاط ويزرع بكثرة في سومطره، وإلى جانب هذا تنتج جاوا معظم إنتاج العالم من الكينين (*) الذي

(*) لعلاج الملاريا.

يؤخذ من لحاء شجرة السنكونا التي نقلت من أمريكا الجنوبية حيث كان يتركز إنتاجها قبل ذلك وأصبحت إندونيسيا وتصدر أكثر من ٩٠% من هذا الدواء على المستوى العالمي.

وتأتي سومطره في المرتبة الثانية بعد جاوة من ناحية الإنتاج الزراعي فهي تنتج الجزء الأكبر من المطاط ويزرع على الساحل الشرقي، أما بورنيو الإندونيسية فمازال الاستغلال الاقتصادي فيها في أولي مراحله وتزرع التوابل، على رأسها الفلفل الأسود القرنفل والقرفة، وتنتشر زراعة نخيل الزيت. وفي كل جزر إندونيسيا ما عدا جاوا تنتشر المزارع الواسعة.

التعدين :

يعتبر زيت البترول والغاز الطبيعي أحد أهم ثروات إندونيسيا المعدنية. فقد كانا مسئولين عن ٧٥% قيمة الصادرات في الثمانينيات ثم انخفضت النسبة إلى ٤٠% في التسعينيات لانخفاض أسعار البترول، وتوجد حقوله في سومطره وخاصة حقول باليمبانج ودامبي في جنوبي الجزيرة، وميدان في شماليها وهناك حقول باليكابان وتارالكان في بورنيو، وحقول رمبانج في جاوا، وشجعت الحكومة إقامة الصناعات البترولية بدلا من تصديره خاما، وركزت إندونيسيا مع انخفاض أسعار البترول على تصدير الغاز المسال، وأصبحت الآن هي أكبر مصدر للغاز المسال. في آسيا، يتجه منها إلى اليابان وتايوان.

وهكذا أصبح البترول والغاز الطبيعي يمثل نحو نصف دخل الدولة، ونصف حصيلتها من العملة الصعب،ة ويعدن الفحم في النصف الغربي من سومطره وبرنيو، ويستهلك محليا في تسيير الخطوط الحديدية. وإندونيسيا منتج رئيسي للقصدير الذي يصهر في جزيرة بنجكا، والنيكل في جزيرة سولواسي حيث يوجد مصهر ضخم له ويعدن البوكسيت ويحول إلى ألومينا في جزيرة بنتان، ويحول الالومينا إلى الومنيوم في أشان شمالي سومطره.

الصناعة :

الظاهرة الملفتة للنظر أن معظم صناعاتها باستثناء الصناعات الخشبية والتعدين تتركز في جاوا، وفي هذه الجزيرة يظهر بوضوح الاقتصاد الصناعي للبلاد. وكان لهبوط أسعار البترول في الثمانينيات أثره في تشجيع الحكومة على البحث عن طرق جديدة لزيادة الإيرادات، فكانت الصناعة بطبيعة الحال في المقدمة، من ثم عملت على تشجيع الاستثمارات الأجنبية لتستغل رخص العمالة من ناحية، ووفرة الخامات من ناحية أخرى للدولة، وقد جذب هذا العامل استثمارات عديدة من اليابان. وتايوان، وكوريا الجنوبية، والولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا الغربية، فعلي سبيل المثال أقامت الاستثمارات الأجنبية نحو ٦٠٠ مصنع متيحة فرصة كبيرة للعمل في صناعات اللعب والأحذية، الورق، الإلكترونيات والبتروكيماويات. وفي ظل الاتجاه نحو التصنيع باعت الحكومة بعض المؤسسات التابعة للدولة للقطاع الخاص، وذلك لتنشيطها، كما أنفقت الدولة بسخاء على الصناعات الأساسية على اعتبار أنها مشجعة لكثير من الصناعات الخرى، شجعت قيام صناعة الصلب، والأسمدة، والكيماويات، والأسمنت، والبتروكيماوية، فعلى سبيل المثال قيام صناعة السيارات الصغيرة تحتاج إلى الصلب والمطاط والألومنيوم، وفي نفس الوقت فإن صناعة هذه السيارات ستكون في حاجة إلى مستلزمات أخرى كالبطاريات وشموع الاحتراق، وصناعة النسيج ستكون في حاجة إلى الآلياف الصناعية من البتروكيماويات ومواد الصناعة، وسيقوم عدد من الإندونيسيين بصناعة وحياكة الملابس الجاهزة.

وتعتبر جاركارتا العاصمة التي تقع في شمالي غربي جاوا أهم مراكزها الصناعية واحد موانيها الرئيسية، ومراكزها التجارية، ثم تأتي سورابايا كالمدينة والميناء الثاني في جاوا بسكانها البالغين نحو ٤ مليون نسمة كالمركز الصناعي الأول في إندونيسيا، على حين أن باندونج بسكانها البالغين ١,٥ مليون نسمة أقرب إلى المنتجع، وفي جزيرة سوسطره هناك ميدان موطن ٣ مليون نسمة، ويقوم ميناؤها بيلاوان بتصدير معظم منتجات الجزيرة، وتعتبر بيلمبانج مخرجاً رئيسياً لبترول الجزيرة ومطاطها، وتقوم فيها صناعة بناء السفن وبعض صناعات الحديد والصلب.

الفلبيـــــــن

إلى الشمال من إندونبسيا وإلى الجنوب من تايوان. وعلى بعـــد ٨٠٠ كـــم جنوب شرق الصين يقع أرخبيل الفلبين الذي يتكون من سبعة آلاف جزيرة أكثر مـــن نصفها لا تزيد مساحته على كيلو متر ونصف ، ويسكنها نحو ٧٠ مليـــون نســـمة. ويرجع أسمها إلى أحد ملوك الأسبان في القرن السادس عشر، خضعت للاســـتعمار الأسباني لأكثر من ثلاثمائة عام، ثم احتلتها الولايات المتحدة الأمريكية حتـــى نـــالت استقلالها عام ١٩٤٦.

ويمكن تقسيم الجزر المسكونة فيها إلى ثلاثة مجموعات :

(١) لوزوون أكبرها ومانديرو في الشمال.

(٢) فيزايان Visayan في الوسط.

(٣) مندناو وهي أكبر الجزر مساحة في الجنوب، وفي الجنوب الغربي مـــن مندناو في ارخبيل سولو تتمدد مجموعة من الجزر الصغيرة.

بشر الفلبين :

وكثير مما قيل عن العموميات في جنوبي شرقي آسيا يطلق على الفلبيـــن من حيث تعدد العناصر التي تعيش فيها: العناصر المالوية، مختلطـــة بالإندونيســـية والعناصر الهندوسية وهذه يقل أثرها كلما اتجهنا شمالا، ثم آتت غزوات صينية فـــي القسم الشمالي من جزيرة لوزون، كما وصلها الإســـلام وأن متـــأخرا، أتاهـــا مـــن الجنوب عن طريق إندونيسيا، ثم سرعان ما طغي الغزو الأسباني في القرن السادس عشر بمسيحيتة الكاثوليكية التي تسود في نحو ٧٠% من السكان، على حين لا يمثل البروتستانت سوى ١٠% والإسلام نحو ١٠%.

وقد خرجت الحضارة الفلبينية من هذا الوعاء الذين اختلطت فيه حضـــارات المغول، والعرب والصين واليابان والأسبان ورغم بقاء الأسبان نحو ٣٠٠ عام، فـــلا يتكلم الأسبانية سوى نحو ١%، وإذا كانت الفيزيان هي اللغة الشائعة، فـــإن ٥٠%

من السكان يمكنهم التعامل باللغة الإنجليزية، وعندما حصلت الفلبين على الاستقلال اتخذت التاجلوج أو الفلبينو لغة رسمية، على أن تكون الإنجليزية هي المستخدمة في التخاطب العام. ولعل انتشار اللغة الإنجليزية في الفلبين يرجع إلى نصف قرن خضعت فيه الفلبين للاستعمار الأمريكي بدءا من عام ١٨٩٨ بمقتضى المعاهدة الأمريكية الأسبانية، والتي بمقتضاها تنازلت فيها أسبانا عن هذه الجزر للولايات المتحدة الأمريكية ونجحت اليابان في غزو الفلبين في الحرب العالمية الثانية، ثم رجعت مرة أخرى إلى الحظيرة الأمريكية بعد طرد اليابان.

ويتجمع سكان الفلبين حيث توجد الأراضي الزراعية وبطبيعة الحال في المناطق السهلية، والأحواض الطولية الممتدة بين السلاسل الجبلية، وقد تنخفض بعض هذه الأحواض إلى مستوى سطح البحر، والواقع أن هذه الجزر عبارة عن سلاسل التوائية تمثل الحافة النهائية الشرقية للقارة الآسيوية، وتمتد من الشمال إلى الجنوب، فهي عبارة عن جبال التوائية وانكسارية وبركانية.

وقد تغطت الصخور بطبقات حديثة تراكمت عليها ولكن بعض المناطق لا تزال تظهر على سطحها صخور عصر ما قبل الثالث، ومعظم الطبقات السطحية من اللافا البركانية.

<u>أرض الزلازل والبراكين وعمق المحيط السحيق :</u>

وتنتشر البراكين الثائرة في الفلبين، ومن أعظم براكين العالم مايون في جزيرة لوزون، كذلك بركان أيو في جزيرة مندناو وارتفاعه قد يصل إلى أكثر من ٣٠٠٠م فوق مستوي سطح البحر. وسواء كانت البراكين ثائرة أو خامدة فهي أهم مظاهر السطح السائد في الجزر الفلبينية، وكثيرا ما تتعرض الجزر التي تثور فيها البراكين لأخطار شديدة فقد تدمر القرى غير أن من فوائدها تربة بركانية خصبة أثرت تأثيراً جيداً في اقتصاد الفلبين الزراعي، وهي أيضا من مناطق الزلازل التي تحدث كل عقد تقريا، نذكر منها ذلك الذي حدث في جزيرة مندناو عام ١٩٧٦، وراح ضحيته نحو ٨ آلاف نسمة، وذلك الذي خرب جزيرة وزون فأودر بحياة ما يزيد على الآلف نسمة. وفي الناحية الجنوبية الشرقية من جزر الفلبين، بالقرب من

السواحل الجنوبية الشرقية توجد أعمق منطقة في المحيط الهادي، فالمنطقة التي تجاور ساحل مندناو يصل عمقها إلى أكثر من ١٠ آلاف متر تحت مستوي سطح البحر. وهذا العمق يقترب جداً من السواحل حيث لا يبعد عن جزر مندناو بأكثر من ١١ كم. لذلك نجد أن أكبر كثافات سكانية في ثلاثة أقاليم هي :

- السهول الشمالية الغربية، والسهول الوسطي الجنوبية في جزيرة لوزون.
- السهول الجنوبية الشرقية لجزيرة لوزون.
- جزر بحر فيزايان بين جزيرتي لوزون ومندناو.

الإنتاج الزراعي :

لا تقتصر الزراعة على السهول، بل تعدتها إلى السفوح الجبلية حتى الشديدة الانحدار لبراعتهم في تحويلها إلى مدرجات تستغل في الإنتاج الزراعي.

ومازالت الفلبين دولة زراعية، يعمل بالزراعة نحو ٧٥% من السكان وبطبيعة الحال يأتي الأرز في المقدمة، يشغل نحو ٤٠% من المساحة المزروعة. يليه الذرة في نحو ٢٠% من المساحة، ثم القمح الذي يزرع في القسم الأوسط من جزر نجرس وشمالي مندناو، على حين يتركز قصب السكر في السهول الغربية، لجزر لوزون وباناي، وهناك المحاصيل الدرنية كاليام (يشبه القلقاس) والكاسافا (شبيه بالبطاطا ولكن حجمها كبير قد يصل إلى نصف متر مثل طولا)، كذلك الموز وجوز الهند.

ويخصص نحو ٣٠% من المساحة لزراعة المحاصيل النقدية وعلى رأسها قنب مانيلا Manlia Hemp الذي تصنع منه حبال السفن، وهو يحتاج إلى كثير من الجهد والعناية، وأعداد كبيرة من الأيدي العاملة. ويتركز نطاق زراعة قنب مانيلا في إقليم تاجا (جزيرة لوزن)، وفي جزيرتي سامار Samar، وليت Leyte. ويمثل القنب أهم صادرات الفلبين وينقسم إلى نوعين:

* القنب الناعم. * القنب الخشن.

والنوع الثاني له أهمية خاصة في تجارة الفلبين الخارجية، ويحصل على

أليافه من لحاء الأوراق الضخمة، ويشبه هذا النبات شجرة الموز لدرجة أنه لا يمكن التمييز بينهما، ويحتاج تربة جيدة الصرف وينمـــو عـــادة علـــى ســـفوح الجبـــال والمنحدرات العالية حيث الأمطار غزيرة ومستمرة لمدة طويلـــة، ويقـــوم بزراعتـــه الأهالي ولكن أقيمت الآن مزارع واسعة برأس مال أجنبي لغرض خدمـــــة التجـــارة العالمية. وبعد أن ينضج نبات القنب يقطع ويوضع في الماء لعدة أيام لإزالة المـــادة اللزجة العالقة في الألياف، وتنزع قشرته وتحتاج هذه العملية إلى مهارة ودقـــة لأن أي تأخير أو تقديم في المواعيد يؤثر على نقاوته.

ويحتل نطاق زراعة الطباق القسم الأدنى والأوسط من حوض نهر تـــارلاك Tarlac في شمالي جزيرة لوزن، وفي بعض أجزاء من جزر ميندور وباناي.

التعدين والصناعة :

ويعدن النحاس في الفلبين، وتصنع الآلات، والأغذية المحفوظـــة، وتقـــوم صناعة تعدين النحاس والأغذية المحفوظـــة والصناعـــات الخشـــبية والمنســـوجات وتجميع الأجهزة الإلكترونية، ويعمل نحو ١٠% من القـــوي العاملـــة فـــي ميـــدان الصناعة، والذي يسهم بدوره بنحو ثلث دخل الدولة من السلع والخدمات. هذا ونظرا لطول سواحل الفلبين وتبعثر الجزر تكثر عمليات تهريب السلع وعلى رأسها المـــواد الكحولية والسجائر.

وتتألف معظم صادراتها من الكوبرا (جوز الهند المجفف) والسكر وألياف القنب والأخشاب.

مانيلا

أسس الغزاة الأسبان مانيلا (على اسم بعض الأعشاب المزهرة هناك) في جزيرة لـوزون ليتخذوها عاصمة لهم، وذلك منذ أربعة قرون، وكان اختيارهم سليما موقعا وموضعـا، فـهي علـى مصب نهر باسيج حيث يتوفر مرفأ من أصلح المرافئ الطبيعية في شرقي آسيا ويحيط بالمدينـة مـن الشمال والشرق والجنوب هلال من الجبال التي تبعد نحو ١٠٠٠ كم من ميناء هونج كونـج. ورغـم تعرضها للقذف الشديد بقنابل الحرب العالمية الثانية، فمازالت آثار الفترة الاستعمارية ظاهرة وممثلـة في الكنائس بصفة خاصة، ولعل كنيسة القديس أوغسطين التي شهدت عام ١٥٩٩ شاهد على هـذا. وقد تمددت مانيلا نحو الشمال الشرقي لتضم مدينة كويزون التي أرادوا أن تكـون عاصمـة، بحيث أصبحت جزءا من مانيلا الكبرى، التي يبلغ عدد سكانها نحو ١٠,٥ مليون نسمة، ولكن ظلت مـانيلا هي العاصمة الفعلية للفلبين.

الباب الخامس

آسيا الجنوبية الغربية (*)

إقليم الجفاف والبترول

الفصل الأول

في شخصية الإقليم

في الطرف الجنوبي الغربي للقارة الآسيوية، ومن المحيط الهندي إلى البحر الأسود، وجبال بنطس، وهضبة أرمينيا، وجبال البرز وهندكوش يمتد هذا الإقليم.

استراتيجية الموقع والمورد

يتميز الإقليم بموقعه الاستراتيجي الخطير من أقدم العصور حتى وقتنا هذا، فهو حلقة اتصال رئيسية Zone of junction بين فصوص العالم القديم أوربا آسيا، وهو إقليم عبور أو ممر Corridor ففيه يستدق اليابس أكثر ما يستدق، ويتقارب الماء أكثر ما يتقارب، فيصبح أشبه بالجسر بين هذه القارات، وهو إقليم البحار الخمسة كما أطلق عليه ماكنيدر : البحر المتوسط، والبحر الأسود، وبحر قزوين، والبحر الأحمر، والخليج العربي، ويشرف على أربع ممرات مائية عالمية، البسفور، والدردنيل، وقناة السويس، وباب المندب، ومضيق هرمز.

لذلك يمكن القول بأن الطبيعة قد عينت هذا الإقليم في وظيفة الوساطة التجارية، وكان هذا الأمر واضحا غاية الوضوح قبل ظهور البترول في بعض دوله. فكان ممرا للسلع المتجهة من الشرق الآسيوي إلى أوربا سواء براً أو بحراً، فالطرق البحرية عبرته حاملة السلع التي كانت تحتاجها أوربا في العصر الوسيط وعلى رأسها التوابل والبخور عن طريق الخليج العربي والعراق وسواحل الشلم، أو

(*) المقصود به الشرق الأوسط الآسيوي في الدراسات الاستراتيجية.

بحرا إلى جنوبي شبه جزيرة العرب إلى الشام، وساعد على هذا أن أهل شبه جزيرة العرب كانت لهم رحلات الشتاء والصيف أو عن الطريق البري الذي يربط بين شرقي آسيا وأوربا، من الصين إلى وسط آسيا والتركستان، وبحر قزوين، وشمالي إيران وبغداد ووسط تركيا إلى إستانبول، ومثل هذا الطريق لا يحمل فيه ولا يتحمل إلا ما خف حمله وغلا ثمنه، الحرير من ثم عرف بطريق الحرير.

ومازالت استراتيجية الطريق في العصر الحديث. رغم استخدام طريق رأس الرجاء الصالح.

وزاد من أهمية الإقليم الاستراتيجية أنه يضم منابع البترول الرئيسية في العالم احتياطيا وإنتاجا وتصديرا (العراق والخليج)، كما ظهر البترول حديثا على أطرافه الشمالية (دول آسيا الوسطي) ومن المعروف أن أمن الطاقة Energy security لفظ يتداول كثيراً في قاموس الدول الصناعية الآن وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، ومعناه ضمان وتأمين مصادر وإيرادات رخيصة للطاقة لمواجهة احتياجاتها المتزايدة والتي تزداد باستمرار معتمدة على الاستيراد. ويمثل البترول وحده نحو ٤٠% من مصادر الطاقة كما يمثل الغاز الطبيعي نحو ٢٥% في الوقت الحاضر، ويقلق الدول الصناعية أن الموارد البترولية في أيدي عدد قليل من الدولة المصدرة له، بينما تستهلك الدول الصناعية نحو ثلثي الاستهلاك العالمي، وتنهج الولايات المتحدة الأمريكية نهجا سياسيا خاصا يتمثل في الضغط السياسي على الدول المصدرة للبترول كلما ارتفع سعره، وتبعث بممثليها لإقناع تلك الدول بزيادة الإنتاج لخفض السعر، وأخيراً اتخذ الضغط الأمريكي نهجاً أشد عنفاً، إذ أدخلت في إطار " محور الشر " المستهدف لضرباتها العسكرية كلا من إيران والعراق، وهما من دول الشديدة المراس في منظمة الأوبك حين تتم مناقشات الإنتاج والأسعار.

ويختلف نمط استهلاك البترول في الولايات المتحدة الأمريكية عنه في أوربا، إذا يستخدم الجانب الأكبر منه في قطاع النقل الذي يمثل مرتبة حيوية في الحياة اليومية للمواطن الأمريكي، ويجعله يجأر بالشكوى إذا ارتفع السعر بضعة

سنتات، على حين أن استهلاك البترول في أوربا يتوزع توزيعا شبه متساوي على القطاعات الإنتاجية المختلفة، من ثم يجد ارتفاع وانخفاض سعر البترول الخام صدى قويا لدى المواطن الأمريكي. وتتراوح فاتورة الواردات البترولية للولايات المتحدة الأمريكية خلال السنوات الأخيرة ما بين ٨٠، ١٠٠ مليار دولار سنويا، هذا فضلا عن الأرباح الضخمة التي تجنيها شركات البترول الأمريكية.

ولعل أحد أهداف الولايات المتحدة الأمريكية يتضح في غزوها لأفغانستان بحجة القضاء على تنظيم القاعدة في أفغانستان فإيران والعراق على يمينها، ودول آسيا الوسطي البترولية إلى شمالها وبالتالي فأفغانستان ذات موقع استراتيجي بالنسبة لمناطق إنتاج البترول " برج مراقبة " وقد تأخذ بعض أنابيب آسيا الوسطي طريقها إلى المياه الدافئة عبرها. وبالتالي تسيطر الولايات المتحدة الأمريكية على البترول من الخليج العربي شرقا حتى آسيا الوسطي، وهي بسيطرتها هذه تحقق هدفا ثانيا ورئيسيا أيضا، وهو الحيلولة دون وصول الصين أو روسيا الاتحادية إلى بترول الخليج وبترول بحر قزوين، أي تصبح لها القدرة على المنح والمنع.

آثار البترول :

ويمكن تلخيص آثار إنتاج وتصدير البترول في هذا الإقليم فيما يلي : ــ

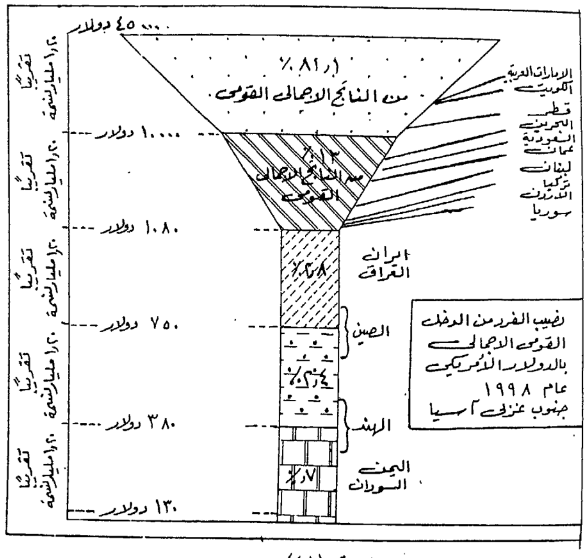
- ارتفاع الدخول، لدرجة أن متوسط دخل الفرد في بعض هذه الدول ارتفع إلى مستواه في المجتمعات الصناعية المتقدمة حين ارتفعت الأسعار، وحتى حين انخفضت أسعاره ظل متوسط دخل الفرد أعلى قائمة في المجتمعات المتوسطة الدخل.
- التحديث ويتمثل في تحول المدفقات إلى طرق درجة أولي، وظهرت المباني الحديثة ودخلت السيارة بإعداد ضخمة، والاهتمام بالموانئ لمناولة السلع بترولية وغير بترولية، وزاد الاهتمام بالتعليم الحديث في مستوياته المختلفة، والمستشفيات التي تضم أحدث الأجهزة.
- النهوض بالإنتاج الزراعي ودعم المزارعين بطرق مختلفة.
- التصنيع: اتجهت هذه الدول إلى التصنيع على اعتبار أن البترول مورد

ناضب فأقيمت المشروعات الصناعية وعلى رأسها تكرير البترول والبتروكيماويات اعتمادا على وجود البترول كمادة خام فظهرت مصانع السماد، والبلاستيك بل والحديد والصلب، وتحلية مياه البحر وغيرها، مما لم يكن موجودا قبل ظهور البترول، كل هذه الصناعات تجدها متكررة في السعودية، وإيران، والعراق، والإمارات، وقطر، والبحرين،

- الهجرات الواسعة بين سكان هذا الإقليم، كما حدث بين مصر والأردن وسوريا وتونس إلى السعودية والكويت والإمارات، ولم يقتصر الأمر على هذا بل آتت هجرات من خارج الإقليم. من الهند وسيريلنكا وباكستان.
- التفاوت بين أجزاء الإقليم، دول منتجة، ودول غير منتجة كتركيا بل التفاوت في الدولة الواحدة أحياناً.
- جذب الاستثمارات الأجنبية ممثلة في شركات البترول وغيرها، وأيضا خروج استثمارات من داخل الإقليم نتيجة وجود فوائض إلى أوربا وغيرها، مشاركة في بعض النشاطات (شركة مرسيدس ـ محطات بنزين، شركات عقارية، بورصات ....).

* وضع هذا الإقليم تحت مجهر الولايات المتحدة الأمريكية فيما يختص بالقوى النووية سواء المكرسة لإنتاج الأسلحة النووية أو الاستخدامات السلمية على حد سواء، بينما تعتبر إسرائيل القوة النووية الوحيدة في هذا الإقليم، وتفخر ولا تنكر أن لديها صواريخ نووية، وأنها لم توقع على معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية، فالولايات المتحدة الأمريكية تتهم إيران والعراق بأنهما يصنعان أسلحة نووية أو في طريقهما لصنعها، ورغم جهود هيئة الطاقة النووية وفرق التفتيش التي مسحت أرض العراق، ولم تجد شيئا، فإن الولايات المتحدة الأمريكية تتغاضى عن هذا، وتصر على أن العراق يعمل في هذا الاتجاه، وقد وضعت العراق وإيران ضمن محور الشر على حد تعبير السياسة الأمريكية.

فإذا كان الإقليم منتجا لنحو ٣٠% من الإنتاج العـالمي للبـترول ويصـدر معظم إنتاجه لضعف التصنيع في موطنه وتحتوي أرضـه علـى ثلثـي الاحتيـاطي العالمي، وكذلك ثلث الاحتياطي العالمي للغاز الطبيعي، فلا عجـب أن يسـيل لعـاب الولايات المتحدة الأمريكية وتحاول أن تنفرد بالكعكة منفردة، ويمكنها بإرادتـها أن تعطي الفتات لهذا وذاك بحسب الظروف والأحوال، وإذا كانت اليابان التي تعتمد على بترول هذا الإقليم راضية بالحماية الأمريكية لممرات البترول، وزيادة هيمنتها علـى مقدرات الدول البترولية في الإقليم، فإن الصين ليست راضية عن هـذا، ومـن ثـم تطور أسطولها البحري.



شكل رقم (٤١)

البشـــــر

يبلغ سكان هذا الإقليم نحو ٣٢٥ مليون نسمة، وبطبيعة الحال يتفاوت حجم السكان بين ٠,٥ مليون نسمة في قطر إلى ٦٦ مليون في إيران، و ٦٥ مليون فـي تركيا. وبذلك تصبح إيران وتركيا هما الدولتان الرائدتان سكانيا، وليس هناك تـدرج سكاني بين دول الإقليم فيبلغ سكان تركيا أو إيران ثلاثة أضعاف الدول التي تليـها، سكان العراق نحو ٢٣ مليون نسمة، وأوزبكستان ٢٤ مليونا أفغانستان ٢١ مليونـا وكازاخستان ١٨ مليونا والسعودية ٢١ مليونا، ومن التحولات الديموجرافية التـي سوف يشهدها الإقليم هو تضخم عدد السكان في المستقبل، بل سوف يـزداد عـدد سكان المملكة العربية السعودية إلى ثلاثة أمثال (أي حجم إيـران الآن)، وسـوف تصبح سوريا قوة ديمواجرافية تعدادها نحو ٥٠ مليون نسمة عام ٢٠٥٠، وسيكون العراق بنفس هذا الحجم، أما إيران فسوف تنتفخ لتضم أكثر من ١٦٠ مليون نسمة. كما أن أفغانستان فسيبلغ عدد سكانها نحو ٦٧ مليونا (عدد سكان مصـر ١٩٩٩) ويضاف إلى هذا ملمحا مميزا للسكان يزيد فيه عدد الشباب الذين تتراوح أعمـارهم بين ١٥، ٢٤ عاما، هذه التقديرات أن لم تعمل سياسات الحكومات فيها على الأخـذ بسياسة تحديد النسل، وخفض معدلات المواليد فإن هذا سـوف يلقـي عبئـا علـى الموارد.

يظهر أثر الموارد المائية واضحا سواء في توزيع المساحات المزروعـة أو في توزيع السكان، ذلك أن أكثر جهات الإقليم كثافة هي في الهلال الخصيب (العراق وسهول الشام) والسهول المطلة على بحر قزويـن، وبعـض الأوديـة الزراعيـة الخصيبة في شمال غربي إيران، ثم تقل الكثافة في وسط آسـيا الصغـرى وشـمال سوريا والأراضي المجاورة لدجلة والفرات، وأجزاء من شـرقي وشـمالي إيـران واليمن، أما أقل جهات الإقليم كثافة فهو في القلـب الصحـراوي، أي وسـط شـبه الجزيرة العربية، وأواسط إيران.

وتتعدد القوميات في الإقليم، القومية التركية، والقومية الإيرانية، والقوميـة

العربية مع قوميات اصغر هي القومية الكردية والقومية الأرمنية، والقومية الآشورية ولكن تشملهم جميعا وحدة الحضارة الإسلامية بكل ما تحمله من معان سامية، وحد بينهم القرآن وأسهم أبناء القوميات غير الغربية إسهاما ضخما في الحضارة العربية ذاتها مما يدل على أن العروبة لم تكن عنصرية.

فكان هناك أبو بكر الرازي الذي اشتهر بعلوم الطب والكيمياء والذي ولد في مدينة الري جنوبي طهران، والخوارزمي الذي برز في الفلك والرياضيات وأصله من خوارزم والبلخي الذي كان يعد في العصور الوسطي من اشهر علماء الفلك ولد في بلخ شرقي خراسان (إيران)، والبيروني الذي ولد في خوارزم الذي اشتهر في العلوم الرياضية والفيزياء وابن سيناء الفيلسوف وعالم الطب والرياضة فارسي بدروه، بل والأكثر وقعا أن هناك منهم نفرا منهم كانوا يدافعون عن اللغة العربية، فكان الجاحظ الفارسي صاحب " البيان والتبيين " وكان سيبويه الفارسي صاحب " الكتاب تعبير النحو العربي " وكان عبد القادر الجرجاني صاحب دلال الإعجاز وأسرار البلاغة، حتى لقد ظن البعض أنهم من كثرة إنجازاتهم في الحضارة العربية أنهم عربا، وفي الحق هم مسلمون عاشوا جميعا تحت مظلة الحضارة الإسلامية العربية.

وعاشت في هذه المنطقة الشعوب التي نطلق عليها الشعوب السامية، نسبة إلى سام الذي ورد ذكره في سفر التكوين في التوارة، ولفظ الساميين هي اسم مشترك لتلك الشعوب التي ينتمي إليها الاراميون والآشوريون والكنعانيون ومنهم العبريون (اليهود) والعرب، والتي تتضح قراباتها في لغاتها (*).

فكانت الجزيرة العربية سوريا وفلسطين وأرض الرافدين الموطن التاريخي

(*) مجموعة اللغات السامية هي المجموعة اللغوية الخاصة بالاكاديين أي سكان أرض الرافدين وهي البابلية والآشورية، والمجموعة الثانية هي مجموعة اللغات التي تسمي بالكنعانية لأنه كان يتحدث بها في المنطقة التي تسميها التوراة كنعان، وهي تشمل فلسطين وجزءا من سوريا، وإلى هذه المجموعة تنتمي العبرية، ثم الارامية، انتشرت قديما في سوريا، والمجموعة العربية والتي وجدت قبل عصر الرسول في كثير من النقوش خاصة في اليمن، واستقرت في القرآن والأدب.

للشعوب السامية، ثم انتشرت خارج هذا الإقليم، فبعض جماعاتهم أقاموا بصفة دائمة على الساحل الأفريقي المواجه لليمن، فقبل العصر المسيحي بزمن طويل أخذت قبائل عربية مختلفة تهاجر إلى ذلك الساحل الأفريقي، وانشأوا مراكز تجارية، ثم توغلوا في الداخل وأقاموا فيه، فارضين حكمهم على السكان المحليين، وهذا هو أصل دولة أكسوم القديمة في أثيوبيا.

وانتشر الساميون أيضا خارج وطنهم بطريقة أخرى وهي إقامة المستعمرات، كالفينيقيين الذين أسسوا قواعد في نقط استراتيجية في حوض البحر المتوسط للمحافظة على تجارتهم، فكانت مستعمراتهم في الشمال الأفريقي، وكان هناك انتشار اليهود الذي بدأ قبل تخريب الرومان لبيت المقدس، وانتشر الساميون على نطاق كبير ممثلين في غرب شبه الجزيرة حاملين شعلة الإسلام إلى الشمال الأفريقي، وعبروا إلى الأندلس، وصقلية غربا وإلى الشرق حتى إندونيسيا وجنوبي الصين.

وكما خرجت منه هجرات، أتته هجرات، استقرت وعبرته من شمال شرقي آسيا إلى جنوبها الغربي، وأن كانت الحواجز الجبلية والصحاري خففت من حدة هذه الغزوات بحيث أمكن لسكان الإقليم أن يتشربوها، وأن كانت هناك من الهجرات البشرية الحديثة التي آتته هي التي عرفتها فلسطين، هجرات في النصف الثاني من القرن العشرين، منها هجرات غير مشروعة وذلك بسماح السلطة البريطانية المنتدبة على فلسطين قبل ١٩٤٨ بتدفق الهجرات اليهودية إلى البلاد، رغم احتجاج الفلسطينيين العرب، ثم تدفقت هذه الهجرات بعد اعتراف الأمم المتحدة بقيام إسرائيل، من ثم كان نمو السكان هنا غير طبيعي وغير منتظم، فعلى سبيل المثال تدفق إلى إسرائيل في التسعينيات من القرن الماضي نحو مليون يهودي روسي.

الظروف الطبيعية :

وللحركات التكتونية أكبر الأثر في تشكيل صورة الإقليم الحالية فهو إقليم هضاب وجبال بوجه عام، فتمتد الجبال الالتوائية الحديثة من الشرق إلى الغرب،

وتحصر بينها هضاب الأناضول وإيران وتلتقي في عقدة أرمينيا والبامير، التي ترجع إلى الزمن الثالث، فضلا عن هضبة شبه جزيرة العرب التي تمثل الكتلة القديمة قاعدتها، وإذا كانت الالتواءات هي الغالبة على الإقليم، فلا شك أن الإنكسارات الضخمة أيضا من سماته، ممثلة أصدق تمثيل في أخدود البحر الأحمر، والجبال الانكسارية التي تحده في شبة جزيرة العرب كجبال الحجاز وعسير، فضلا عن الانكسارات التي تصحب بعض الالتواءات في الشمال ويضاف إلى هذا وذاك الطفوح البركانية، وأبلغ تمثيل لها في هضبة اليمن. كما يقع الإقليم أيضا في نطاق الزلازل خاصة في الهضاب الشمالية في إيران والأناضول.

ويتميز الإقليم بسهولة القليلة، فسهوله الساحلية ضيقة بصورة عامة خاصة تلك المطلة على البحر الأحمر، وأن كانت الظاهرة السهلية واضحة في سهول دجلة والفرات والبحر المتوسط في قوس يعرف باسم الهلال الخصيب fertile crescent الجفاف غالب وكذلك التطرف الحراري، والإقليم متطرف في مناخه باستثناء السهول الساحلية، فقد ترتفع درجة الحرارة إلى ٤٠م في الصيف وتنخفض في ليل الشتاء إلى مادون ١٠م خاصة وسط إيران، وقد يرجع هذا التطرف الفصلي واليومي إلى انكشاف الأرض في معظم الأحوال من الغطاء النباتي، كما أن إحاطته بالجبال مما يقلل من المؤثرات المناخية للبحار من التوغل في الداخل. والتالي يقتصر تأثيرها على الجهات الساحلية وبالتالي تؤدي قلة التأثيرات البحرية في الداخل إلى سيادة صفاء السماء.

ولما كان المطر شتويا في معظم الإقليم ومرتبط بأعاصير الرياح العكسية الغربية التي تتكون على المحيط الأطلنطي أو البحر المتوسط، ثم تأخذ طريقها نحو الشرق، من ثم كان صيف الإقليم جافا، ويقل المطر كلما اتجهنا شرقاً حتى تسود الصيغة الصحراوية (أقل من ١٢ سم) على معظم أجزائه، ويتمثل الاستثناء في إستبس هضبة الأناضول وداخلية الشام، وتخرج الجبال عن هذا وذاك فهي صانعة مناخها فمطرها غزير، وهي ظاهرة في جبال بنطس وسواحل البحر الأسود الجنوبية، وكذلك في جبال زاجروس والبرز. وتمثل اليمن ظاهرة فريدة بمطرها

الصيفي، كما أن هناك بعض مناطق متفرقة قليلة يسقط مطرها طول العام، ولها نظامها الخاص بها كشمالي إيران وساحل بحر قزوين وشرقي البحر الأسود.

وإن كان هذا لا يمنع من قلة المطر في بعض المناطق حيث تصل كمية المطر السنوي حوال ١٢ سم، كصحراء بلاد العرب ووسط هضبة إيران ووسط هضبة الأناضول.

الأقاليم المناخية :

١ ـ إقليم الجفاف الشديد أو الإقليم الصحراوي في شبه الجزيرة العربية ووسط الهضبة الإيرانية ووسط هضبة الأناضول، وهو الغالب على الإقليم، لذلك أطلق عليه إقليم الجفاف.

٢ ـ إقليم البحر المتوسط أمطاره شتوية بسبب الأعاصير التي تتكون على المحيط الأطلنطي وتتخذ طريقها عبر البحر المتوسط ويتميز بصيف حار جاف كسواحل غرب الأناضول وسواحل الشام.

٣ ـ إقليم الاستبس حيث تقل الأمطار عن الإقليم السابق ويتمثل هذا النوع في صحراء الشام. وبعض مناطق شبة الجزيرة العربية التي تنمو فيها أنواع من الحشائش تشبه مناطق الاستبس في شماليها.

٤ ـ إقليم موسمي متدهور أي لا يقارن بموسمي الهند ويتمثل في اليمن وحضرموت، أما عمان فأمطارها شتوية.

٥ ـ بعض مناطق ذات نظام خاص تلك التي يسقط فيها المطر طول العام، وهي أجزاء متفرقة ويمكننا تمييزها في شمال إيران وساحل بحر قزوين وشرق البحر الأسود.

نباته انعكاسا لمناخه :

ونظراً لارتباط الحياة النباتية بالظروف المناخية وغلبة الجفاف، فلابد لنباتات الإقليم الطبيعية أن تتراوح بين الصحراوية، ونباتات البحر المتوسط، وكلاهما مما يتحمل الجفاف، بأن تتم دورتها الحيوية في مدة قصيرة متفادية فصل

الجفاف أو النباتات الحولية والعشبية كالقمح والشعير (البري)، أو تخزن الماء في أوراقها كالصبير أو تتحول أوراقها إلى شوكيات حتى يقل النتح منـــها، أو تضـــرب بجذورها في الأرض بحثا عن الماء كالنخيل، أما نباتات الجبال فتختلـــف مـــا بيـــن الغابات المختلطة وتظهر على السفوح المنخفضة في المناطق الجبلية حتى ارتفـــاع ١٠٠٠ متر، وفي غابات المناطق المعتدلة الباردة خاصة التي تغطي السفوح المطلة على بحر قزوين وسفوح جبال بنطس وتتنوع أشجارها من البلـــوط إلـــى البنـــدق والفواكه، والزان، والجوز.

والخلاصة أن هذا الإقليم يمثل مناخاً ونباتا إقليم انتقال بين المداريات فـــي جنوبه والمعتدلات الباردة إلى شماله، لذلك فهي تستمد خصائص صيفها من الجنوب المداري وخصائص شتائها من الشمال بصورة عامة، وإن كانت التأثيرات القاريـــة الآسيوية واضحة في معظمه، الرياح الباردة الجافـــة مـــن وســـط القـــارة شـــتاء والموسمية الصيفية الممطرة على الطرف الجنوبي الغربي لشبة جزيرة العرب.

ويمكن إيجاز الأقاليم النباتية في :

١ ـ نباتات البحر المتوسط: وهي محدودة التوزيع لأنها لا تظهر إلا فـــي المناطق التي تتمتع بمناخ البحر المتوسط بالمعنى الصحيح، ولذا تظهر في فلســطين ولبنان وسوريا وجنوب الأناضول وسفوح الجبال المواجهـــة لأعـــاصير الأطلنطـــي وينمو في هذا الإقليم الزيتون الذي يحتل مكانة كبيرة لقدرته على مقاومة الجفاف.

كما نجد أنواعاً ليست من الإقليم كالموالح، ولكنها نجحت نجاحـــاً عظيمـــاً، كذلك النباتات دائمة الخضرة في المناطق الجبلية. وأنواع الأبصال حيث نجحت علـــى نظام المطر الشتوي وظروف التضاريس التي سبق وصفها.

٢ ـ نباتات الاستبس: وهو نوع من العشب له صفات مميزة لنباتات ذلـــك الإقليم حيث يتبع الأمطار الشتوية ويتحمل التباين في درجة الحرارة، ويظـــهر فـــي المناطق التالية: ـ

* وسط الأناضول. * الأجزاء الداخلية من الشام.
* غرب إيران وشمال تركستان.

ونباتات هذا النطاق تنمو بسرعة وموسمها قصير للغاية ويختلف المنظر العام للإقليم من فصل إلى آخر. ونطاق الاستبس هو نطاق الغزوات والهجرات البشرية العظيمة في العصور التاريخية في هذا الإقليم.

٣ ـ نباتات الصحراء في :

- الصحراء الممتدة من الأردن حتى غرب الرافدين في شبة الجزيرة العربية.
- الصحراء الممتدة في جزء كبير من الهضبة الإيرانية وبخاصة الجزء الجنوبي والأوسط.

ونباتات هذا النطاق كثيراً ما تختفي وتظهر الصحراء الرملية الصخرية، وقد ينمو العشب فيي بعض المناطق بعد سقوط أمطار الشتاء القليلة.

وقد تنمو بعض الأشجار ولكن هذه تعتبر مناطق شذوذ إلى حد كبير حيث تتفق مناطق الآبار والينابيع أو بمعني آخر مناطق الواحات.

٤ ـ نباتات الجبال: ويمكن أن نقسمها إلى أقسام أربعة تتمثل في : ـ

- الغابات المختلطة وتظهر على السفوح المنخفضة في المناطق الجبلية حتى ارتفاع ١٠٠٠ قدم.
- النباتات الألبية وهي غذاء صيفي هام للحيوانات أثناء الهجرة الفصلية كذلك التي يقوم بها سكان تركستان وأرمينيا والأناضول.
- الغابات التي تغطي سفوح الجبال المطلة على بحر قزوين وهي غابات كثيفة تقل مع سقوط الأمطار الغزيرة، ودرجة الحرارة المعتدلة، وأهم أشجارها البلوط والبندق والكمثري والفواكه، ومن أهم مميزاتها وجود نباتات متسلقة حول هذه الغابات وتعتبر بقايا غابات كانت أكثر اتساعا مما هي عليه الآن.
- غابات جنوب البحر الأسود: والمناخ السائد في هذه المنطقة يتميز بالرطوبة والدفء، وأهم أشجارها الزان والبلوط والجوز، كما نجد بعض النباتات المتسلقة.

٥ ـ نباتات المستنقعات: وهي نباتات المستنقعات التي تنمو عند المجاري

الدنيا للأنهار كتلك التي توجد في مساحات كبيرة جنوب العراق. وأهم أشجارها الصفصاف، كما نجد حول هذه المستنقعات غابات واسعة من النخيل (المزروع) وكانت التمور تمثل أهم صادرات العراق قبل ظهور البترول.

نشاط الإنسان في غير البترول :

وفيما قبل البترول كان الإقليم إقليم رعي بالدرجة الأولى الإبل في المقام الأول ومعها الأغنام والماعز، أما الزراعة فهي جزرية داخل إطار الرعي، مطرية في أطرافه الشمالية اعتماداً على المطر الشتوي، وصيفية في أطرافه الجنوبية (اليمن)، أما الفيضية أي زراعة الري، فتمثل أصدق تمثيل في أراضي الرافدين (العراق)، أما النمط الزراعي الثالث فهو زراعة الواحات المتناثرة في بقعة الصحراء الشائعة.

ونظرا لأنه إقليم انتقالي بين المعتدلات البادرة والمدارية كانت محاصيله الزراعية (*) تشكل مركبا من المحاصيل الانتقالية أي التي تجمع بين خصائص المحاصيل المدارية والباردة، الحبوب كالقمح والشعير (كانت برية في الإقليم) والذرة والأرز، ومن فواكه الإقليم التين والزيتون، بينما الحمضيات كالبرتقال واليوسفي والليمون، وأن كان أصلها من الإقليم الصيني فقد نجحت فيه أيضا جنبا إلى جنب مع الموز والبن المداريان إلى الجوز والفستق والبندق تخصص المعتدلات الباردة. ومن المحاصيل الزراعية القطن الذي يزرع في بقاع متفرقة في الإقليم.

التصريف المائي :

تضافر المناخ الجاف مع ظروف التضاريس على إعطاء التصريف المائي صورته من حيث الكم ونوع التصريف، فصيفه بجفافه في مساحات واسعة تجعل موارد الماء محدودة، ثم كان للتضاريس المرتفعة سواء في جبال بنطس وطوروس، وزاجروس والبرز، وهضبة اليمن أثرها في اعتصار بخار الماء وسقوطه أمطارا

(*) من المحاصيل التي كانت نشأتها الأصلية في جنوب غربي آسيا قبل أن تنتشر في بقية أنحاء العالم بعض أنواع من القمح، الشعير، الذرة الرفيعة، والفول، والكتان، التفاح والكروم والبطيخ.

على السفوح المواجهة للرياح، على حين أن الهضاب المحصورة بينها تقع في ظل المطر، وكأنها أحواض داخلية جافة أو شبه جافة، كالأناضول، وهضبة إيران.

ويمكن إيجاز التصريف المائي فيما يلي : ـ

- التصريف الخارجي : أي الذي يصب في البحار، كما هو الحال في نهري دجلة والفرات اللذان يصبان في الخليج العربي، ويستفيدان من ارتفاع هضبة أرمينيا ـ حيث المنابع ـ وبالتالي تتكون الثلوج شتاء، وتذوب في الربيع وأوائل الصيف، كما تغذيها أيضا بعض الروافد خاصة نهر دجلة الذي تأتيه روافد من سفوح زاجروس. أما الأنهار الأخرى دائمة الجريان ذات التصريف الخارجي فتوجد في الأناضول وجبال البرز شمالي إيران كذلك في سوريا والجهة الغربية المطلة على ساحل البحر المتوسط.
- التصريف الداخلي أي لا تنتهي أنهارها إلى بحار مفتوحة مثل الهضبة الداخلية في إيران، ولعلها أوسع مناطق التصريف الداخلي في الإقليم وهي عبارة عن حوض داخلي في موقعه لإحاطتها بالجبال من جميع جوانبها، وتبلغ مساحتها أكثر من نصف مساحة إيران، ولعزلتها وكثرة وجود البحيرات الضحلة والأحواض المغلقة، والتكوينات الملحية، ما جعل الإقليم غير جاذب للسكان إلا في مواضع معينة، وتتمثل تلك الوحشة الهائلة في صحراء الكفير العظمي.

وتشبه هضبة الأناضول الهضبة الإيرانية في كثير من الوجوه، وإن كانت أقل مساحة، فالجبال محيطة بها باستثناء الغرب، وتتكون فيها أيضا البحيرات الملحة، وتعتبر قليلة السكان وتعرف في تركيا باسم أوزو OZO، وهناك التصريف الداخلي لنهر الأردن في البحر الميت.

الفصل الثاني

دول عالم جنوبي غربي آسيا (*)

تركيـــــا" آسيا الصغرى "

آسيا الصغرى اسم على مسمى، فالاسم تصغير لآسيا سواء بالحجم، وصعوبة الاختراق الداخلي، والأطارات الجبلية التي تحصر بينها فيها هضاب أو بالقارية في معظمها وما يتبع ذلك من تطرف مناخي وجفاف شديد في الداخل.

وتبدو آسيا الصغرى كجسر أرضي ضخم يصل بين آسيا وأوربا خاصة وأن تركيا تتكون من :

آسيا الصغرى (الأناضول) بالإضافة إلى جزء صغير من أوربا (تراقيه)، ويفصل بين الجانبين الآسيوي والأوربي بحر مرمرة ومضيقا البسفور والدردنيل، وهي ممرات مائية هامة تصل بين البحرين الأسود والمتوسط. وتأخذ الأرض التركية بصفة عامة شكل مستطيل طوله ١٤٥٠ كم٢ من الشرق إلى الغرب، وعرضه ٥٠٠ كم من الشمال إلى الجنوب. وتبلغ مساحتها نحو ٧٨٠,٥٨٠ كم٢، حدودها من الناحية الأوربية مع كل من بلغاريا واليونان، بينما تجاور من الناحية الآسيوية كلا من روسيا الاتحادية وإيران وسوريا، والعراق. وتبلغ نسبة الجزء الأوربي من تركيا ٢% من مجموع مساحة البلاد بينما نسبة الجزء الآسيوي (الأناضول) ٩٨% من مجموع المساحة.

وتتمتع تركيا بموقع استراتيجي هام لأنها تشرف على بحار هامة وتتحكم في مضايق تربط بين هذه البحار، فهي تطل على البحر الأسود من الشمال، بينما تطل على بحر إيجه من الغرب، وعلى البحر المتوسط من الغرب والجنوب. وهي معبر بين أوربا وآسيا. وتم افتتاح جسر يعتبر الرابع من حيث الطوّل بين الجسور المعلقة في العالم. ويربط هذا الجسر بين الجانبين الأوربي والآسيوي من تركيا

(*) يرجع لبقية دول الإقليم وهي دول الشام، والعراق، وشبه حزيرة العرب إلى كتابنا الوطن العربي.

ويمتد فوق مضيق البسفور، كما تعد تركيا البوابة البحرية الجنوبية لروسيا الاتحادية نحو المياه الدفيئة.

الفزيوغرافيا :

تؤلف المرتفعات أكثر من ٨٠% من مساحة الأرض التركية، وتتركز السهول على طول سواحل البحار وفي تراقيه (الأراضي التركية الأوربية). وتمثل هضبة الأناضول قاعدة بالنسبة للسلاسل الجبلية من حولها. وتشغل هذه الهضبة نحو ثلث مساحة تركيا تقريباً، وتحيط بالهضبة سلسلتان من الجبال الإلتوائية الحديثة: إحداهما سلسلة جبال بنطس في الشمال، والثانية سلسلة جبال طوروس في الجنوب.

أ ــ وتتألف جبال بنطس من مجموعة سلاسل متتابعة من الجبال الإلتوائية، تمتد على محاور عامة من الغرب إلى الشرق، وقد تتفرع عن المحاور الرئيسية ألسنة جبلية في اتجاه البحر الأسود. وتوجد ثمة ثغرات نشأت نتيجة الإنكسارات، وأتاحت لبعض الأنهار أن تنساب خلالها في طريقها نحو البحر الأسود. وهكذا يبدو السهل الساحلي المطل على البحر الأسود في شكل جيوب سهلية متقطعة بفعل الجبال الممتدة نحو البحر الأسود، كما تبدو سلسلة جبال بنطس على شكل كتل جبلية متقطعة نتيجة الثغرات التي تخترقها أودية الأنهار. ويتراوح ارتفاع جبال بنطس بين ٨٠٠ ، ١٠٠٠ متر فوق سطح البحر.

٢ ــ أما سلسلة جبال طوروس فهي أقل تضرساً وأكثر ارتفاعا من جبال بنطس (بين ١٠٠٠ ، ١٤٠٠ متر). كما أنها أكثر استمراراً وارتباطاً فيما بينها على طول امتداد محورها العام من الغرب إلى الشرق. وتنحدر بشدة نحو السهل الساحلي الضيق المطل على البحر المتوسط، وتخرج منها بعض الألسنة الجبلية الممتدة نحو البحر مما يقطع أوصال السهل الساحلي ويجعله ضيقاً في الجهات التي تتقدم فيها الجبال نحو البحر.

وتتلاقي سلاسل جبال بنطس وطوروس في أقصي الشرق، وتلتف حول

القطاع الشرقي لهضبة الأناضول. حيث تكون الكتلة الجبلية ضخمة شديدة التضوس والتعقيد، المعروفه باسم هضبة أرمينيا. وترتفع هذه الكتلة الجبلية إلى أكثر من ٣٠٠٠ متر في المتوسط عن سطح البحر.

وتنتشر مظاهر البركنة هنا وهناك ولكنها تتركز بصفة أساسية في عقدة أرمينيا فهنا مثلا قمة جبل أرارات (٥٧٠٠ م) في أقصى الشرق، وتمثل واحداً من البراكين الحية، وتنحدر هذه الكتلة الجبلية نحو الشرق والجنوب الشرقي وتشتمل على المجاري العليا لكل من نهري دجلة والفرات، كما تعرف تركيا أيضا الزلازل بين الحين والحين.

٣ ــ هضبة الأناضول وتتكون من مجموعة من الهضاب الداخلية التي تقطعت بفعل عوامل التعرية المائية، ويتراوح ارتفاعها ما بين ٨٠٠م في الأجزاء الغربية و ٢٠٠٠م في الأجزاء الشرقية، وإذا كانت قمة جبل أرارات هي أعلى القمم الجبلية في الشرق، فيقابلها في الغرب قمة جبل أرسياس أو أرجايوس (٣٩٠٠م)، وإلى جانب القمم الجبلية، توجد بكثرة في هضبة الأناضول الأحواض والسهول المغلقة التي تحيط بها التلال. وبعبارة أخرى فإن الهضبة ذات أشكال أرضية غير منتظمة. وتتكون في بعض الأحواض الداخلية بحيرات بعضها مالح والآخر عذب، وأهم هذه البحيرات بحيرة وان التي ترتفع ١٧٢٠م عن سطح البحر، وتبلغ مساحتها ٤٠٠٠ كم٢. وهناك بحيرات أخرى مثل بحيرة الملح (طوز)، وبحيرة بيشهر، وبحيرة أجريدير وهويران.

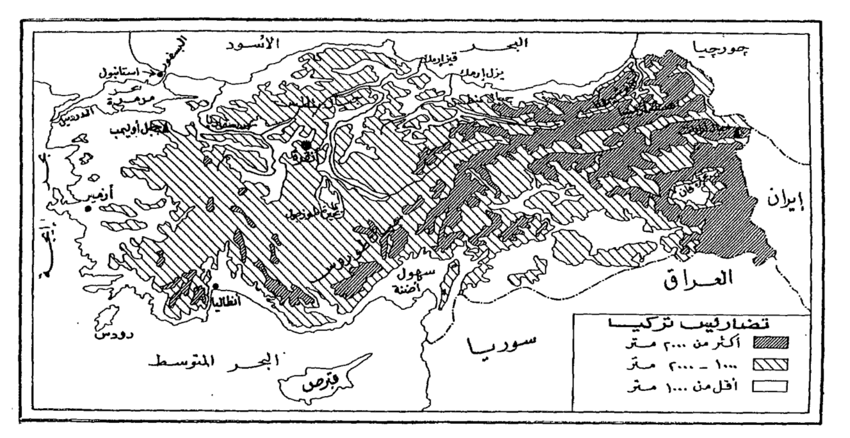
وتغطي أجزاء من هضبة الأناضول مسطحات من " اللافا " حديثة التكوين، لدرجة أن التربة لم تتكون بعد، كما تنتشر الصدوع في بعض الجهات، وبخاصة في الجزء الغربي حيث تكوّن مضيقا البسفور والدردنيل نتيجة هبوط الأرض على طول الإنكسارات وانغمارها بمياه البحر. أما ساحل بحر إيجه بجزره وخلجانه فهو ناتج عن حدوث انكسارين في اتجاهين مختلفين عملا على فصل اليابسة إلى كتل منعزلة ذات أشكال مستطيلة، وقد هبطت الأجزاء السفلي وغمرتها مياه البحر، ويمكن أن نعزو تكوين ساحل البحر الأسود إلى هبوط حدث على طول مجموعة من

الإنكسارات. ولم تتوقف الحركات التكتونية على طول هذه الصدوع والتشققات الأرضية حتى يومنا هذا، وهذا يفسر حدوث الزلازل والانزلاقات الأرضية المستمرة في شمال تركيا وغربها.

وفي حين تنحدر الهضبة انحداراً شديداً بحوافها الجبلية نحو الشمال والجنوب، فإنها تنحدر تدريجياً نحو الغرب حيث تجرى مجموعة من الأنهار عبر السهول الساحلية الغربية تصب في بحر إيجة، وتساعد أودية هذه الأنهار على تيسير مدّ الخطوط الحديدية والطرق الرئيسية بين قلب الهضبة وبين الجبهة الساحلية الغربية، وأهم الأنهار التي تجري من الهضبة عبر إحدى الثغرات المنشورة في جبال بنطس نهر كيزل ارماك الذي يصب في البحر الأسود. وتنبع بعض الأنهار من هضبة أرمينيا في الشرق مثل نهري دجلة والفرات فتجري أوديتها العليا في الأراضي التركية ثم تواصل سيرها إلى سورية والعراق.

٤ ـ يعد لواء الإسكندرونة الذي يتبع تركيا من الأقاليم الطبيعية المتصلة بإقليم جبال العلويين في سوريا، فسواحل الإسكندرونة هي امتداد لسواحل اللاذقية شمالاً، وجبال أمانوس ما هي إلا تكملة شمالية لجبال العلويين، وكلاهما ظهير لميناني الإسكندرونة واللاذقية، ويجري نهر العاصي في لواء الإسكندرونة قادما من سوريا حيث ينحني نحو الغرب فيصب في البحر المتوسط، وتقع عليه مدينة انطاكية.

وكان لظروف المناخ هذه أن أصبح لتركيا كما سنرى أيضا لإيران فيما بعد، تصريف مائي خارجي، من المرتفعات نحو البحر سواء الأسود ابتداء من يزل ارماك، وقيزل إرمك، وسقاريا إلى سيماف وويوك، مندريس في بحر إيجه، إلى سيهان وجيهان في البحر المتوسط، وكذلك لها صرف داخلي في قلب الهضبة، فهناك الحوض الداخلي الذي تقع فيه البحيرتان توز، وإيجيردير (بحيرتان ملحيتان)، كما تنتشر السبخات والمسطحات الملحة.



تضاريس تركيا
أكثر من ٢٠٠٠ متر
١٠٠٠ ـ ٢٠٠٠ متر
أقل من ١٠٠٠ متر
البحر الأسود
جورجيا
إيران
العراق
سوريا
البحر المتوسط
قبرص
رودس
استانبول
بحر مرمرة
الدردنيل
جبل أوليمب
أزمير
أنقرة
أنطاليا
سهول أضنة
قيزل إرماك
يزل إرماك

شكل رقم (٤٢)

٥ ــ أما تراقيه فتتألف من جهات سهلية في الوسط وجبلية في الشمال والجنوب، ويجري فيها نهر أرجين وروافده المنحدرة من الشمال والجنوب، وهو بدوره يصب في نهر ماريتزاقبل أن يصب في بحر إيجه، وتمتد جبال استرانكا في تراقيه بشكل مواز لساحل البحر الأسود، كما تمتد جبال نوكير في الجنوب.

مناخ ونبات :

تتميز تركيا بمناخها القاري حيث تعزل الجبال المؤثرات البحرية إلا في الغرب، وإذا كانت القارية من سماتها، ويظهر هذا بصفة خاصة في انخفاض حرارتها شتاء إلى درجة التجمد وطول فترة الثلوج، والصقيع خاصة في أجزائها الشرقية والتي تعرف أحيانا " بسيبيريا تركيا، على حين ترتفع الحرارة صيفا إلى ٢٦م.

ويسود مناخ البحر المتوسط بمطره الشتوي على سواحل تركيا خاصة الجنوبية والغربية نتيجة مرور أعاصير الرياح العكسية الشتوية.

ويؤثر نظام التضاريس في توزيع المطر، فتظهر المفارقات، فهناك التركيز الواضح للمطر على السواحل والجبال التركيه حتى ليبلغ أقصاه على القسم الشرقي لساحل البحر الأسود بين ٥٠، ٧٠ سم.

أما إذا دخلنا قلب الهضبة ازداد الجفاف وتراوح بين ٢٥، ٤٠ سم، من ثم كان الأستبس هو الظاهرة النباتية الأساسية على الهضبة فالأرض خالية الأشجار إلا في مواضع محدودة، وتكتسحها العواصف الترابية صيفا التي وتعرف برياح المتلمي Merremi الحارة الجافة، على حين تغطي الأشجار المعتدلة الباردة السفوح الجبلية خاصة السفوح المطلة على السواحل حيث تغزر الأمطار، فيظهر البلوط والجوز والشربيين وغيرها.

البشر :

يبلغ عدد سكان تركيا نحو ٦٥ مليون نسمة أي ما يقرب من عدد سكان

إيران، وعدد سكان مصر، ويغلب على الشعب التركي المزج بين عناصر البحر المتوسط والعنصر الأرمنى، وتزداد نسبة العنصر الأرمنى كلما اتجهنا شرقا نحو حدود تركيا مع روسيا وإيران، كما يسكن القسم الجنوبي الشرقي من البلاد العنصر الكردي، ويتراوح عدد الأكراد بين ٣ ، ٥ مليون نسمة، وهناك عناصر أخرى اقل عددا كالعناصر العربية خاصة في لواء الإسكندرونة الذي كان يتبع سوريا، ثم أعطاه الفرنسيون لتركيا بعد احتلالها لسوريا في بداية الحرب العالمية الثانية، وهناك الشركس في الشمال الشرقي، وقد هاجر أجدادهم إلى تركيا فراراً من اعتداءات القياصرة الروسي عليهم لتمسكهم بإسلامهم، فأقطعهم السلطان عبد الحميد أراضى في سوريا والأردن، وهناك الأقلية اليونانية في الغرب وبصفة خاصة أزمير. كما أن هناك نحو ١,٢٥ مليون تركي مهاجرون إلى الخارج معظمهم في أوربا وخاصة في ألمانيا.

هذا وينتمي الأتراك العثمانيون الذين أرسوا الدولة العثمانية إلى العنصر التركي أو المغول الغربيون. وإذا كانت اللغة التركية هي السائدة، فتسمع الكردية في الجنوب الشرقي على الحدود مع العراق وسوريا، وأصبحت لغة الأرمن واليونان، لا تسمعان إلا في استنبول، هذا وكانت اللغة التركية تكتب بالحروف العربية، ولكن كان تحويلها إلى الحرف اللاتيني عام ١٩٢٨ جزءا من سياسة كمال أتاتورك (في اعتقاده) لتحويل تركيا إلى دولة أوربية حديثة. ويدين بالإسلام معظم الشعب التركي على المذهب السني، من ثم لا توجد لديهم مشكلات خاصة بالدين.

توزيع السكان انعكاس لظروف الجغرافية الطبيعية :

ويتركز السكان بصفة خاصة في الأطراف، ويقل كلما اتجهنا نحو الداخل أي إلى قلب هضبة الأناضول، وليس هذا إلا ترجمة وانعكاسا لظروف الجغرافية الطبيعية أرضا، ومناخا، فالمطر أغزر على الأطراف والقارية أشد على الهضبة، وحول الهضبة الداخلية المرتفعات الغزيرة المطر والسهول التي تطل بها على السواحل، بل والطريف أن الثروة المعدنية في معظمها على الأطراف الفحم والحديد والكروم، من ثم كان المعمور يتفق في انتشاره مع السفوح المطلة على البحر

والسهول الساحلية حيث سهولة السطح، وجودة التربة، وغزارة المطر، والموقـــع، وأن كان ليس معنى هذا أن هذا النطاق المحيط بالهضبة عبارة عن عمران متصـــل، بل هناك انقطاع هنا وهناك بحسب الظروف الطبيعية، وفي نفس الوقـــت يلاحـــظ أن الأجزاء الغربية من تركيا المطلة على بحار أيجه ومرمرة، والبحر المتوســـط أكـــثر سكانا من القسم الشرقي للبلاد لغناها بالإنتاج الزراعي والصناعي وانفتاحـــها علـــى الخارج.

الأتراك بين الريف والحضر :

إذا قلنا أن الكثافات السكانية المرتفعة تمتد في نطاق حول الهضبة، كذلـك الحضر، وقد ازدادت نسبة الحضرية ومازالت على حساب الريف، فكانت ٢٥% عـام ١٩٤٥، ارتفعت إلى ٥٠% عام ١٩٩٩، وهي زيادة كبيرة وناتجه عن توزيـع الثروة والدخل المتفاوت، خاصة ذلك المنخفض في شرقي البلاد، كما أن هناك من هربـــوا من جحيم حرب الاكراد في جنوبي شرقي البلاد.

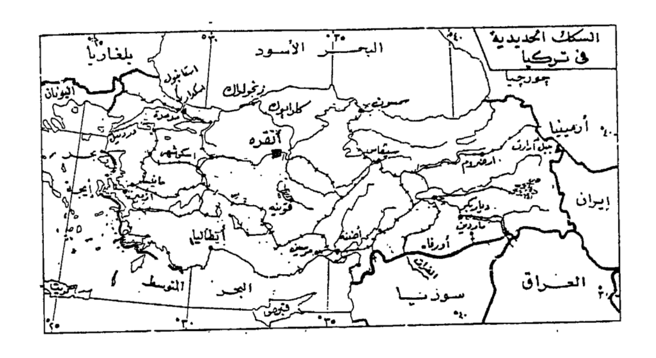
وتعتبر استانبول المدينة الأولي بكل المقاييس، فهي ثلاث أضعـــاف أنقـــرة سكاناً، إذ يبلغ عدد سكانها نحو ١٠ مليون نسمة، على حين أن أنقرة العاصمة التي انتقل إليها مركز الحكم عام ١٩٢٣، يبلغ عدد سكانها نحو ٣ ملايين نسمة، أي ثلث عدد سكان المدينة الأولي، وكان اختيارها لأسباب سياسية واســـتراتيجية بالدرجـــة الأولي رغم أنها تقع في وسط رعوى، ذلك أن الموقع بضمن لها الحمايـــة عكـــس استانبول التي كانت عاصمة الدولة العثمانية فمن السهل وقوعها في أيـــدي القـــوى البحرية الأوربية، كما أن أنقرة كانت عاصمة الحيثييـــن، أي أنـــها رمـــز للتـــاريخ القومي، ومن أجل إنعاشها اقتصاديا أقيمت فيها وحولها كثير من الصناعات.

وأزمير بسكانها الذين يزيدون على ثلاثة ملاييـــن نســـمة، كـــانت تعتـــبر المدينة الثانية حتى منتصف الستينيات، فهي بدورها مرفأ جيد على مصب خليجـــي غارق، مما يعطي أمانا للسفن، وتعتبر أزمير هي مركز الإقليم الغربي مـــن هضبـــة الأناضول بصفة عامة، كما كان لموقعها بين واديين كبيرين في الإقليم وادي جديـــز، ووادي مندريس ما أعطاها ميزة سهولة الاتصال بقلب الهضبة، ويغلب عليها النشاط

التجاري بعامة، مصدرة للفاكهة من العنب والتين والزيتـــون والشــعير والزيــوت النباتية والجوز واللوز والبندق، وأخيراً وليس آخراً الأفيون، ولما كانت في نهايـــة الهضبة، فهي تصدر أيضاً منتجات الهضبة الرعوية ممثلة فـــي الصـــوف والجلـــود واللحوم والسجاد والملابس الصوفية، في مقابل حركة عكسية ممثلـــة فـــي الآلات. ومن ثروة البحر تصدر الأسماك والإسفنج وتقوم بها كثير من الصناعـــات كتكريـــر البترول، والصابون والمنسوجات. أما أضنه التي يبلغ عدد سكانها مليون نسمة فهي مركز إقليم سيهان، وتقع على طريق قديم بين آسيا الصغـــرى وســـوريا والعـــراق، وتعتبر وظيفيا أشبه بأزمير في حركتها التجارية، وان كانت لبعدها عن البحر بنحـــو ٤٠ كم فلابد وان تشحن سلعها إلى ميناء مرسين لأن نهر ســـــيهان غـــير صـــالح للملاحة، إلا لمسافة قصيرة حتى أضنه.

الزراعة :

تركيا قطر زراعي تقليدي، تسهم الزراعة في تشغيل ٣٦% مـــن القـــوى العاملة. وبالرغم من الاعتماد الكبير على الزراعة فإن هذا القطـــاع لـــم يســـهم إلا بنسبة ١٧% فقط من الإنتاج القومي وأخذت مساحة الأرض الزراعية تتزايد بصورة مستمرة حتى أصبحت نحو ثلث المساحة الكلية للبلاد. ومعظـــم المـــزارع التركيـــة صغيرة المساحة أقرب إلى الزراعة العائلية، حيث يبلغ متوسط حجم المزرعة نحـــو ٢٠ فدانا، وتكفي البلاد نفسها من المواد الغذائية تقريبا، فضلا عن التصدير، وتمثـــل الصادرات الزراعية نحو ٢٠% من مجموع قيمة الصادرات.



شكل رقم (٤٣)

وتشغل الحبوب حوالي نصف المساحة المزروعة، ويعد القمح أهم محاصيل الحبوب إذ يمثل أكثر من ٦٠% من مجموع إنتاج الحبوب، وتتركز المنطقة الرئيسية لزراعته في وسط هضبة الأناضول، غير أن إنتاجه يتذبذب تبعاً للأمطار.

ويشغل الشعير والجودار والشوفان مكاناً هاماً أيضاً إلى جانب القمح في وسط الأناضول، بينما تزرع الذرة في الأقاليم الساحلية للبحر الأسود وبحر إيجه، وتزرع محاصيل البقول في ظهير أزمير. أما الأرز يزرع في جهات متفرقة في الجنوب. ويكفي إنتاجه بل وتمثل قيمة صادراته في السنوات الأخيرة ما معدله خمس مجموع قيمة الصادرات التركية. وينتج التبغ الجيد في عدة مناطق أهمها: منطقة بحر إيجه، وساحل البحر الأسود. ومنطقة مرمرة ــ تراقيا، وتعد منطقة سمسون من أشهر مناطق زراعة التبغ على ساحل البحر الأسود. ويصدر معظمه إلى الولايات المتحدة وأقطار أوربا الشرقية. كما نجحت زراعة بنجر السكر زراعيا بحيث غطى إنتاج السكر الاستهلاك المحلي. وإلى جانب ما ذكرنا من حبوب وقطن وتبغ تشتهر المنطقة الساحلية لبحر إيجه بالمحاصيل المتنوعة للأشجار المثمرة وبخاصة العنب، والتبن، والزيتون، وللزبيب، وللتين المجفف أهمية في الصادرات، وتتصدر تركيا دول العالم بالنسبة لإنتاج الجوز الذي يزرع في مساحات واسعة من سواحل البحر الأسود حول طرابزون. ويزرع الشاي خاصة حول رايز في الجزء الشرقي من سواحل البحر الأسود، وتنتج تركيا بذور الزيت بأصنافها الرئيسية المختلفة كعباد الشمس وبذور القطن والسمسم وبذور الكتان، وتشتهر تركيا بزراعة نبات الأفيون حيث الجفاف في وسط وغرب الهضبة. وتنتج تركيا منه نصف حصة العالم القانونية (المشروعة) وله شهرته فهناك أفيون قره حصار، وأفيون قونية، وإذا كان منه منا يصدر قانونيا لاستخدامه طبيا لصناعة المورفين، فإن الكثير منه يهرب أيضا بطرق غير شرعية.

هذا وتأمل تركيا أن تزيد المساحات الزراعية بنحو ١٦ مليون فدان بعد مشروعات السدود التي أقامت بعضها ومازال البعض الآخر قيد البحث على نهري دجلة والفرات.

الرعي :

ترتبط تركيا ارتباطاً حتمياً بالرعي والرعاة، تاريخياً هي من بيئات الرعي التقليدية، وكان للرعي بحكم ظروف البيئة الطبيعية من تضاريس ومناخ ونبات دور

كبير بها. وقد تقلص دور الرعي في العصر الحديث، مع سياسة الدولة الحديثة في تثبيت وتسكين الرعاة. ومع ذلك يظل الرعي يحتل للآن مكاناً هاماً، فيسود في المناطق الجبلية، ويتراوح ما بين الترحل الكامل ونصف الترحل، كما يعرف الحركات الفصلية الرأسية في مناطق كثيرة. وهو كذلك يدخل إلى حد ما في الاقتصاد الزراعي الحديث على شكل الزراعة المختلطة، مثلما يدخل في سوق التصدير حيا أو جلودا أو صوفاً. فضلاً عن أنه خامة لصناعة وطنية تقليدية متوطنة، ويكفي الإشارة إلى قيمة الرعي في الاقتصاد، بإن تركيا تتفوق على كل دول البحر المتوسط في إنتاج الصوف.

والرعي هنا له ملامح الرعي الجاف لا الرطب، والأغنام من نوع كرمان الذي يربي من أجل لحمه وصوفه. ولكن هناك أيضا المارينو من أجل الشعر. ولشعر ماعز أتجورا (نسبة إلى أنقرة) الحريري في الأناضول شهرة فائقة ويعرف بالموهير، وتعد تركيا المنتج الثاني له في العالم لهذا النوع.

مشروع جنوب شرقي الأناضول GAP

- لم يكن استغلال مياه نهر الفرات يثير أية مشكلة في الماضي نظراً لوقوع النهر برمته. من منبعه إلى مصبه داخل أراضي دولة واحدة هي الإمبراطورية العثمانية التي يفترض فيها حماية مصالح كافة المنتفعين والمستغلين لمياه هذا النهر في المناطق والولايات المتاخمة له. ولم تظهر بوادر المشكلة إلاّ في أعقاب انتهاء الحرب العالمية الأولي وتفكك الإمبراطورية العثمانية، ونشوء دول جديدة امتلكت إحداها وهي تركيا الحالية المجرى الأعلى للنهر من منبعه واحتكرته، وحصلت الثانية وهي سوريا على المجرى الأوسط منه وبقي المجرى الأسفل حتى المصب من نصيب العراق. وبذلك تغيرت ظروف هذا النهر التاريخي العريق وتحول من نهر محلي إلى نهر دولي. ولم يعد استغلال مياهه من مسؤولية واختصاص دولة واحدة، إنما تتقاسم مياهه عدة دول تتباين مصالحها. وصار لا بد من تأمين مصالح دول المجرى الأسفل، وتأمين احتياجاتها اللازمة من المياه لأنها ستكون المتضرر المباشر والرئيسي لأي استغلال غير عادل لمياه النهر يفتقد للتنظيم والتنسيق خاصة والكل يعلم أهمية نهر الفرات للعراق ولبرامجه التنموية وخاصة الزراعية منها.

- ينبع نهر الفرات من مرتفعات جبلية وعرة تقع شرق تركيا. يبلغ طـول مجـرى النـهر داخـل الأراضي التركية حوالي ٤٢٠ كم. ثم يدخل إلى الأراضي السورية لمسافة ٨٦٠ كم. وتصب فيه ثلاث روافد هي السلجور والبليخ والخابور. وبعد ذلك يدخل الأراضـي العراقيـة عنـد مدينـة حصيبة ويستمر في الجريان داخل الأراضي العراقية حيث يبلغ طول مجراه حوالي ١٢٠٠ كـم أ ي بنسبة ٥٢% من مجمل طوله الكلي. ويعيش فوق الأراضي التي تعتمد عليه نحو ثلث سـكان العراق.

- خططت تركيا لمشروع أطلقت عليه اسم GAP أو مشروع جنوب شـرق الأناضول بغـرض النهوض بالإقليم الجنوبي الشرقي المتخلف من البلاد.

- هو مشروع متعدد الأغراض والجوانب ويشمل ١٢ مشروعا أساسيا للري وإنتاج الكهرباء عـن طريق إنشاء ٢١ سدا منها ١٢ سدا على الفرات و ٤ سدود على دجلـة، وإقامـة ١٧ محطـة كهربائية على النهرين وروافدهما فضلاً عنـه مشـروعات أخـرى فـي قطاعـات الزراعـه، والصناعة، والمواصلات، واتصالات، والصحة، والتعليم.

- يغطي المشروع ٦ محافظات بجنوب شرق تركيا مساحتها ٧٣٠,٨٦٣ كيلو مترا مربعا. يوفـر المشروع التركي المياه اللازمة لزراعة وري ٣,٧ مليون فدان في المناطق الجنوبيـة الشـرقية بما يعدل خمس مساحة الأراضي الزراعية الحالية في تركيا. كما يوفر إنتـاج ٢٧ ألفـا و ٧٣٨ مليار كيلووات / ساعة من الطاقة الكهربائية سنويا ويهيئ ١,٦ مليون فرصة عمل جديدة فـي المشروعات الزراعية والصناعية والخدمية في منطقة المشروع. ويتيح المشروع إمكانية زيـادة إنتاجها السمكي في بحيرات المشروع إلى بحوالي ١,٤٩ مليون طـن سـنويا وزيـادة حصـة تصدير الحاصلات الزراعية إلى البلدان العربية.

- مشكلة نهر الفرات هي عدم إبرام اتفاقية دولية لتقسيم المياه بين البلـدان الثلاثـة " تركيـا ـ سوريا ـ العراق " وهي مشكلة ترجع إلى ١٩٦٢ عندما بدأت مفاوضـات بشـأنها بيـن هـذه الدول، وتفاقمت المشكلة نتيجة إصرار الجانب التركي على التصـرف فـي ميـاه النـهر دون التشاور مع سوريا والعراق أو أخذ مصالحهما بعين الاعتبار، ففي سبتمبر ١٩٧٤ بدأ الأتـراك بملء بحيرة سد كيبان على الفرات، ولم تسمح تركيا بمرور أكثر من ١٠٠ مـتر مكعـب فـي الثانية من المياه. ثم قامت تركيا بإجراء استفزازي آخر بالإعلان عن تخفيض معدل تدفق ميـاه الفرات من ٥٠٠ إلى ١٢٠ متر مكعب في الثانية لمدة شهر، لرفع منسوب الميـاه خلـف سـد اتاتورك.

- انحصر الموقف السوري والعراقي من هذه المشكلة في مطالبة تركيا بتقليص فترة تنفيذ القرار التركي خاصة وان القرار الحق أضرارا فادحة بسوريا في المحاصيل الشتوية وتوقفت سبع وحدات بمحطة كهرباء سد الطبقة في سوريا عن العمل كما أدي القرار إلى توقف محطة كهرباء سد القادسية عن العمل نهائيا خلال عام ١٩٩١.
- وهناك مشروعات أخرى مثل سوفرة قاية، وسد اداميانا " مشروع سد غازي عنتاب، مشروع أنابيب السلام (*).
- لن تكتفي تركيا بذلك، فلها مشروعات مائية أخرى على نهر دجلة مثل :

١ ــ السيطرة على بحيرة الهزار لري الأراضي السهلية التي حولها.

٢ ــ تشييد سد لري مناطق ديار بكر والجزرة. أي أن تركيا ستحتاج إلى أكثر من ١٠ مليار م٣ من مياه نهر دلجة البالغة ٢٠,٥ مليار٣م.

نستخلص من ذلك أن انعكاسات المشاريع المائية التركية أدت إلى تخفيض كمية المياه التي تصل إلى العراق من ٢٤,٣ مليار إلى ١٦,٧ مليار م٣ عام ١٩٩٥ ثم تقليها أكثر إلى ٦,٥ مليار م٣ عام ٢٠٠٥ مما سيؤدي إلى خفض المساحات المزروعة في العراق بنسبة ٥٧% وهذا ينذر بوقوع كارثة كبيرة إذا لم يتم تفادي ذلك والتوصل إلى تفاهم حول هذه المسائل وتقنياتها وتثبيت الحقوق المكتسبة لسوريا وللعراق على نهري دجلة والفرات التاريخيين.

ولهذا فإن قضية المياه بالنسبة لسوريا وللعراق تشكل مسالة حيوية وحياتية، إن هذه المسالة الحيوية تتعارض مع ما تخطط له تركيا من مشاريع سيتم تنفيذها على حساب الحق العراقي والسوري المنصوص عليه دوليا في الأعراف والاتفاقيات الدولية، خاصة مشروع (G A P) التركي ما يزيد على ١٢٨ مليار م٣ وإنشاء ١٩ مجموعة كهرومائية لتوليد ٢٤ مليار كيلو واط / ساعة من الطاقة الكهربائية على حساب موت ٧٥% من الأراضي الزراعية العراقية.

ولو لم يستنزف العراق قدراته العسكرية في حربين عبثيتين، وتعرضه لحصار، ومقاطعة دوليين قاسيين، لكانت جهوده موظفة باتجاه إرغام تركيا على التفاوض معه من موقع القوة، والتلويح باستخدام القوة إذا لم تنصاع تركيا لذلك لضمان حقوقه، لكنه خسر هذه الورقة ولم يعد يمتلك ما يساعده في مطالبته بحقوقه المهدورة.

(*) أنظر أنابيب السلام كتابنا الجغرافية السياسية المعاصرة، الأنجلو المصرية، ٢٠٠٢.

الثروة المعدنية :

تضم الأراضي التركية كميات كبيرة من معادن البوكسيت والنحاس والحديد والمنجنيز والكبريت والتنجستن ويسهم هذا القطاع بنحو ١٠% من مجموع قيمة الصادرات. ويعزي ارتفاع قيمة صادرات المعادن مؤخراً إلى زيادة كميات الكروم وتعد تركيا من أكبر الدول المنتجة لهذا المعدن في العالم حيث تتركز أغني رواسبه في جولمان جنوب شرقي تركيا وبالقرب من الإسكندرونة وفي المنطقة المحيطة بإسكي شهر، وفي شمال غربي الأناضول. وبالقرب من إنطاكية في الجنوب وهو أهم معدن في الصادرات التركية.

ويتركز الفحم البيتوميني حول زنجولدك على ساحل البحر الأسود. وهو من النوع الجيد للحصول على فحم الكوك الذي يستخدم في مصانع الصلب في كرابوك القريبة منه، وينتشر فحم اللجنايت في أجزاء عديدة من وسط الأناضول وغربيه. ويستخرج الحديد الخام من منجم دفرجي الواقع بين سيفاس وأرضروم في شمالي شرقي تركيا، وتتراوح نسبة الحديد في الخام بين ٦٠ و ٦٦% ويقدر الاحتياطي من الحديد بنحو ٢٨ مليون طن، وقد بلغ إنتاج تركيا من الحديد الخام ٣,٤ مليون طن عام ١٩٩٨.

ويعرف النحاس في تركيا منذ القدم، صدر معظمه إلى ألمانيا الغربية والمملكة المتحدة، والولايات المتحدة الأمريكية، ومناجمه الرئيسية في إرجاني وبورساكا، وتتعدد مناطق استخراج المنجنيز ولكن أهمها المناجم القريبة من إسكى شهر، وأهميته كبيرة في صناعة الصلب، ويمد البوكسيت مصنع الألومنيوم في سيدزهير Seydisehir الذي شيد بمعونة السوفيت، واكتشف البترول، ولكن بكميات قليلة في جنوب شرقي البلاد في حدود ٣ مليون طن، من ثم كانت فاتورة واردات البترول كبيرة للغاية. وتنتشر معامل التكرير في مرسين (طاقتها ٤,٥ مليون طن) بتمان قرب ديار بكر، وأزمير ويخطط لمعامل تكرير بالقرب من استانبول، وبالقرب من أنقرة وتراقيا ومرسين، وقد مدت أنابيب لنقل من مناطق إنتاجه احتياجات معامل التكرير.

تناقص بين توزيع السكان والإنتاج :

يلاحظ في تركيا كما سنلاحظ في إيران أن الإنتاج الزراعي بل وأيضاً أهم أقاليم الثروة المعدنية الرئيسية ومراكز العمران الرئيسية تتركز بشدة في الشمال والغرب، على حين أن الوسط والشرق يعد متخلفا عن بقية البلاد، لذلك فالاتجاه الحديث في تركيا نحو الاتجاه الشرق والوسط حتى يحدث توازن إقليمي سواء في الزراعة أو التصنيع أو مد شبكة طرق النقل وبالتالي توزيع الثروة القومية، لأن ذلك لابد وأن ينعكس على تماسك جسم الدولة السياسي، وهذا واضح في مشروع سدود المياه على منابع رجلة والفرات GAP.

الصناعة :

تعد تركيا دولة تمتص الصناعة أكثر من ١٥% من القوة العاملة في تركيا، تقدم جزءاً متناميا من الدخل القومي، وتحقق الكفاية الذاتية في بعض الخطوط الثانوية وفائضا للتصدير في بعضها.

وتملك تركيا منذ البداية صناعة حديد وصلب في كارابوك معتمدا على فحم إرجلي ـ زونجلداك على ساحل البحر الأسود. وفيما عدا هذا فإن الصناعات الخفيفة هي الأساس، وفي مقدمتها صناعة النسيج بأنواعه المختلفة من قطنية وصوفية وحريرية، وهي التي تمتلك البلدان خاماتها بدرجة كافية. وتلي ذلك الصناعات الغذائية العديدة التي تلائم طبيعة الإنتاج الزراعي والرعوي السائد.

ويجابه توزيع الصناعة مشكلة الإقليمية، فهناك تعارض جذري بين توزيع السكان والإنتاج وبين الرغبة في توزيع الثروة القومية بعدالة على رقعة الدولة كما ذكرنا. فالإنتاج الزراعي، ومعه السكان والمدن، مركزه بشدة في الشمال والغربي، أو في الشمال الغربي، بينما يعاني الوسط والشرق الرعوي من الفقر. وهكذا يتبلور التناقض الإقليمي بين الغرب التركي الغني المتطور، والشرق الفقير في تركيا.

من هنا اتجه التخطيط الصناعي منذ البداية وعن وعي إلى عدم تركيز الصناعات الجديدة في مدن ومراكز الشمال الغربي. وإنما إلى بثها في الوسط

والشرق أيضاً. ومع ذلك فإن الجزء الأكبر من الصناعات يتوطن الآن في مدن الشمال والغرب: في استانبول وأزمير، وبروصه.

أستانبول

أسسها الإغريق عام ٦٥٨ ق.م عند الخليج الخارجي للقرن الذهبي، ونظرا لانحدار الأرض بشدة نحو البحر أمكن حمايتها بإقامة القلاع مواجهة للبحر، وتليها عدة قلاع أخرى كان أحدها مركز للحكم العثماني والمعروف باسم الباب العالي Sublime Porte.

وتعد أهميتها أيضا أن القرن الذهبي يعتبر أجود المرافئ في كل الإقليم إلى الجنوب من البحر الأسود لأن السواحل كلها قليلة التعاريج وبالتالي لا تحمي السفن وقت الأعاصير، ولاستانبول أهميتها في مواردها السمكية بموقعها على المضايق لهجرة الأسماك من وإلى البحر الأسود.

وتعتبر اسكدار المقابلة لاستنابول هي نقطة البداية للعبارات التي تصلها باستانبول. وإن كانت هيدرا باس بمينائها الجيد قد استطاعت نقل حركة العبارات إليها، وأصبحت نهاية الخط الحديدي على الهضبة.

وتتمتع استانبول بموقع جغرافي متميز قل أن يتكرر، فهي في أوربا، ولكنها مواجهة لآسيا، أقيمت على سبع تلال، وتشرف على مجرى مائي عميق، يتصل بالبسفور في قسمه الغربي، وحيث يتصل البحر الأسود بالبحر المتوسط عن طريق بحر مرمرة، ولها شهرتها التاريخية كعاصمة للدولة البيزنطية، ومقراً للخلافة العثمانية التي امتدت من جنوبي غربي آسيا إلى شمالي أفريقية، وجنوب شرقي أوربا وطرقت أبواب فيينا، ونظراً لتعاقب الإمبراطوريات والديانات نحوها فهي غنية بالفنون المعمارية، المساجد، والكنائس، والمتاحف، ودور الكتب، فضلاً عن المباني العصرية، من ثم كانت جاذبة للسائحين، ولئن كانت أنقرة هي العاصمة السياسية لتركيا، فإن استانبول هي العاصمة التجارية والثقافية والسياحية ويعرف قلب العاصمة باسم " أستامبول " كما تبدو ضاحيتها بيجولا في شمال القرن الذهبي عصرية في مبانيها وحياتها، لذلك تجتذب استانبول السائحين من جميع أنحاء العالم، وخاصة من أوربا والمشرق الغربي، وقد بلغ عددهم عام ٢٠٠٠ نحو ٨ مليون سائح، ويهدد استانبول تدفق الهجرات إليها خاصة وأن نموها غير مخطط.

إيـــــران

اختصار آسيا طبيعيا

كتركيا لها تاريخ في تكوين الإمبراطوريات، وقد احتفل الشاه وعائلته عام ١٩٧١ بالعيد ٢٥٠٠ لتأسيس أول ملكية في إيران، ولكن قبل انتهاء ذلك العقد كانت الثورة الإسلامية بزعامة الأمام الخوميني قد أطاحت به وعائلته، وأنهت النظام الملكي وتولت هي شئون إيران باسم الجمهورية الإيرانية الإسلامية.

وتحتل إيران موقعا استراتيجيا خطيراً في جنوب غربي آسيا، فإيران تتحكم في الممر الوحيد بين بحر قزوين والخليج العربي، وفي الغرب تمتد حدودها مع تركيا والعراق وكل دولة منهما لها تاريخ طويل مع الأخرى، وإلى الشمال وإلى الغرب من بحر قزوين تجاور أذربيجان وأرمينيا، أما في الشرق فهناك أفغانستان وباكستان، وإلى الشرق من بحر قزوين فهناك تركمنيستان.

لهذا تفيض إيران بسكانها على الدول المجاورة كأثر من تاريخها الاستعماري، فعلى سبيل المثال أذربيجان هي إحدى مقاطعات إيران، وهي في نفس الوقت دولة مجاورة من دول آسيا الوسطي، وكان يمكن أن تكون جزءا من إيران.

تمتد معظم حدود إيران على البحر أو في الصحراء، ولكن الأمر يختلف في الغرب والشمال الغربي، ففي الغرب تجاور تركيا والعراق حيث جزء من كردستان، وفي الشمال الغربي مجاورة لاذربيجان الجمهورية مقاطعة اذربيجان الإيرانية، ومن المعروف أن الاذاري على جانب الحدود يرجعون لأصول واحدة وهي الأصول التركية، قسمت أراضيهم بمقضي معاهدة ١٨٢٨م بين الإمبراطوريتين الروسية (حينئذ) والفارسية، ومنذ ذلك الحين امتصت إيران الاذاري الذين يعيشون داخل حدودها، على حين لم يحدث هذا بالنسبة للأذاري في روسيا الاتحادية، وأصبحوا الآن يكونون جمهورية مستقلة وعندما قام الاذرايون بحملاتهم لطرد السوفيت وجدوا التشجيع والإمداد البشري والسلاح من أخوانهم في إيران.

والطريف في الأمر أن يبلغ سكان اذربيجان المستقلة نحو ٨ مليون نسمة ولكن أخوانهم في إيران يقدرون بنحو ١٥ مليونا منهم أربعة ملايين يعيشون قرب حدود اذربيجان، وبالتالي فاحتمال ظهور حركات تمرد من الأمور الواردة، خاصة وأن الأحياء الديني الشيعي في الجمهورية الجديدة عاد مرة أخرى بعد خروجها من التبعية السوفيتية، ومن ثم فقد تكون هناك تطلعات لأذربيجان الكبري، كما هو الحال لدى الأكراد في ظهور كردستان.

فزيوغرافيا :

فزيوغرافيا إيران مختصر لآسيا من حيث الهضاب والأطر الجبلية التي تحيط بها، والجفاف الشديد في الداخل، والتطرف الحراري، كلها صفات آسيوية بالدرجة الاولي.

تتكون إيران من هضبة داخلية يتراوح ارتفاعها بين ١٠٠٠ و ٥٠٠٠ متر، وتحف بها السلاسل الجبلية، فهي هضبة مرتفعة ومغلقة في آن واحد.

وتغطي الهضبة في جزء أخر منها رمال مستنقعات ملحية فريدة تعرف بالكافير، بينما تغطيها في جزء آخر رمال مفككة أو الحجارة المسماة " داشت " غير أن الهضبة لا تخلو من بقاع صالحة للزراعة قرب سفوح الجبال، ويقوم السكان بزراعتها. أما المناطق الصحراوية والمستنقعات المنخفضة التي توجد باتجاه قلب الهضبة فهي غير ماهولة، وتنصرف المياه في بحار تنحدر من الجبال إلى الأجزاء الداخلية من الهضبة، على أن ثمة تصريفاً محدوداً في بحر قزوين. وتكاد جبال خراسان تنصف الهضبة الإيرانية، فينقسم الحوض الغربي إلى حوض داشتي [١] كافير في الشمال، وداشتي لوط [٢] في الجنوب أما النصف الشرقي فيعرف في الشمال باسم حوض سستان في الشمال وريجستان في الجنوب.

وتعتبر سلسلة جبال زاجروس من أكبر الكتل الجبلية، وهي تمتد من

---

(١) كلمة داشتي معناها الصحراء.

(٢) كلمة لوط معناها الجفاف عموماً.

الشمال الغربي حيث تتلاقي حدود إيران مع جارتها تركيا والعراق وأذربيجان وتتجه في أول مسيرتها نحو الجنوب الغربي فتحف بالشواطئ الشرقية للخليج، ثم تسير بموازاة بحر العرب حتى تدخل في إقليم بلوخستان قرب الحدود الباكستانية.

وتحصر سلسلة جبال زاجروس فيما بينها في الجزء الشمالي الغربي من إيران احواضاً تتكون في بعض منها القيعان والبحيرات الداخلية التي تعتبر بحيرة أورميا من أكثرها ملوحة، وتترك جبال زاجروس سهلاً ساحلياً ضيقاً مطلاً على الخليج، ولكنه يتسع في مناطق محدودة حينما تتراجع الجبال عن الساحل وهو بصفة عامة سهل صحراوي مقفر، وتتدرج الجبال في الإرتفاع كلما بعدنا نحو الداخل، فأقربها إلى الخليج يصل ارتفاعه إلى ١٠٠٠م بينما يصل ارتفاع أبعدها نحو الداخل إلى ٢٠٠٠م.

والبرز كتلة جبلية تمتد هي الأخرى من شمال غربي إيران حيث تتصل هناك بجبال زاجروس في هضبة أرمينيا، وتسير على طول الحافة الجنوبية لبحر قزوين، وهي تضاهي جبال زاجروس ارتفاعاً لكنها أقل اتساعاً منها، وتمتد عدة سلاسل جبلية على طول الحدود الشرقية لإيران وهي تمثل حاجزاً طبيعياً بسبب ارتفاعها، وإن كانت أقل اتصالاً ببعضها البعض من سلاسل زاجروس والبرز.

وتشرف جبال البرز على الساحل الجنوبي لبحر قزوين بحواف ذات قمم مرتفعة تمثل إحداها المخروط البركاني لجبال دامافند (٥٦٠ م) وهي من أعلى القمم الجبلية في إيران ومن ثم كان انحدار جبال البرز نحو السهل الساحلي شديدة، يتمثل في ذلك السهل المنبسط الذي يشغله بحر قزوين والذي يقع على مستوى ينخفض ٢٧م دون سطح البحر، وتتكون المرتفعات الشرقية لإيران من كتل جبلية منعزلة تفصل بينها الأحواض والمنخفضات التي تشتمل بحيرات داخلية.

الزلازل والمناخ مشكلتان :

وتعاني إيران من الزلازل والمناخ المتطرف الجاف أما الزلازل (كما في تركيا) فإنها تحدث في بعض السنين فتلحق الخراب والدمار بأرجاء واسعة من

البلاد ويرتبط حدوثها بوجود الجبال الإلتوائية حديثة التكوين وعدم استقرار الأرض، وأما تطرف المناخ فإنه يعزى إلى أثر القارية وسيادتها، وإلى البعد عن المؤثرات البحرية الملطفة، فالصيف شديد الحرارة حيث تصل درجة الحرارة القصوى في الداخل (٥٠°)، بينما الشتاء قارس البرد تنخفض خلاله الحرارة إلى – ٢٠م° في أماكن متعددة من البلاد وتصل إلى – ٣٠ م° على المرتفعات في شمال غربي زاجروس وتتعرض إيران الشرقية لهبوب رياح المائة وعشرين يوما التي تهب بانتظام خلال الصيف، والتي تصل سرعتها أحياناً إلى ١٦٠ كم / ساعة، كما تعاني معظم إيران من الجفاف إلا أن الأجزاء الشمالية الغربية والشمالية تتلقى كميات من المطر تصل إلى ٢٠ سم في السنة وبخاصة على سواحل بحر قزوين التي تشتهر بالزراعة وبكثرة السكان والعمران. ويأتي بعد الإقليم المعمور الإقليم الشمالي الغربي المعمور لزاجروس في مقاطعة أذربيجان حيث يعرف بأهميته الزراعية، وبارتفاع كثافة السكان، وبخاصة في منطقة تبريز عاصمة أذربيجان ورابعة مدن إيران، أما منطقة زاجروس الوسطى وكذلك المناطق الغربية من الهضبة الداخلية حول أصفهان وهمدان وشيراز وكرمنشاة مع الامتداد حتى طهران فإنها ذات امطار قليلة (١٣ سم) ويندر المطر والسكان في الجهات الشرقية والجنوبية من إيران. من ثم كانت القاعدة في إيران هي الصحراء والاستثناء هو " الاستبس ".

الجغرافية الطبيعية الصعبة لإيران وأثرها في النقل :

وكان للطبيعة الصعبة أثرها في عدم نمو شبكة جيدة للنقل، فإيران ضخمة المساحة بالنسبة لسكانها، فتبلغ المسافة من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي نحو ٢٢٥٠ كم، ونظرا للطبيعة المتضرسة تضطر الطرق إلى الدوران والالتفاف بدلا من الاتجاه المستقيم، كما أن وسط إيران محاط بالسلاسل الجبلية، من ثم كانت عملية مد الطرق من المسائل الصعبة، وان كانت هناك مجهودات لوصل أجزاء البلاد بعضها ببعض بطرق رئيسية، ومن أهم طرق النقل الآن الخط الحديدي بين ساحل بحر قزوين، وطهران، والخليج العربي وللخطوط الحديدية التي تربطها بالجيران. أهمية خاصة في خططها الاقتصادية، ورغم أن هناك مسايل جانبية متعددة تحفر

أوديتها كخوانق في المناطق الجبلية، فإن نهر قارون هو النهر الصالح للملاحة بينها جميعا.

وتتعرض مياه بحر قزوين للاطماء، بينما تعاني معظم مرافئ الجنوب من صعوبة اتصالها بالداخل، لذلك فهناك خطط متعددة للنهوض بمرافئ الخليج استجابة لتطورات الاقتصادية والسياسية في الإقليم، وتم فعلا النهوض بها في شط العرب، ومن الطرق الجديدة الجيدة التي مدت الطريق من طهران إلى موانئ الخليج.



شكل رقم (٤٤)

سكان إيران :

يبلغ عدد سكان إيران نحو ٦٥ مليون نسمة، وتتعد الجماعات العرقية في إيران ففي وسطها أي الهضبة نجد الإيرانيين أو الإيرانيين / الأفغان، وفي الأقاليم الجبلية هناك جماعات أصغر أعداد من الرعاة يضمون قبائل الببختاري الذين يرجح أنهم من أصول كردية، وهناك الاتراك (مغول) وتمثلهم قبائل الخاشقاي، ومجموعات اخرى من القوقاز كالأرمن الذين يظهرون في أذربيجان وإقليم بحر قزوين، ثم تظهر التأثيرات التركية مرة أخرى في الأقاليم الشرقية لإيران خاصة حول مشهد، بينما يعيش في جبال زاجروس بالقرب من البحر خليط من الإيرانيين والأفغان والهنود.

ولئن كانت اللغة الفارسية هي الرسمية والمتداولة، فهناك لهجات من الكردية في الشمال، وسلاسل زاجروس الوسطي، والتركية في الشمال الغربي، والبلوشية في الجنوب الشرقي، كما يتقن المثقفون الإنجليزية أو الفرنسية. واكبر تجمعات سكانية في الأراضي الخصبة في شمالي البلاد، في حين نجد الاستقرار المبعثر في وسط إيران حيث تسود الصحراء. ونظراً لموقع إيران في منطقة عدم استقرار سياسي نجدها تستقبل المهاجرين اللاجئين من الأفغان، ومن العراق، ومن أذربيجان، ويتبع ٩٣% من الإيرانيين المذهب الشيعي (الأثنا عشري والجعفرية) من مذاهب الشيعة، وهو مذهب الدولة الرسمي، وهناك قلة من أصل السنة يبلغون نحو ٥% معظمهم من الأكراد، والتركمان والبلوش، أما الـ ٢% الباقية فهم من اتباع المسيحية واليهودية والزراد شتية.

الإنتاج الزراعي :

نظرا للصعوبات المناخية والتضاريسية لا توجد مساحات زراعية ضخمة باستثناء سهول بحر قزوين، من ثم كانت مناطق الاستقرار مبعثرة بالقرب من الموارد المائية أو حيث توجد ظروف طبيعية جيدة كتربة جيدة، أو على صلة بطوق النقل، وباستثناء هذه الأراضي المزروعة المتناثرة في هذه المحيطات الصحراوية والجبلية، يقوم الرعاة برحلاتهم مع قطعانهم ومركزهم الرئيسي زاجروس الأوسط

حيث التقاليد القبلية مازالت تحكم قبضتها، وإن كان الرعاة ينتشرون في كل المناطق الجبلية، بينما يقلون في الجنوب والشرق.

تبلغ مساحة الأراضي الممكن زراعتها نحو ١٧٠ مليون فدان من مساحة إيران البالغة ٤١٢ مليون فدان والمزروع من هذه المساحة فعلا يبغ نحو ٤٠ مليون فدان نصفها يتبع طريقة الزراعة الجافة، على حين تتركز الزراعة المطرية في الأقاليم الغربية في كرمنشاه وكردستان وأذربيجان، وأما زراعة الري فتسقى إما من نظام " القنوات " وهو النظام القديم الذي يعتمد على القنوات التي تجري تحت سطح الأرض، وإن كان هذا النظام قد أهمل في الفترة الأخيرة وزاد الاعتماد على الري الحديث من الخزانات، فقد أقيم في إيران عدة سدود على المجاري المائية بغرض ري مليون هكتار عام ٢٠٠٤.

وتتنوع المحاصيل الزراعية تبعا لتنوع المناخ، فالقمح هو الغذاء الرئيسي، والشعير والأرز محاصيل أساسية، ويزداد إنتاجها نتيجة الاهتمام بالري، ولكن إنتاجها من القمح البالغ ٣ر٣ مليون طن نحو ٨٠% من الاستهلاك المحلي، وزاد إنتاج الأرز نتجة زيادة المساحة المزروعة. وتسجل التطورات الأخيرة تحول كثير من المزارعين إلى تربية الحيوان على اعتبار أنها أكثر كسبا من زراعة الحبوب، أي تربية الدواجن والماشية نظرا لارتفاع سعر اللبن كما يمد البنجر ٥٠% من احتياجات إيران من السكر، ويزرع الأرز على سواحل بحر قزوين أساسا كما تجود البطاطس، ومن الحاصلات النقدية القطن، والشاي الأخضر، والطباق، والبذور الزيتية، والبصل، والتمور، وهذه الأخيرة نطاقها الرئيسي جنوبي البلاد. ويقدر عدد النخيل بنحو ١٠ ملايين نخلة يعرف محصولها طريقة إلى الأسواق الخارجية شأنها في ذلك شأن العراق. وكما أن هناك زراع مستقرون، فهناك رعاة بدو، يرعون الأغنام أساسا والتي يقدر عددها بنحو ٢ مليون رأس أكثر من ثلثها في مقاطعة اذربيجان في الشمال، بل وكل السفوح الجبلية، وكذلك ترعي في المناطق الساحلية المطلة على خليج عمان والمحيط الهندي، وهم يمدون السكان باللحوم ومنتجات الألبان والجلود والصوف.

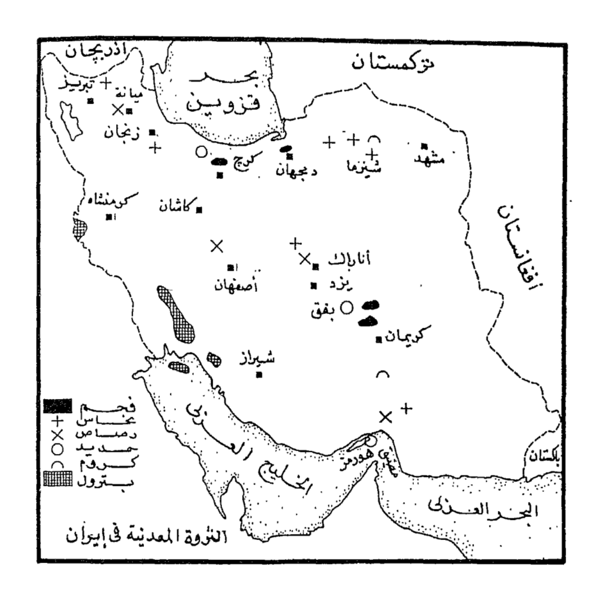
وتصدر إيران الكفيار (بيض الأسماك) اعتماداً على الصيد من بحر قزوين، وإن كان المهّرب إليها من روسيا ليس بالقدر اليسير.

مشكلات الإنتاج الزراعي :

زاد اهتمام الدولة بالقطاع الزراعي نتيجة لزيادة إيراداتها من البترول، فقدمت إعانات لمزارعي الحبوب في صورة إعفاء من الضريبة لمدة عشر سنوات، وحتى يهتم المزارع بإنتاجها تقدم له مجانا ١٠٠ كم من السماد، ٤ كجم من السكر، وكجم من الشاي في مقابل كل طن ينتجه من القمح، ذلك أنه كان لديها اكتفاء ذاتي من الغذاء حتى عام ١٩٦٠، وبعدها تدفقت المواد الغذائية المستوردة مع زيادة السكان، ورغم ذلك فمازالت هناك مشكلات في الإنتاج الزراعي منها مشكلة الحيازة الزراعية التي كان معظمها في أيدي الإقطاعيين. وقد صادرت الثورة الإسلامية نحو ٢ مليون فدان من الموالين لنظام الشاه والذين فروا من إيران عقب الثورة، وإن كان نصفها غير صالح لزراعة أو رعي، ووزع نصف مليون فدان منها على الفقراء والمعدمين، ومن مشكلات الزراعة سوء وسائل النقل الذي يعوق وصول الإنتاج الزراعي إلى الأسواق، وقلة المياه، ومن المشكلات أيضا التي عاناها الإنتاج الزراعي فيضانات الأنهار، ففي عام ١٩٩٢ غرق نحو ٥% من الأراضي الزراعية بسبب الفيضانات الكاسحة، ولا ننسي الزلازل، ثم كانت الحرب العراقية الإيرانية في الثمانينيات كل هذه عوامل تعطل برامج النهضة الزراعية.

الثروة المعدنية :

تضم أراضي إيران عددا من الموارد المعدنية التي تستغل على نطاق تجاري، من أهمها معدن النحاس شرق وغرب بحر قزوين والذي يعتبر منجما على مستوى عالمي، وهناك مناجم الفحم والحديد ولكن البترول هو سيد المعادن.



شكل رقم (٤٥)

البترول :

يمثل البترول ومنتجاته المصدرة من إيران أكثر من ٨٥% من دخلها، وتمثل إيران مكانة بارزة في هذا السبيل بإنتاجها البالغ نحو ٢٠٠ مليون طن والذي يضعها في المركز الثاني في الإقليم بعد السعودية، وتحتل نفس المكانة في الاحتياطي العالمي، إذ يقدر احتياطيها بنحو ٩٣ مليار برميل وبالتالي فلها وحدها نحو ١٢,٥% من الاحتياطي العالمي، ويضاف إلى ذلك الغاز الطبيعي الذي اكتشف

بالقرب من الخليج بصفة خاصة، والذي يستهلك معظمه محليا بسبب سياسة الحكومة في إحلال الغاز محل البترول، وهناك مشروعات لتصدير الغاز الإيراني إلى أوربا الشرقية عن طريق روسيا إلى اوركرانيا عن طريق أذربيجان.

هذا وتمتد مكامن البترول الإيراني على الخليج بصفة خاصة، كان أول حقل اكتشف هو حقل مسجدي سليمان عام ١٩٠٨، ومع ذلك فقد تأخر الإنتاج إلى عام ١٩١٣ وذلك لمد الطرق والأنابيب، ثم تعددت الحقول بعد ذلك عند حضيض جبال زاجروس. وكلها مطلة على الخليج سواء عند حضيض جبال زاجروس مثل نفط كل، وأغاجاري، وجاش ساران، وفي المياه الإقليمية لإيران مثل بهرجان ونوروزو وداريوس، وأن كان قد اكتشف حقل كبير في الداخل بالقرب من قُم ويصدر البترول من موانئ عبدان على شط العرب، أو بندر مشهور في دلتاه أو من جزيرة الخَرج.

ومما هو جدير بالذكر أن إيران تعتبر ضمن الدول المرشحة لمرور بترول آسيا الوسطي إلى الخارج، وان كانت الولايات المتحدة الأمريكية تعارض ذلك، ومن المشروعات الأخرى اتي تمت أن تمد دولة أذربيجان القسم الشمالي من إيران بحاجته البترولية، في مقابل تصدير إيران للغاز إلى أذربيجان، كما عقدت اتفاقيات لمد جورجيا بالغاز الإيراني عن طريق أذربيجان.

الصناعة :

لإيران شهرتها في الحرف اليدوية سواء في صناعة السجاد أو انقش على المعادن، ولئن كانت الصناعات الميكانيكية للسجاد قد أخذت طريقها إلى السجاد اليدوي، فمازال للسجاد شهرته ومكانته في الأسواق.

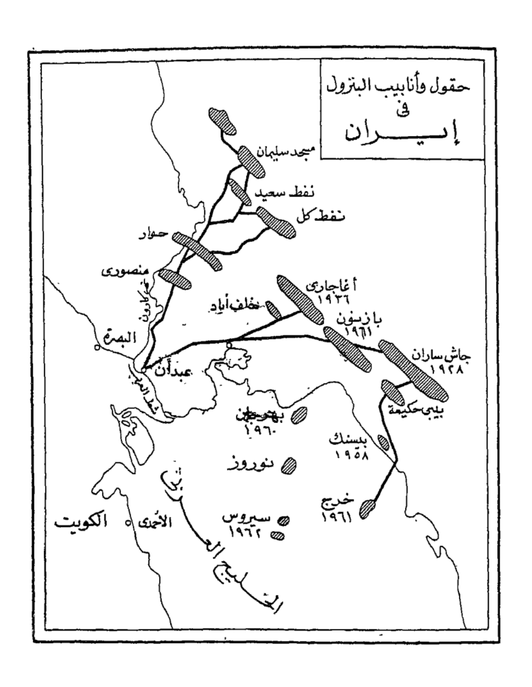
غير أن إيران الحديثة اهتمت بالصناعات الثقيلة، وتعتبر صناعة البتروكيماويات والصلب والنحاس والألمونيوم هي عماد هذه الصناعة في إيران، وبجوارها تأتي كثير من الصناعات الخفيفة اللازمة للاستهلاك المحلي كتكرير السكر (من البنجر) والسجائر والأسمنت، وتجميع البرادات (الثلاجات) ومواقد الغاز وتجميع السيارات والتلفزيونات وغيرها.

تمثل الصناعات المعتمدة على البترول والغاز الطبيعي كما ذكرنا أحد النشاطات الرئيسية في هذا المجال، فهناك معامل التكرير في تبريز وأصفهان وهما وحدهما يمدان البلاد بنحو نصف حاجتها من المنتجات البترولية، وهناك أيضا معامل طهران وكرمنشاه وشيراز، وهناك مشروعات معامل أخرى في بندر عباس وأراك، وتشترك عدة شركات إيطالية ويابانية في إنشائها، كما تعاقدت إيران مع شركة دايو لبناء خمس ناقلات للبترول.

ومن الصناعات الأخرى التي أقيمت لسد الاحتياجات المحلية والتصدير ومعتمدة على البترول، صناعة البتروكيماويات، وتتمثل في صناعة الأسمدة والبلاستيك والبوليستر والميثانول ومن المراكز الرئيسية للصناعات البتروكماوية عبدان والخرج والرازي وبندر خوميني. ومن الصناعات الثقيلة الرئيسية التي اهتمت بها إيران صناعة الصلب وفي أصفهان أكبر مصانعها، كما تقوم في شرقي أذربيجان، ويزد ونيسابور في خراسان، وفي هورمزجان بالقرب من مضيق هرمز. وأصبحت إيران اليوم مصدرة للصلب بعد أن كانت مستوردة له وهناك أيضا صناعة الألومنيوم، ومركزها الرئيسي جزيرة قشم.

الحضرية والصناعة :

ذكرنا أن عدد سكان إيران نحو ٦٥ مليون نسمة يعيش ٦٣% منهم في


حقول وأنابيب البترول
فى
إيــــران
مسجد سليمان
نفط سعيد
نفط كل
حوار
منصورى
أغاجارى
١٩٣٦
خلف أباد
بازنون
١٩٦١
البصرة
جاش ساران
١٩٢٨
عبدان
بيبى حكيمة
١٩٦٠
بيسنك
١٩٥٨
نوروز
خرج
١٩٦١
سيروس
١٩٦٢
الأحمدى
الكويت

شكل رقم (٤٦)

المدن ويقدر أن تبلغ نسبة سكان المدن في إيران ٧٥% عام ٢٠٢٥، ولاشك أن هذا يرجع إلى جاذبية المدن وقيام الصناعة فيها، وان هناك مساحات شائعة في إيـــران أراضي صحراوية وصخرية.

ومن أهم هذه المراكز الحضرية نجد طهران التـــي تقــع علـــى المروحـــة الفيضية عند قاعدة جبال البرز وتتحكم في شمالي إيـــران مدينتـــان همـــا طـــهران العاصمة بسكانها ٧,٥ مليون نسمة، ومشهد المدينة المقدسة لـــدي الشـــيعة ٢,٥ مليون وتقع في الركن الشمالي الشرقي، وتقع طهران على ارتفاع ١٠٠٠ متر فـــي السهل الفيضي لأحدي المراوح الفيضية لمجاري مائية تنحدر مـــن جبـــال الـــبرز، وتظهر فيها إيران القديمة (البازار) على السفوح الدنيا، وإيـــران الحديثـــة علـــى ارتفاع ٣٠٠ متر عن طهران القديمة، وهي العاصمة والمركز الثقـــافي والتجـــاري للبلاد، كما قامت فيها صناعات متنوعة ممثلة في مواد البناء، الإلكترونيات، تجميـــع السيارات ويبلغ حجم سكانها حجم كل المدن الإيرانية مجتمعة.

أما أصفهان فقد كانت عاصمة في أوائل القرن الحادي عشر، وتعتبر مـــن المدن الجميلة، بلغت أوج عظمتها في عهد الشاة عباس الذي حكمـــها فيمـــا بيـــن ١٥٨٧م ، ١٦٢٩م، وتشتهر بجمال سجادها، وألوان لوحاتها الدقيقة، ومســـاجدها ذات القباب الزرقاء، وأضيفت إليها في العصر الحديث صناعة الســـيراميك وبعـــض الصناعات المعدنية.

أما ميناء عبدان (نصف مليون) فرغم مناخها القاســـي حيـــث الرطوبـــة المرتفعة والحرارة القاسية صيفا، فهي أهم موانئ تصدير البترول، وبها أكبر معـامل تكرير في إيران لوقوعها على رأس الخليج في الإقليم المعروف باسم خوزســـتان، ومن ثم تعتبر العاصمة الاقتصادية لإيران.

وتعتبر تبريز المدينة الأولي في القسم الغربي من إيران، قرب الحدود مـــع أذربيجان وتركيا وروسيا وكانت في وقت ما تقع على طريق الحرير الواصـــل بيـــن الصين وأوربا ولكن كثيرا من مبانيها الفخمة دمرته الحروب والزلازل.

أفغانستان (*)

مفتاح آسيا الوسطي

" أن الله حين خلق الأرض والناس، ووزّع أجناس الأرض على أقاليمـــــها، وجد عنده فائض من كل شئ، بقايا طبيعية، بقايا بشرية، أخذ كل هذه البقايا، وطوّح بها فبسطت كلها كومة واحدة على سطح الأرض في مكان أصبح أسمه أفغانســتان " من وصف الشعب الأفغاني لبلاده التي تعتبر دولة حبيسة في أقصى جنــوب غربــي آسيا بمساحة تبلغ نحو ٦٤٧ ألف كم٢.

لعنة الموقع الجغرافي والبترول :

كان لموقعها الاستراتيجي أثره فـــي أن أصبحــت محــط أنظــار القــوى الاستعمارية، فيرجع بقائها إلى اتفاق القوميتين الإنجليزية والروســية فــي القــرن التاسع عشر على أن تظل دولة حــاجزة buffer state بينــهما، وكمــا امتــدت أفغانستان بإصبعها، أصبع وكهان نحو، ما جعلها مجاورة للصين، وهي بموقعها هذا مجاورة لست دول، باكستان إلى الشرق والجنوب، وإيران غرباً، وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي أصبحت مجاورة لتركمنستان وأوزبكستان وطجيكستان، فضلا عن الصيــن كما ذكرنا، هذا كما أنها على تخوم دول تقع في الاهتمامات الأمريكية الاســتراتيجية، فهي طريق إلى آسيا الوسطى حيث البترول، وهي بــرج مراقبــة للصيــن والــهند وروسيا، إذن فهي مفتاح آسيا الوسطى، بل قد تكون أفغانستان أحد ممرات بــترول بحر قزوين إليها وصولا إلى باكستان والمحيط الهندي. وقد خاضت بريطانيا ثــلاث حروب مع الأفغان للاستيلاء عليها لوقف المد الروسي ولكنها فشلت فـــي إخضــاع أهلها حتى لقد قال عنها لورد كيرزون نائب الملــك فــي الــهند " لا داعــي لغــزو أفغانستان، من الأسهل شراؤها " وبخروج بريطانيــا عــام ١٩٤٧، كــان الاتحــاد

(*) سميت أفغانستان، نسبة إلى قبائل الأفغان التي كانت تعيش في جزء منها، ولم يطلق عليها هذا الاســم إلا منذ القرن الثامن عشر م.، وكانت تعرف قديما باسم " أريانا " وعرفت في العصور الوسطي باسم " خراسان " نسبة إلى إقليم خراسان في شماليها.

السوفيتي صاحب الهيمنة عليها تقريبا.

وفي هذا السياق تبرز أفغانستان كضحية فريدة للحرب الباردة مرتين عقب الحرب العالمية الثانية الأولى عندما كانت الحرب الباردة قائمة قبل انهيار الاتحاد السوفيتي وغزوه لأفغانستان، حيث انتهز الاتحاد السوفيتي حالة الضعف والتنافر القبلي، فقام بغزو أفغانستان بعد أن أقام حكومة موالية له، وفي هذه الحرب التي استمرت نحو ١٠ سنوات ١٩٧٩/١٩٨٩ قدر أن عدد من قتل من الأفغان بنحو ١.٣ مليون نسمة، فضلا عن اللاجئين إلى باكستان وإيران والنازحين قسرا إلى هنا وهناك بالملايين، ومن الجدير بالذكر أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تكن منزعجة لغزو السوفيت لأفغانستان، بل كانت تخطط له لأن أفغانستان ستصبح فيتنام الاتحاد السوفيتي وقد حدث فعلا.

واستنفرت الولايات المتحدة الأمريكية حلفا من القوى الغربية، ودولا عربية، وإسلامية في تشكيل كتائب مقاومة مدعومة ماديا وسلاحا في حرب السوفيت، والتي انتهت بانسحابه عام ١٩٨٩، وكان هذا إيذانا بزوال الاتحاد السوفيتي، أما الثانية، فبعد أن أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية القطب الأوحد، وراجعت استراتيجيتها أرادت تأمين مصادر مواقع التوتر في العالم التي تؤثر على مصالحها وكان تفجير برج التجارة العالمي، الذي اتهم من تنظيم القاعدة.

إذا أضفنا إلى هذا أن أفغانستان مرشحة لأن تمر فيها أنابيب البترول من دول آسيا الوسطي إلى باكستان، أي ممر بترولي، فضلا عن تقديرات أخرى، فإنها قد تكون مخزنا للبترول وثروات معدنية أخرى، أدركنا كيف أن الموقع الجغرافي والموارد قد تكون نقمة، إذا توفرت في دولة قبلية عشائرية تعيش على الطحن المستمر.

بشر أفغانستان :

ويقدر عدد سكان أفغانستان بنحو ٢٥ مليون نسمة، ويعدون من أفقر سكان العالم، ومازالت نسبة الحضرية متدنية حول ٢٠%، من ثم كان السكان ريفيون وبدوا، تسود فيهم الأمية بنسبة ٨٠%، فكابول العاصمة يقدر عدد سكانها

بنحو ١,٧٥ مليون نسمة، على حسين أن مزار الشريف في الشمال يقدر سكانها بنصف مليون، وقندهار بنحو ربع مليون وهيرات ١٧٥ ألف، وجلال أباد نحو ٦٠ ألف.

وإذا كان عدد سكان المدن قد يزداد فجأة، فلا يرجع هذا إلى تطور اقتصادي بقدر ما يرجع إلى شح المطر وظهور المجاعات التي تؤدي بالناس إلى الاتجاه نحو المدن، كما حدث في مجاعة عام ٢٠٠٠ حين لجأ إلى المدن نحو ٨٠٠ ألف نسمة.

الموقع الجغرافي والبشر :

اسهم الموقع الجغرافي الفريد المعقد للساحة الأفغانية في تركيبتها البشرية المعقدة، فموقع أفغانستان في وسط آسيا حولها من الناحية العملية إلى دولة ممر وعبور برية للقادمين من غرب القارة إلى شرقها ومن جنوبها إلى شمالها والعكس، وأولي بذلك الجيران بطبيعة الحال، فكان أن ظهرت بصمات هؤلاء جميعا في أفغانستان، حتى اجتمعت فيها حوالي ٢٠ مجموعة عرقية أهمها البشتون أو الباتان ٤٠% ـ ٦٠% من السكان، على الحدود مع باكستان والتي يوجد بها النصف الآخر من الباشتون لذلك فلغتهم وثقافتهم واحدة مع شرقي باكستان، والطاجيك ويمثلون نحو ٢٥% ويتركزون في الشمال الشرقي، وإلى حد كبير يعتبرون امتدادا لأقربائهم في طاجكستان، ولغة الباشتون هي " البشتو "، أما الطاجيك فيتكلمون " الداري " والاثنان لهجات فارسية تكتب بحروف عربية وهم من حيث الملة يمثلون السنة.

أما الشيعة فهم على الحدود الإيرانية ويمثلون نحو ١٣% من السكان ويتكلمون " الدراي " وهم أعراق ثلاثة أهمهم الهزار، وهم بقايا هجرات مغولية، وينتشرون في الجنوب على الحدود مع إيران، وهناك الأوزبك (٦,٥%) يتركزون في الشمال على الحدود مع أوزبكستان. أما في بقية القائمة فنجد التركمان والمغول والقرغيز والبلوش....

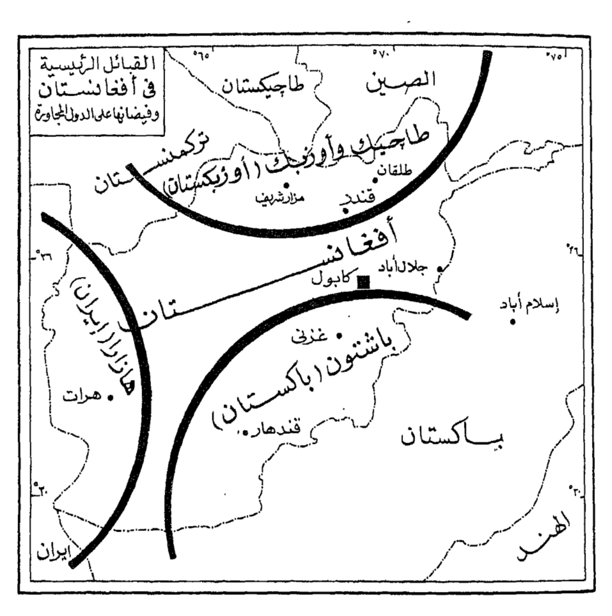
الفرق العرقية/ الهامة في أفغانستان

العرقية	لنسبة المئوية	المذهب	اللغة	
البشتون أو الباتان	٤٠% ـ ٦٠% من السكان يتركزون في الجنوب الشرقي على الحدود مع باكستان التي يوجد بها النصف الآخر.	مسلمون سنة	البشتو	أكبر وأقوى تجمع عرقي، يسيطرون على معظم المناصب الحكومية والجيش.
الطاجيك	٢٥% يتركزون في الشمال الشرقي.	مسلمون سنة	الداري (لهجة فارسية)	معظمهم حرفيون وتجار يعيشون في المدن.
الهزار	٥% في قلب المنطقة الوسطى واقرب إلى إيران.	مسلمون شيعة	الداري	يتحكمون في ممرات جبال هندكوشن
القزلباش	١.٥% مبعثرون في مدن أفغانستان.	شيعة	الداري	اكثر التجمعات ثقافة وعلما، مناصب حكومية وعلمية هامة.

ويظهر في هذه الجماعات قوة القبلية والعرق، فأفغانستان اتحاد قبائل قبل أن تكون دولة مركزية أو حتى لا مركزية، والسلطة لمن غلب من الفرق العرقية والمذهبية في اقتتالها وصراعها، لذلك ليس بغريب أن يقولوا عن أفغانستان، جسر مرصوف ومهيأ لكي تمشي عليه الفتن وتتحرك عليه المؤمرات، لأن لطبيعة الجبلية ووديانها شبه المغلقة على نفسها بالقمم العالية ومناخها القاري القارس يجعله نموذجا للمطلوب، فهو عازل ومطروق، وإن كان بصعوبة، سالك ولكن بشروط، وأهم هذه الشروط هو الاتفاق مع نفر من أهل هذا البلد الذين يعرفون المسالك والمداخل، وهم جميعا تركيب إنساني يمتزج فيه الضعف بالقوة.

الموضع والبشر :

حين فتح المسلمون قندهار (أفغانستان) في عهد الخليفة عمر بن الخطاب عام ٢٢ هـ أرسل قائد المسلمين في تلك الحملة الحكم بن عمرو والتغلبي مبعوثا يحمل البشارة إلى أمير المؤمنين، وحين سأله سيدنا عمر أن يحدثه عن تلك البقعة التي تم فتحها رد المبعوث قائلا " سهلها جبل، وماؤها وشل (قليل شحيح) وتمرها دَقَل (رديء) وخيرها قليل، وشرها طويل، والكثير بها قليل، والقليل بها ضائع، وما وراءها شر منها". فأمر عمر بالكف عن التقدم في الفتح بعد ذلك.



شكل رقم (٤٧)

لعل هذا يفسر جذور وطبيعة الشخصية التي نمت وتشكلت في هذه الأجواء، أجواء إقسمت بالخشونة والقسوة وشظف العيش، الأمر الذي أورثها صلابة وعنادا وقدرة فائقة على تحمل المشاق، تجلى ذلك في نمط حياتهم وفي سلوكهم، وفي ألعابهم أيضا، فمن بين الألعاب مسابقة يقيمونها تختبر صلابة المرء وقدرته على الاحتمال، فيقف نفر من الشباب في حلقة، ويضع كل واحد منهم جمرة مشتعلة على ساعده، ويفترض أن يبقيها كذلك حتى تنطفئ وتصبح رمادا، اللعبة تستغرق وقتا طويلا ليس بالقصير، وتتطلب من المشاركين قدرة غير عادية على احتمال الألم، لأن من يتحرك من مكانه أو يتأوه، يستبعد من الحلقة، ويخرج مهزوما كسير النفس، والفائز من بقي ثابتا في مكانه بغير حراك حتى تخمد النار في الجمرة. (*).

الإنتاج الزراعي :

ويمثل الإنتاج الزراعي نحو ٥٠% من قيمة الدخل، كما يمثل ٨٠% من صادراتها ويتأثر الإنتاج الزراعي بحالة المطر، كما تتميز المساحات المزروعة أنها مبعثرة جزرية بحسب ظروف توفر مياه الري، ويزرع بطبيعة الحال القمح والشعير وبنجر السكر كمحصولات غذائية رئيسية، فضلا عن القطن المنافس الأول للقمح، وهناك محصول هام استخدمته القبائل لتحصل على المال اللازم لها وهو زراعة الأفيون، وتهريبه فهي الدولة الأولي في زراعة الأفيون وتقطيره، ومع انتشار البداوة نجد للثروة الحيوانية أهميتها للسكن للغذاء والملبس، من الإبل إلى الأغنام والماعز وإذا كانت هناك ثروة معدنية فهي الفحم وخام الحديد والفضة والذهب وكله بكميات قليلة، فضلا عن وعورة المناطق التي تحتويها، وصعوبة الوصول إليها، فضلا عن كونها دولة حبيسة، من ثم إلى جانب صعوبة الاستخراج تكون هناك

(*) أنجبت أفغانستان إمامين جليلين من أئمة الفقه هما " أبو حنيفة النعمان " (٨٠ ــ ١٥٠ هـ) الذي ينتسب إلى كابول، وقد اعتنق الإسلام عند فتح المسلمين للمدينة، واحمد بن حنبل (١٦٤ ــ ٢١٤ هـ) الذي ولد بمدينة مرو. كما برز فيها من المحدثين أبو داود السجستاني صاحب السنن إلى جانب غيرهم من المفسرين والزاهدين. وإلى أفغانستان ينتسب المفكر الإسلامي الحديث جمال الدين الأفغاني (١٢٥٤ ــ ١٣١٤ هـ) الذي شمل نشاطه وكفاحه جهات متعددة من العالم الإسلامي.

صعوبة التصدير. ومما هو جدير بالذكر هو ظهور الغاز الطبيعي. وأقيمت بعض المشروعات الصناعية الصغيرة اعتمادا على المواد الخام المحلية، كصناعة المنسوجات القطنية والصوفية والمنتجات الجلدية، ولكن لا شك أن هذا قد انتهى بعد تدمير الولايات المتحدة الأمريكية لها، وانتشار الفوضى مرة أخرى.

الأقاليم الجغرافية:

لا شك أن الظاهرة الطبيعية المميزة في أفغانستان هي السلاسل الجبلية التي تمتد من الغرب إلى الشرق، امتدادا للسلاسل والهضاب الإلتوائية في وسط آسيا، هذه المرتفعات الوسطي تمثل النواة، وعلى جانبيها سهلان جافان، هذه أفغانستان أكثر الأقطار جفافا وأشدها تعقيدا في تضاريسها، وتتفق مع جنوبي غربي آسيا في أمطارها القليلة التي تتركز في الشتاء، على النقيض من أمطار الهند الصيفية، وإن كان ينالها رذاذ من المطر الصيفي أحيانا. ولكنها أقرب إلى جنوبي غرب آسيا سكانا وحضارة وحياة.

ويتفاوت الارتفاع في أفغانستان ما بين ٨٠٠٠ متر في الشرق، ٦٠٠ متر في الجنوب الغربي، بل وأقل من هذا في الشمال حيث يغادر نهرا أموداريا (جيحون) ليمثل الحدود بين اورزبكستان وتركمنستان. ويمكن تقسيم أفغانستان إلى الأقاليم الجغرافية الآتية:

أولا : <u>المرتفعات الوسطي</u> ويمثلها جبال هندكوش (*)، وهي أحد السلاسل التي تشع من هضبة البامير، ويمتد هذا النظام الجبلي لمسافة تبلغ نحو ١٢٠٠ كم من الشرق إلى الغرب، وأن كانت تسمية هنكوش تقتصر على القسم الشرقي منها وبعدها يصبح اسمها كوهي بابا، أي أبو الجبال، وإذا اتجهنا أكثر نحو الغرب كان أسمها بارو مسيوس، وتتفاوت هندكوش واخواتها في ارتفاعها ما بين ٧٠٠٠ متر بالقرب من هضبة التبت، إلى ما يزيد قليلا على ٣٠٠ متر قرب إيران. هذه

(*) يرجع البعض أن هذا اللفظ معناه قاتلة الهنود، نظرا لهلاك كثير من الهنود الذين كانوا يحاولون عبورها في الشتاء لقسوة شتائها.

المرتفعات التي تمتد من الغرب إلى الشرق وتكون القسم الأول من الأقاليم الجغرافية الثلاثة في أفغانستان تنقسم بدورها إلى ثلاثة أقسام فرعية:

* القسم الشمالي الشرقي الشديد الوعورة حيث القمم التي تقطعها الثلوج وتغذي المسايل المائية ويعرف اسم بادكشان، ويمتد هذا الإقليم نحو الشرق على هيئة شريط أو أصبع المعروف باسم شريط واكهان، هذا الشريط الذي جعلها جارة للصين، وخلق الإنجليز هذا البروز لعزل روسيا القيصرية عن الهند البريطانية، ويقتصر انتشار السكان هنا على الأشرطة التي يصيبها قدر من الري، او على السفوح الجبلية التي تنحدر عليها مياه الثلوج الذائبة ومعظم السكان هنا من التاجيك، وهذا شئ طبيعي امتداد لأقربائهم في طاجيكستان.

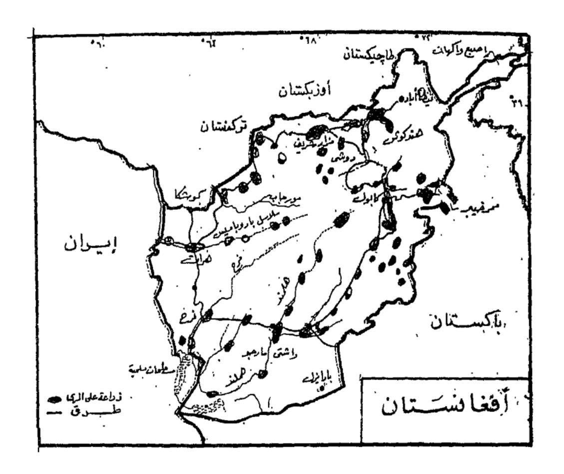
* القسم الأوسط من هذه المرتفعات الممتدة من كابول إلى هيرات، ويسكنها نوعان :

الهزارا المستقرون الذين يزرعون الأشرطة الجبلية اعتمادا على الري، والباتان أو البوشتن المعرفون باسم " كوشى " أي المشائين، أي الذين يتحركون بحيواناتهم لمسافة قد تصل إلى ٥٠٠ كم نحو سهول السند في الشتاء، وتكاد تخلو أراضيهم من الطرق المرصوفة، وأن كان هناك قليل من الأودية وبعض المدن المتفرقة هنا وهناك.

* ويعتبر شرقي أفغانستان اكثر أجزائها أهمية بعاصمتها كابول وبعض المدن الأخرى وكل مدينة في حوض زراعي يروى، أما خارج هذه الأحواض، فلا توجد أراضي زراعية عدا القليل، فهذه الأراضي تقع جنوب جبال هندكوش، وتؤلف في معظمها جزءا من الأراضي التي تفترق فيها جبال هندكوش وجبال سليمان، وهنا تبدو أهمية ممر خيبر الذي يمثل البوابة الشرقية لأفغانستان.

وتقع كابول على ارتفاع ٢٠٠٠ متر فوق سطح البحر، عاصمة البلاد بمبانيها الحديثة وطرقها الجيدة، ويزيد من أهميتها، وأن حوضها يتحكم في الحركة إلى الشمالي والشرق، من ثم زراها الغزاة، داريوس والإسكندر، ومعظم سكانها من الأفغان الأصليين (البوشتن أو الباتان) والطاجيك والهزار وممثلون لعشرين عرقية

أخرى كما يلاحظ أن كثيرا من السكان يتكلمون الفارسية.



شكل رقم (٤٨)

ثانيا : سهول طوران إلى الشمال من مرتفعات هندكوش تظهر والتي تمتد في تركمنستان واذربيجان، وهذه منقسمة بدورها إلى قسمين، الشرقي منها هو إقليم بكتريا Bactria حيث نهر أمودريا المتجه نحو الشمال، أما القسم الغربي فهو خراسان الأفغانية امتداد لخرسان الإيرانية، وأهمية الإقليم الشمالي في أن أراضيه الزراعية تبلغ ضعف نظيرتها في الإقليم الجنوبي. وتعتبر جبال هندكوش هي المدد الذي تستمد منه الأودية مياهها مثل كوندوز أحد روافد أمودرايا، وهنا نجد أنه حيث

تغادر هذه الروافد المنطقة الجبلية إلى السهول توجد مدينة ؛ منها هو قديم وشهرتها في كونها محطات على طول طرق القوافل (طريق الحرير) الذي يربط الصين بأوربا، وإقليم بكتريا هذا غني بتاريخه، فقد استمر الإغريق يحكمونه لمدة قرنين بعد غزو الإسكندر، ثم تناوبت عليه ثقافات المغول والفرس والعرب والهنود والصينيين، وقامت فيه كثير من مدن العلم والمعرفة وأشهرها البلخ في العصور الوسطي، وإلى الشمال من هذه الجبال يصادف الإنسان الجمل ذو السنامين محل الجمل ذو السنام الواحد، وتحل الخيام البيضاء المستديرة محل الخيام السوداء التي تميز جنوب غربي آسيا.

وتضم خراسان الأفغانية نهر رود وبضعة أحواض، وفي هذا الإقليم قد يسير الإنسان عشرات الكيلومترات دون أن يصادف بشراً، ومركز هذا الإقليم هيرات حيث تقوم الزراعة في حوض كبير يبلغ نحو ٢٠٠ ألف فدان وسط أرض موات، ولعل آثار الحصون والقلاع حولها توحى بأهميتها على طرق القوافل الشمالية الجنوبية عبر الجبال، ولا يتذكر الإنسان حربا قامت على بعد ألف كيلو متر، ونجت منها هيرات. مثل هذه الأراضي الشديدة التضرس المليئة بالكهوف الجبلية التي لا يمكن الاقتراب منها على الأرض، ومن ثم اعتمدت القوة الأمريكية منذ اللحظة الأولي على استخدام القوة بشكل عنيف متواصل لا يتيح لعناصر القاعدة التفكير أو الرد أو حتى النوم باستخدام القصف الجوي العنيف، واستخدام ذخائر ذات قوة تدميرية عالية والتي لا تتوقف نتائجها على قوتها التدميرية فحسب، بل لآثارها النفسية أيضا كالتي تتركها الزلازل عقب حدوثها، أي اهتزازات نفسية، فالقنابل العنقودية التي كانت تلقيها قاذفات B52 عندما تنفجر تنشطر إلى مئات الأجزاء المعدنية التي تطير بسرعة رصاصات طائشة انطلقت من بندقية، مما يوقع آلاف الضحايا بشكل عشوائي لا فرق بين عسكريين ومدنيين.

ثالثا: القسم الجنوبي من أفغانستان أو صحراء راجستان وهو إقليم صحراوي ويعرف القسم الشرقي منه والذي يمتد في إيران باسم سيستان، ولا يجري في الإقليم سوي نظام نهري واحد وهو هلمند، وحين يدخل سهول راجستان /

سيستان نجد الواحات المزروعة والمدن، وهنا قندهار وهي المركز والمستودع والمخزن الرئيسي لتبادل السلع مع باكستان، وبوابة أفغانستان إلى كراتشي. وقد أقيمت على النهر بعض السدود للاستفادة بمياهه في الري، وينتهي نهر هلمند بمسطحات من المستنقعات والسبخات الملحية التي تجف صيفاً.

وتعتبر سيستان من أقسى البيئات بالنسبة للإنسان، ترتفع حرارة الصيف إلى ما يقرب من ٥٠م وتقترب شتاء من درجة التجمد، مع هبوب رياح المائة وعشرين يوماً محملة بالأتربة والرمال، وقد استمرت في إحدى هباتها لمدة ١٦ ساعة بمتوسط سرعة ١٣٠ كم في الساعة، وبلغت قمة سرعة لها ١٧٥ كم في الساعة.

الباب السادس

عالم آسيا الوسطي والشمالية

الفصل الأول

في شخصية آسيا الوسطي

ظروفه الطبيعية :

تحتل دول آسيا الوسطى معظم حوض ما يطلق عليه التركستان، تحيط به الجبال والهضاب من معظم الجهات، في حلقة شبة دائرية شبه مستمرة فيما عدا بحر قزوين، مع نهاية جبال هندكوش، وهضبة البامير، وجبال تيان شان، وفي الشمال الشرقي تحده بحيرة بلكاش ومرتفعات الكازاك التي هبطت بها التعرية إلى هضبة لا تزيد على الألف متر فوق سطح البحر. والحوض نفسه مقعر، قليل الارتفاع، ينخفض على حواف بحر قزوين إلى مادون مستوى سطح البحر، ليرتفع مرة أخرى، وينخفض مرة أخرى في بحر آرال، وتجري أودية النهرين الكبيرين سيراداريا وأموداريا، ويأتي لكل منه روافد، الزراف شان لأموراريا، وفرغانه لسيرادرايا، عبر فتحات غائرة في الحائط الجبلي، تمثل الطرق الوحيدة إلى الصين وقلب آسيا، ويجري النهران بعد ذلك في وسط صحراوي تكثر فيه الكثبان الرملية.

ويتراوح المناخ بين الصحراوي وشبه الصحراوي والاستبس، حرارة لافحة إلى حد القيظ صيفاً، عكس درجة حرارة الشتاء التي تنخفض إلى ما دون درجة الصفر، خاصة حين تأتيها الكتل الهوائية الباردة من سيبريا، ويكثر الصقيع، ويغطي الجليد الأرض، من ثم فالمدى الحراري السنوي كبير، كما يرتفع المدى اليومي لصفاء السماء وقلة النبات، ومطره ربيعي وصيفي، وإن كان يتراوح بين ٢٠ سم، ٣٠ سم على الأكثر يزداد بطبيعة الحال على سفوح الجبال المحيطة، ولكن قد يتلاشي أحيانا في قلب الحوض حتى ينتهي جنوبا إلى صحراوات حقيقية، وتحترق حشائش الاستبس في أواخر الصيف لتدفن تحت الجليد شتاء، ويصبح

المظهر الطبيعي هو الصحراء بشوكياتها والأراضي الملحية. من ثم فالقسم الشمالي لزيادة مطره النسبي عن الجنوب، تسوده حشائش الاستبس التي تتدرج إلى شبه الصحراء كلما اتجهنا جنوبا بوجه عام.

زراعته ومعادنه :

وإذا كانت تربة الصحراء تعاني من الملوحة والقلوية، فإن تربة الاستبس هي الصفراء الرمادية، وهي خصبة إذا ما توفر لها الماء لما تحتويه من مواد عضوية نتيجة اختلاطها بالحشائش الجافة في أواخر الصيف، من ثم كانت الزراعة الجافة شمالا أي في الاستبس اعتمادا على المطر وهي ممكنة في صحراء الجنوب إذا ما توفر الري، من ثم كانت المساحات الزراعية مرتبطة بأودية الأنهار الرئيسية، والمراوح الفيضية، أو زراعة واحات، وأما خارج هذا فهو مسرح الاستبس الكبير، مسرح لرعاة الخيل أولا، ويذهب البعض إلى أن هنا موطن الحصان الأصلي، يصول، ويجول، وليس أمامه حاجز من شجر أو غابات، يليه الغنم والجمل ذو السنامين، لذلك كانت اقتصاد الإقليم التقليدي هو اقتصاد الرعي وتربية الحيوان، اللحوم والألبان والجلود والصوف حيث تصبح للأغنام الصدارة على الأبقار، وأما الزراعة التي تحف بهوامش الحوض مع نهاية الأنهار الجبلية، فتمتد منها السنة على طول النهرين الكبيرين سيرداريا (سيجون) وأموداريا _ (جيجون)، وتصبح محاصيل الإقليم مناسبة للظروف المناخية للمعتدلات الدفيئة، القمح والشعير والذرة فضلا عن الأرز في الجنوب، والفاكهة من أعناب وتفاح، ومن المحاصيل الصناعية الطباق وبنجر السكر وعباد الشمس، ومن الألياف يصبح القطن سيدها خاصة في أعالي سيراداريا وأموداريا.

في مقدمة معادنه الفحم في ركنه الجنوبي الشرقي وأواسطه حول طشقند، أما البترول والغاز الطبيعي فرصيده ضخم، وهو الذي زاد من أهمية الإقليم وأدي إلى تدافع القوي الكبرى على الإقليم (سنفصل فيه فيما بعد لأهميته)، ثم تأتي ثلاثية النحاس والرصاص والزنك، وقامت كثير من الصناعات، مثل تكرير البترول والبتروكيماويات، الحديد والصلب، وبعض الصناعات الهندسية والفوسفات.



- صحراء جوبي من آسيا الوسطي إلي شرقي الصين.

ومادامت البيئة تتراوح بين الاستبس والصحراء لابد ونجـد نمـط سـكان الصحراء توزيعا عبارة عن رقع محددة مرتفعة الكثافة، ومساحات غـير معمـورة تقريبا، تجمع في القري أي الواحات، والتوزيع حلقي على أطراف الحوض مع قاطع يمتد بطول النهرين، يرتبط بهذا النمط شبه الحلقي في توزيع السكان توزيع المـدن

الكبرى على الأطراف، بينما يكاد يخلو منها الوسط، وتمثل هذه المدن أما مواني على بحر قزوين أو واحات عند حضيض المرتفعات وهي الغالبة، فهناك كراسنوفدسك على بحر قزوين، وعشق أباد، وبخاري، سمرقند، طشقند. والماتا عند حضيض المرتفعات.

وحوض التركستان هو موطن تكوين السابقين للنورد يين (بروتو ـ نورد) الذين هاجروا بعد ذلك إلى أوربا، كما يرجع البعض أنه منطقة تكوين اللغات الهندو أوربية فيما قبل التاريخ، وفي إقليم يعتبر نواة قلب آسيا الرعوية لابد وأن تتوقع أن تاتيه موجات وتنزاح منه موجات، وتختفي موجات الامتصاص، حتى سادت العناصر التركية وإليها تنتمي منطقة طوران في معظمها، بينما تظهر المؤثرات الأخرى على الأطراف.

الاستبس إقليم الحركة :

هنا يتمثل استبس العالم القديم ويمثل إقليم آسيا الوسطي قلبه النابض إقليم الحركة خرج منه الرعاة، رعاة الخيل متجهين نحو الغرب، وكان القادمون دائما من الشرق من منغوليا، رعاة ضد رعاه، أو راعاة ضد الزراع، وكانت الغلبة للرعاة بحكم خفة الحركة والكر والفر، خرج الهكسوس ضاربين جنوبا بغرب نحو مصر، وفي العصر الميلادي استقر ضغط البرابرة على شرقي أوربا ابتداء من والهون والأقار حتى البلغار والمجيار والتتار، أما على الطريق الجنوبي فلم ينقطع هجوم رعاة الإقليم على إيران والشرق الأوسط بعامة، حتى إذا كان القرن الحادس عشر آتته الموجة الغزنوية، ثم الأتراك السلاجقة، ثم كان المغول والتتار، ففي القرن الثالث عشر دفع الاستبس جنكيزخان الذي كون إمبراطورية من الصين إلى شرقي أوربا، وتكررت نفس الصورة مع كوبلاي خان ثم تيمورلنك، ومن بعده هولاكو، ومن القرن الثالث عشر إلى السادس عشر ظهر الأتراك العثمانية، واجتاحوا الشوق العربي وجنوب شرق أوربا حتى بلغوا أبواب فينا.

وفي داخل الحوض نفسه كانت قمة الإمبراطوريات وقاعدتها فكانت سمرقند

عاصمة تيمورلنك على سبيل المثال. ولكن حين تطور السلاح من السيف والسهم إلى البندقية والمدفع، ذهبت ريح الرعاة وبزغ عهد الزراع.

تنوع عرقي وحضرية منخفضة :

يبلغ عدد سكان الجمهوريات الخمس كازاخستان، تركمنستان، قرغيزستان، أورزبكستان، طجيستان ٥٨ مليون نسمة عام ٢٠٠٠، والمتوقع أن يزيد العدد إلى ٨٣ مليون نسمة عام ٢٠٢٥، أكبرها سكانا أوزبكستان (٢٤ مليونا) مقاربا لنحو ١٦ مليونا لطاجيكستان أكبر الجمهوريات حجما، على حين يتراوح عدد السكان في بقية الجمهوريات بين ٤ ، ٦ مليون نسمة.

والمشكلة في توزيع السكان في هذه ألدول هو التضاد في التوزيع بين الأجزاء الصحراوية والجبلية حيث اللامعمور تقريبا، وبين الكثافات العالية في أراضي الري، غير أن المشكلة الأخرى في هذا التوزيع هو أن الأجزاء التي يستركز فيها السكان والإنتاج، في معظمها بعيدة عن مراكز الإنتاج العالمي بسبب هذه التضاريس الوعرة، وصعوبة الحركة، ونقل السلع إلى الخارج.

ومازالت نسبة الحضرية فيها منخفضة بالنسبة للاتحاد الروسي، فكازاختسان وهي أكثرهم تقدما صناعيا، كانت نسبة الحضرية ٥٨% عام ١٩٩٨، أما بقية الجمهوريات فنسبة حضريتها حول ٤٠%، ولا توجد فيها مدينة مليونية سوي طشقند التي تعدت المليون، وبذلك تعتبر المدينة رابع أكبر مدن الاتحاد الروسي، ومعظم الروس يعيشون فيها.

حكم الروس هذه المناطق طوال العهدين القيصري والسوفيتي. وأدي حكمهم الذي تميز باستبداد وباستغلال معاً إلى تراكم ثقافة عدائية لدي الشعوب الإقليم، والآن أصبح الروس أقلية إثنية ودينية، الأمر الذي يثير فيهم المخاوف من المستقبل، وضاعفت من هذه المخاوف الحرب في الشيشان، وما رافقها من عمليات عسكرية لقمع الثورة الاستقلالية، ارتكبت فيها انتهاكات واسعة لحقوق الإنسان. كما ضاعف منها الموقف الروسي المتعاطف مع الصرب في البوسنه وكوسفو حيث

جرت أبشع جرائم في القرن العشرين ضد المسلمين في البوسنه وكسفو.

اتخذ الروس مواقف ضد الشعوب الإسلامية في تاتاريا والشيشان وفي أذربيجان وتركمانستان وحتى شمال منغوليا. فهناك سجل طويل من الصراعات الدامية التي نكأتها من جديد مواقف الكرملين في القوقاز والبلقان. فهذه الصراعات الإقليمية تفيد منها روسيا بشكل غير مباشر كصراع بين أذربيجان وأرمينيا، وبين إيران وأذربيجان، والانقسام الدموي الذي تحول إلى حرب أهلية في طاجكستان، والخلاف الذي لا يزال جمراً تحت الرماد بين طاجيكستان وكازاخستان حول إقليم سمرقند. وفي الحقيقة إذا ما نظرنا إلى مدي التماسك القومي، نجد أن أوزبكستان أكثرهم تجانسا، ففيها نحو ٧٠% من الأوزبك، وكذلك تركمنستان، أو طاجيكستان بها ٦٥% من الطاجيك، أما قيرغيستان فيها نحو ٥٢% فقط من القوغير.

أفول نجم روسيا وظهور الصراعات :

بعد غياب طويل دام ١٢٦ عاما بين سقوط طشقند أمام جيوش القيصرية. في ١٨٦٥ وسقوط الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١ عادت آسيا الوسطي من جديد إلى العالم. وحين حصلت هذه الأقطار على استقلالها بعد انفراط الاتحاد السوفيتي رحبت شعوبها بإزاحة قبضة السوفيت سواء من الجماعات الإسلامية أو من الأقليات التي كانت تحت ضغوط شديدة، آملين في حرية وديمقراطية، ولكن للأسف لم يتحقق الكثير من المأمول، فبمجرد زوال هذا الضغط الذي رغم عيوبه منع الصراعات المحلية، كما أنه بمجرد انتهاء الحكم السوفيتي أدي هذا إلى هجرات منها وإليها، وبالتالي عدم استقرار، فهناك الذين نفوا إلى الإقليم وجدوا فرصتهم في العودة إلى أوطانهم، كما كان هناك آلاف الأرمن لجأوا إلى (تركمنتستان) فرارا من الحرب الأرمنية / الأذربيجانية، ولكن عادت كدولة حبيسة تحيط بها روسيا من جانب والصين وإيران من جانب آخر، وكان لها واجهة على بحر قزوين المغلق، من ثم كانت في حركة مرور سلعها استيرادا وتصديرا لابد معتمدة على الدول المجاورة، كما كان لموقعها هذا أثر في التقاء أعراق وثقافات مختلفة على أراضيها، تركيا وإيران، وروسيا بوجه خاص.

مواردها تثير شهية القوي الإقليمية والعالمية :

وكان لامكاناتها الاقتصادية الضخمة، وخاصة في مصادرها الطبيعية وعلى رأسها البترول والغاز الطبيعي أن أثارت شهية قوى إقليمية، إيران، تركيا فضلا عن زيادة فتح شهية روسيا، وقوى دولية بعيدة عن المنطقة ممثلة بالدرجة الأولي في الولايات المتحدة الأمريكية والصين، واليابان، وحتى كوريا الجنوبية، ولا ننسي في هذا المجال إسرائيل.

تبلغ الاحتياطيات الحالية المعروفة لدول القوقاز المطلة على بحر قزوين (أذربيجان وكازاخستان، وتركمنستان) حوالي ٢.٥ مليار طن البترول الخام، أي حوالي ١.٦% فقط من مجموع الاحتياطيات العالمية، بينما تزيد وتصدر دول بحر قزوين حوالي ٤٣ ألف طن يوميا، أي حوالي ١.١% فقط من إمدادات العالم ورغم هذا الفرق الهائل في الاحتياطيات وكمية الصادرات الحالية إلا أن العمل قائم على قدم وساق لاستكشاف وتطوير وإنتاج كميات أكبر بكثير من بحر قزوين ومناطق اليابسة المحيطة به. وقد ذكرت دراسة لوزارة الخارجية الأمريكية صدرت في عام ١٩٩٧ أن الاحتياطيات المؤكدة والمحتلمة من النفط الخام في جمهوريات كازاخستان وأذربيجان وتركمنستان تقدر بحوالي ٢٥ مليار طن، وتشير الدراسات المتوفرة إلى أن إنتاج المنطقة سيرتفع من حوالي ١١٩ ألف طن يوميا في عام ١٩٩٧ ليرتفع تدريجيا إلى حوالي نصف مليون طن يوميا في عام ٢٠١٠، وسيتم تطوير جميع هذا الإنتاج الجديد من قبل شركات ومجموعات أجنبية. وإذا ما أخذ في الاعتبار صغر حجم سكان دول المنطقة المنتجة للنفط ومحدودية قاعدة الإنتاج الصناعي بها، وبالتالي قلة احتياج هذه الدول إلى كميات كبيرة مما تنتجه من مواد الطاقة، فإن معظم إنتاجها لابد أن يحاول شق طريقه إلى الأسواق العالمية.

إنتاج دول آسيا الوسطي من البترول عام ٢٠٠٠

الدولة	الإنتاج	الدولة	الإنتاج
كازاخستان	٣٢,٦ مليون طن	تركمنستان	٨ مليون طن
اذربيجان	٢٥ مليون طن	اوزبكستان	٧,٩ مليون طن

لعبة الأمم في آسيا الوسطي :

تعتبر روسيا أن هذه الدول التي انفرطت من عقدها تدخل ضمن دائرة نفوذها ومصالحها القومية والاستراتيجية، فهي أشبه بدول أمريكا الوسطي، أن لم نقل أمريكا اللاتينية بالكامل بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية (مبدأ منرو)، كما أنه يجمعها مع روسيا تراث طويل (فترة الحكم السوفيتي) وانتشار اللغة الروسية، ووجود أقليات روسية فيها جميعا، وخاصة كازاخستان، ومازالت السياسات الاقتصادية الروسية تلعب دورا مهيمنا في مجال التجارة، وحتى السكك الحديدية والطرق التي مدت، تم بناؤها لتتجه نحو الشمال، نحو روسيا وأوكرانيا في معظمها، وذلك شي طبيعي أيام الاتحاد السوفيتي السابق، فقد كانت حركة التجارة مع هذه الدول تأخذ هذا الاتجاه، من ثم لابد من التنسيق والتخطيط على المستوي الإقليمي، على سبيل المثال فإن الغاز من تركمنستان، والبترول من أذربيجان وكازاخستان يتم بيعه في داخل الاتحاد السوفيتي (سابقا) وروسيا الاتحادية الآن فهنا مكان التقاء الأنابيب ومعامل التكرير. من ثم أقامت معها ترتيبات ثنائية وجماعية لمحاولة منعها من الخروج عليها إلى دوائر أخرى أمريكية كانت أم تركية أم إيرانية.

كان التنافس التركي / الإيراني أحد أبرز جولات المباراة الكبرى الجديدة في المنطقة، وهو امتداد للتنافس القديم في آسيا الوسطي بينهما، مازال باقيا ومازال مستمرا خاصة، أن عامل التجاور الجغرافي لكل من الدولتين معناه الامتداد الثقافي من إيران وتركيا إليها (الناطقة بالتركية والناطقة بالفارسية).

وقد وجدت تركيا أن الفرصة سانحة عقب انهيار الاتحاد السوفيتي لاثبات وجودها وهويتها بسبب عدم قبولها في عضوية الاتحاد الأوربي، وتوتر علاقتها مع

العرب بين الحين والحين بسبب مشكلات المياه وعلاقاتها مع إسرائيل، هذا فضلا عما يتحقق من فوائد اقتصادية بجذب هذه الدول إليها.

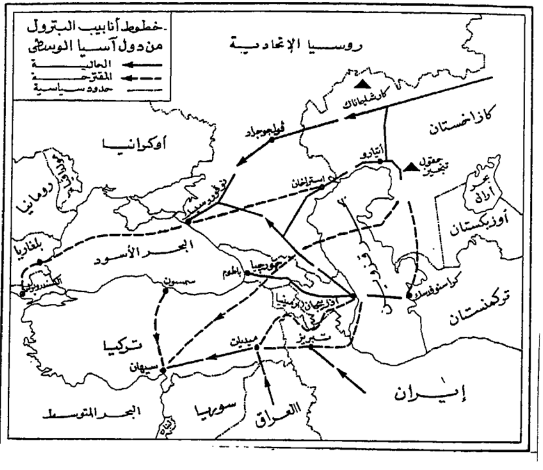
وللوجود التركي أكثر من شكل، فهناك التركستان وهو اسم إقليم، ويدخل في اسم أحد الدول وهي تركمنستان، وهناك اللغة التركية. وفي قمة أزدهار الدولة العثمانية، كانت الهيمنة العثمانية التركية على الإقليم. ولاشك هذا أظهر في الوقت الحاضر، وبدأت يظهر بعث القومية التركية اعتمادا أيضا على الإسلام. خاصة أنه إسلام سني، كما هو الحال في التركستان، فلماذا لا تتجمع دول آسيا الوسطي مع تركيا في دائرة إقليمية جديدة تكون أنقرة فيها مركز القلب من الدائرة؟

ووجدت إيران فرصة ذهبية لإعادة تنشيط سياستها الخارجية، والبحث عن أصدقاء جدد بعدما افقدتها اتجاهاتها الإسلامية المتشددة كثيرا من الأصدقاء عربا وغير عرب، حقيقة أن إسلام آسيا الوسطي إسلام سني وليس بشيعي، ولكن مجرد فتح النافذة أمر ضروري، وكانت إيران الشاة تحكم إمبراطورية إيرانية، وكذلك قادة إيران الحاليون، يأملون في قيام إمبراطورية إسلامية إيرانية تضم التركستان بكامله إلى جانب بعض من إقليم القوقاز، فلماذا لا تكن طهران قبلة الإقليم بعد مكة!؟

إن إيران وتركيا ستستفيدان اقتصاديا واستراتيجيا من مرور أنابيب نقل النفط منها إلى البحر الأسود أو الخليج العربي، في حالة فشل روسيا الاتحادية في نقله عبرها، من ثم كان اندفاع كل من تركيا وإيران نحوها، فهو مجال جديد، اقتصادي، جيوسياسي، ويصبح التنافس الإيراني / التركي أحد أبرز جولات المباراة الكبرى الجديدة في آسيا الوسطي.

ومن الدول المتاخمة نجد باكستان، فدولة باكستان الإسلامية عانت الكثير من فترة الحكم السوفيتي للتركستان وتدخله في أفغانستان ، فقد تدفق عليها ملايين المهاجرين، نسبة عالية منهم من الطاجيك إلى إقليم الحدود الشمالية، الغربية، وكما نعرف الآن أن باكستان تجاور أفغانستان وبها الطاجيك الذي ينتمون إلى أقربائهم في التركستان، فإذا ما حدث عدم استقرار فقد تجد باكستان نفسها مجبرة على

الدخول في معترك المنافسة ولو حتى بالقوة، ولا ننسي أن باكستان كانت ايام حـوب الأفغان ضد السوفيت (١٩٧٩ / ١٩٨٩) فكانت للأفغــان الثـائرين وللمخـابرات المركزية الأمريكية مقرا وممرا، فكانت إحدي دول الدعم. ومازال أمامنا الهند أيضـا بأقلية مسلمة تبلغ نحو ١١٥ مليون نسمة، لها مصالحها في الإقليم، فـإذا زرت دول التركستان ستجد الهنود أصحاب المشروعات ينتشون في كل مكـان، الأمـر الـذي ستترتب عليه نتائج اقتصادية وسياسية في المستقبل.



شكل رقم (٤٩)

أما الولايات المتحدة والدول الغربية بعامه قد وضعت الإقليم تحت المجهر، خاصة وأن دول آسيا الوسطي تبذل جهودا جبارة لجذب الاستثمارات الغربية لتنمية مصادرها من الطاقة فالإقليم أصبح مطمعها، ولم تكن حرب أفغانستان ألا لتبقي فيها حيث تتاخم دول الإقليم، ولتدخل شركاتها البترولية مستغلة، وناقلة لبترولها، فتستفيد سياسيا بتحكمها في مصادر البترول في العالم، ولتربح شركاتها أرباحا خيالية، يكفي مثلا أن نضرب مثلا بشركتين غربيتين همها بريتش بترليوم (إنجليزية) وستاتوبل النرويجية، تقول حساباتهما أنهما ستحققان في الثلاثين ستة المقبلة أرباحا تبلغ ٨٠ مليار دولار، ولا يحتاج هذا إلا توظيف ٧,٥ مليار دولار فقط لاستثمار ثلاثة من حقول النفط في أذربيجان. لذلك يقول الأمريكيون أن هذا الإقليم دخل في خريطة مصالحهم وأمنهم القومي، فلا عجب إذن أن تكون الولايات المتحدة الأمريكية أول دولة تقيم علاقات دبلوماسية مع هذا الإقليم. وتؤكد الأحداث ترابط وتداخل أجزاء العالم مع بعضها ،الروس يحاولون البقاء على توجيه تركستان نحوهم، والإيرانيون، والأتراك يحاولون اتخاذ الإقليم في اتجاه مخالف اعتمادا على الدين، يضاف إليهم شركات أمريكية، وتجار باكستانيون، ورجال أعمال من الهند وغيرهم كلهم متواجدون في الإقليم الذي كان مغلقا على السوفيت وحدهم قبل ١٩٩١.

هكذا كما قال البعض أن هذا الإقليم أشبه بالثقوب السوداء في الكون تمتص كل الأشعة.

خطوط أنابيب البترول لا الحدود السياسية ترسم مستقبل هذا الإقليم وما حوله: فإذا كان بترول الخليج العربي يمتاز بموقعه الجغرافي على الخليج وتحملة الناقلات إلى الدول المستهلكة، فإن بترول آسيا الوسطي يقع في مناطق داخلية تحيطها الجبال، وبعضها قريبا من بحر قزوين المغلق، من ثم كانت مشكلة نقله إلى البحار العالمية المفتوحة، وظهر الصراع في الهيمنة على أكبر عدد من مسارات الأنابيب لنقل هذا النفط وذلك الغاز. وتتعلق هاتان السياستان على وجه الخصوص بمستقبل خطوط نقل النفط والغاز الطبيعي من آسيا الوسطي إلى العالم الخارجي، وهناك عدة اقتراحات للخطوط الناقلة.

أما بالنسبة للخط الأول، فهو الذي يتجه نحو الخليج العربي،، وبرغم أن معايير الرشادة الاقتصادية كلها تُشير إلى أن تصريف النفط والغاز الطبيعي من وسط آسيا ينبغي أن يكون عن طريق الخليج العربي، وذلك بمدّ بخطوط الأنابيب بين إيران وكل من كازاخستان وتركمانستان وأذربيجان، والأخيرتان تملكان حدوداً مشتركة مع إيران، فأن الولايات المتحدة لا تزال تغلب في حساباتها السياسة علـى الاقتصاد، وتقف ضد ربط مصادر الطاقة الجديدة في آسيا الوسطي بالخليج العربي، وخاصة إذا كان خصمها اللدود إيران سيكون هو منفذ الشحن.

وعلى الرغم من الاحتياجات والضغوط المتكررة التي مارسها قادة ومسئولو دول آسيا الوسطي، وبرغم ضغوط شركات النفط الأمريكية ذاتها، ضد سياسة الابتعاد عن إيران، فإن الحكومة الأمريكية أعطت موافقتها الضمنية ــ بما فيها حق التراجع ونقض المواقف المبدئية على تأسيس خط أنابيب لنقل الغاز الطبيعي من تركمنستان عبر إيران بطول ١٥٠٠ كم وبتكلفة ١,٦ مليار دولار.

أما الاقتراح الثاني وهو الذي تميل إليه الولايات المتحدة الأمريكية لتصريف نفط آسيا الوسطي، أو ما يُعرف بالمسلك الغربي، ويتمثل في مد خط أنابيب من كازاخستان وأذربيجان إلى ميناء سوبسا بجورجيا على البحر الأسود، ومنه عبر البسفور إلى العالم الخارجي، أو تمديد الخط عبر جنوب جورجيا وحتى ميناء جيهان التركي على البحر المتوسط.

أما الاقتراح الروسي فيعتبر أن جمهوريات آسيا الوسطي على أنها " جوارها القريب " وان لها بحكم هذا الجوار ما يشبه " حق الشفعة " في ضم هذه الجمهوريات إلى دائرة نفوذها بحيث تصبح موسكو هي الرابح الأكبر من تطوير صناعة النفط ومد خطوط الأنابيب الجديدة في المنطقة. فخطوط الأنابيب تنطلق من حقول تانجيز (كازاخستان) إلى كومسللسك الروسية (شمال غرب بحر قزوين) ومنها إلى نوفوروسيسك الروسية على البحر الأسود، وكذلك ربط بترول تركمانستان (حقول كراسنووسك) بخط تانجيز، وبذلك يمكن ضخ بترول كازاخستان

وتركمنستان إلى البحر الأسود ثم عبر السفور والدردنيل إلى الخارج. فروسيا تريد أن يمر كل بترول آسيا الوسطي وبحر قزوين إلى الخارج عبر أراضيها، وان يصدر إلى نوفو روسيسك على البحر الأسود حتى تبقي لها مكانتها ومكاسبها.

بحر قزوين

أكبر مسطح مائي مغلق في العالم، ويقع بين أوربا وآسيا مياهه مالحة وإن كانت أقل ملوحة من مياه المحيط.

- ويغطي مساحة ٣٧٢ ألف كم٢، أي يكاد يعادل مساحة النرويج، ويبلغ أقصى امتداد له نحو ١٢٠٠كم، بينما يتراوح عرضه بين ٢٠٩ ـ ٤٨٣ كم.
- ينخفض مستواه عن مستوى سطح البحر بمقدار ٢٨ مترا.
- ينصرف إليه اكبر الأنهار الروسية من الشمال وهو نهر الفولجا.
- تعج مياهه باسماك المياه العذبة والمالحة وخاصة سمك الخفش (المنتج للكفيار) لذلك فإيران وروسيا أكبر منتجان ومصدران للكفيار.
- تحيط به روسيا وأذربيجان وتركمنستان، وكازاخستان، وإيران.
- تأسست منظمة بحر قزوين عام ١٩٩٢ بغرض تنمية التعاون بين الدول المطلة عليه. روسيا، إيران، أذربيجان، كازاخستان، وتركمنستان. أصبحت هذه المنظمة مركز للمفاوضات من أجل مد خطوط الأنابيب المزمع مده، ومن الأهداف البعيدة المدى تطوير البنية التحتية ووسائل النقل الخاصة بالمنطقة لكي يتم إنتاج كميات هائلة من الغاز الطبيعي والبترول لتسويقه عالميا.

بحر أم بحيرة

- رغم إننا ندرسه في الجغرافية الطبيعية على أنه أحد البحار المغلقة فقد تدخلت السياسة لتشكك وتطرح سؤالا هل هو بحر أم بحيرة؟
- يرجع ذلك إلى الثروة النفطية والغاز الطبيعي التي ظهرت حوله وفي باطنه، في أذربيجان كما الحال من قبل، بل امتدت إلى دول آسيا الوسطي الأخرى تركمنستان وكازاخستان فضلا عن إيران.
- رأى روسيا وإيران وتركمنستان إنه بحيرة، وذلك معناه أن تشترك جميع الدولة المطلة عليه بحقوق متساوية في أي ثروة بترولية وغيرها أيا كان موقع اكتشافها.
- أذربيجان وكازاخستان تعتبران أنه بحرا، لذلك يجب أن تكون فيه حدود مياه إقليمية، وعقدت كل منهما اتفاقيات مع شركات نفط دولية للتنقيب والاستثمار داخل هذه الحدود الإقليمية لها، وبالتالي يقع حقل نفط (العوف) الغني جدا في القسم الجنوبي من المياه الإقليمية لأذربيجان، وقريبا من المياه الإقليمية لإيران.
- يقف الغرب والولايات المتحدة الأمريكية في صف أذربيجان وكازاخستان لأن مصلحتهم حرمان روسيا من هذه الثروة، وبالتالي تهيمن الولايات المتحدة الأمريكية على ثروة آسيا الوسطي من النفط والغاز، وينطبق هذا على إيران التي تطلق على الولايات المتحدة الأمريكية الشيطان الأكبر.


دول آسيا الوسطى
عاصمة
مدينة
الإتحاد الروسي
نوفوسايبرسك
أمسك
سمبلاتنسك
أكمولا
كراجندا
أكتوب
استراخان
بايكنور
بلكاش
بحيرة بلكاش
كازاخستان
بحر آرال
ألماآتا
بيشكك
قيرغيزستان
أوزبكستان
طشقند
باكو
تركمنستان
فرغانة
سمرقند
دوشنباي
طجيكستان
الصين
عشق أباد
طهران
مشهد
أفغانستان
باكستان
إيران
كابول
الهند

شكل رقم (٥٠)

الفصل الثاني

دول آسيا الوسطي

كازاخستان

إحدى الجمهوريات آسيا الوسطي المستقلة، وتقع في وسط آسيا ومساحتها ٢,٧١٧,٣٠٠ كم أي أكبر مساحة من مصر بأكثر من ضعفين ونصف، وتشمل الأراضي المحصورة بين نهر الفولجا غرباً وجبال التاي شرقاً، وكذلك الأراضي الواقعة بين سهول سيبيريا شمالاً وصحاري وسط آسيا جنوباً. تحيط بها أوزبكستان وتركمنستان وقرغيزيا، فضلا عن روسيا الاتحادية من الشمال، وتجاورها الصين من الشرق، كما أقام الروس محطة بيكونر في قلب الاستبس لإطلاق سفن الفضاء السوفيتية منها.

الملامح الطبيعية :

تتنوع المظاهر الطبيعية في جمهورية كازاخستان تنوعاً واضحاً، ففي الشمال يمتد إقليم السهوب في شماليها بأراضيه المتموجة والسهلية، وبأمطاره القليلة، واعشابه القصيرة، ويمثل إقليم السهوب المدخل إلى سهول سيبيريا في الشمال، من ثم كان قاعدة صالحة للانتشار منها إلى ما حولها، فتتوالى فيه السهول والروابي والتلال، فهي أقرب إلى التموج منها إلى الإنبساط، ويمثل الإقليم منطقة انتقال بين سهوب الشمال ومرتفعات الجنوب حيث تمتد المرتفعات الجنوبية بسفوحها الجبلية.

ويتكون إقليم جنوبي البلاد وشرقيها من هضبة كازاخ التي هي امتداد واستمرار لهضاب آسيا الوسطي، وتتخلل هذه الهضبة العالية سلاسل جبلية أهمها تيان شان في الجنوب والتاي في الشرق، وبين هاتين السلسلتين توجد مجموعة البحيرات أكبرها بحيرة بلكاش التي تستقبل مجموعة من الأودية الصغيرة من الجبال العالية. وينبع من جبال الطاي نهر إريتيشي ويجري واديه في حوض طولي بين

المرتفعات الجبلية، وهو يمر خلال جريانه نحو الشمال في منطقة منبسطة من الأرض تقع في أقصى الشمال الشرقي من البلاد، ويرفد في النهاية نهر أوب الذي يجري في سيبيريا متجهاً إلى مصبه في المحيط القطبي الشمالي. وينبع نهر سيرادريا من جبال تيان شان في الجنوب ويجري في أرض قرغيزيا من الشرق نحو الغرب، ثم ينحني نحو الشمال فيدخل كازاختسان، ويجري موازياً للحافة الغربية من هضبة كازاخ، مجتازاً أراضي منبسطة صحراوية تنحدر تدريجياً نحو الشمال الغربي، ليصب في بحر أرال. وهناك نهيرات صغيرة أخرى تنحدر من المرتفعات الجبلية في الجنوب نحو الإقليم الأوسط أو نحو بحر آرال، ولكن لا تستطيع مياهها القليلة مواصلة سيرها فتفيض على رمال الصحراء المنبسطة في الأراضي المنخفضة نحو بحر آرال.

أما الإقليم الغربي من قازاخستان فيتكون من سهول وأراضي منخفضة تحيط بشمال وشرق بحر قزوين. حيث تنخفض حوالي ٢٥م عن سطح البحر، وتنشر فيها الكثبان الرملية والمستنقعات. ويجري في هذا الإقليم نهر أورال الذي ينبع من السفوح الجنوبية لجبال أورال ويتجه نحن الجنوب فيصب في بحر قزوين، كما يجري نهر إمبا الذي ينبع من السفوح الجنوبية لجبال أورال أيضاً، ويتجه نحو الغرب فيصب في بحر قزوين. وفي جنوب غربي كازاخستان توجد هضبة أوست يورت المنخفضة التي تفصل ما بين حوضي بحر قزوين وبحر آرال.

ومناخ كزاخستان قاري متطرف، وهو في إقليم السهوب الشمالية والإقليم الوسط جاف، ويشتد الجفاف في الأحواض الداخلية لبحيرة بلكاش وبحر آرال وبحر قزوين. وعلى العموم فإن الجزء الشمالي من البلاد يتلقى أمطاراً سنوية تتراوح بين ١٠ سم و ٢٠ سم، بنما يقل هذا المتوسط عن ١٠ سم في معظم الجهات الأخرى، ما عدا الجهات الجبلية في الجنوب الشرقي حيث تزيد معدلات الأمطار السنوية فيها على ٢٠ سم، وتسود من النباتات الطبيعية الحشائش القصيرة في النطاق الشمالي من البلاد، بينما تسود الحشائش الشوكية باقي أراضي كازاخستان عدا المرتفعات الجلية الجنوبية والشرقية حيث تنمو بعض أشجار الغابات الجبلية.

السكان :

بلغ عدد سكان كازاخستان نحو ١٧ مليون نسمة، ونظرا لاتساع مساحة البلاد فإن كثافة السكان فيها قليلة، إذ تبلغ ٤١ نسمة/كم٢. ويتركز معظم السكان في إقليم السهوب، وعلى طول الأودية النهرية حيث نشأت معظم المدن الرئيسية، وفي الأراضي الجبلية في الجنوب الشرقي. ويعد وادي نهر سيرادريا من مناطق الكثافات السكانية المرتفعة نسبيا حيث تزيد الكثافة في بعض الواحات على ٣٠٠ نسمة/كم٢، على حين أن الكثافة السكانية قليلة جداً في المناطق الصحراوية خاصة بين بحر قزوين وبحر آرال.

ويتكون السكان من عناصر متعددة أهمها الروس الذين يكونون ٣٨% من مجموع السكان، والكازاخ ٤٠%، والأوكرانيون ٧%، والتتار ٢%، إلى جانب فئات أخرى. ومما يسترعي الانتباه أن نسبة الروس هي أعلى نسبة بين السكان، ويعزي ذلك إلى نزعة الترويس التي سادت أنحاء الاتحاد السوفيتي، وقد صاحبت هذه النزعة مشروعات التصنيع والتنمية الزراعية بعد الحرب العالمية الثانية. وكانت السياسة الاستعمارية ترمي إلى القضاء على القوميات وعلى العقائد الإسلامية مع مرور الزمن. من ثم كانت هجرة الروس بالذات، وبأعداد كبيرة إلى جمهوريات كازاخستان ما هي إلا صورة للاستعمار الروسي الذي اخذ يتسلل مع هؤلاء الروس، وبالتالي إقامة استعمار استيطاني للروس في تلك البلاد حتى يحموا سيطرتهم الاقتصادية والثقافية.

ويتكلم الكازاخ لغة تركية، وأغلبهم مسلمون من أهل السنة، كما تتكلم العناصر الأخرى لغاتها الخاصة، وكان المسلمون يكونون معظم سكان البلاد، غير أن تهجيرهم خارج كازاخستان، وتوطين كثير منهم في سيبيريا لتعميرها، وإحلال أعداد كبيرة من الروس والأوكرانيين محلهم جعل نسبة المسلمين مقصورة على ٧٥% من مجموع السكان، وتقوم بين الحين والحين حركات مضادة للوجود الروسي الكثيف هناك.

حضروريف :

وقد تزايدت المدن في كازاخستان عدداً وحجماً بوجه عـام، كمـا تزايـدت التجمعات الصناعية حولها في السنوات الأخيرة في حين كانت نسبة سكان المدن في كازاخستان في الثمانينات حوالي ٤٠% من مجموع السكان وارتفعت إلى ٥٧%.

وتقع ألما أتا (أبو التفاح) عاصمتها على سفوح منطقة جبليـة تغطيـها أشجار الصنوبر، وفي وسط منطقة زراعية تتوفر فيـها الميـاه، وتصلـح تربتـها للزراعة وتكثر بساتين الفواكه حولها ولاسيما أشجار التفـاح،، لملائمـة ظروفـها الطبيعية من مناخ وأرض جبلية لزراعة الفواكه، وهي اليوم مركز صناعي وثقـافي، ونظرا لتطرف هذه المدينة على الهوامش الجنوبية الشرقية فقد نقلت العاصمة إلـى أكمولا في الشمال ومن المدن الهامة الأخرى كراجندا، وهي مركز حوض كراجنـدا للفحم، وقد تطورت بسرعة سكانيا وعمرانياً، ويقدر سكانها بحوالي نصـف مليـون نسمة. وهناك أيضاً مدينة سيميبلاتتنسك على نهر إرتشي، ومدينة تشيمكنت وهـي مركز مقاطعة جنوب كازاخستان.

الأحول الاقتصادية :

اقتصاد كازاخستان متنوع، يجمع بين الزراعة والرعي التعدين والصناعـة. فهي من جهة تعدُ من أكثر جمهوريات الكمنولث إنتاجاً للحبوب وبخاصة القمح الذي يعمل في زراعته وإنتاجه الأوكرانيون والروس المستوطنون. فهي تشـغل المرتبـة الثانية في إنتاجه بعد جمهورية أوكرانيا، كما إنها تنتج نحو ربع إنتـاج الصـوف، وهي تنتج ٧% من مجموع إنتاج اللحوم فيه وتشغل المرتبة الثالثة في إنتاجها، كما تنج ٥% من مجموع إنتاج الحليب، ومن جهة أخـرى تعـد كازاخسـتان المنتـج الرئيسي للرصاص والزنك والنحاس، والفحم والبترول.

الزراعة وتربية الحيوان:

كانت حرفة الرعي هي السائدة بين سكان كازاخستان في الماضي، غـير أن الزراعة تفوقت عليها اليوم، بالرغم من احتفاظ حرفة الرعي بأهميتها وبخاصة بيـن

الكازاخ والقوغيز. وظلت كازاخستان " سلة الخبز " للكمنولث الروسي نظراً لكثرة ما تنتجه من الحبوب بعامة والقمح بخاصة، ويزرع القمح ربيعي في شمالي كازاخستان حيث حل نطاق القمح الربيعي محل الحشائش القصيرة على امتداد الإقليم من الغـوب إلى الشرق، كما يزرع الأرز في الأودية النهرية حيث تتوفر مصادر المياه الكافيـة لزارعته، وتتركز زراعة المحصولات الصناعية كالقطن وبنجر السكر في السـهول والمنخفضات الواقعة في الجنوب الغربي من البلاد حيث تتوفر مصادر الميـاه والحرارة وبخاصة في سيرداريا الأدنى. أما الفواكه فتنتشر زراعتها في المرتفعـات الجبلية الشرقية والجنوبية وعلى المنحدرات، وفي بطـون الأوديـة النهريـة بيـن المرتفعات، وأهمها التفاح والعنب. محصولات أخرى كالتبغ والمطاط وقصب السـكر والبرسيم وبذور الزيت وغيرها.

وقد أقام السوفيت مشروعات كثيرة في التركستان معظمها حول بحـر آرال ذلك البحر الذي يقع على الحدود بين كازاخستان وأوزبكستان، وتحولت كثـير مـن الأراضي الصحراوية إلى أراضي زراعية نتيجة للري المكثف ومنتجه للقطن، ولكـن في المقابل كان هناك تدمير لبيئة بحر آرال، وانتشر " تلوث المبيدات " وتلوث المياه الجوفية، وانتشرت كذلك الأمراض بين السكان.

وتضم كازاخستان ثروة حيوانية ضخمة تعتمد علـى مراعـي الاسـتبس الطبيعية التي لا تزال تشغل قسماً كبيراً من السهول والسفوح الجبلية، بالإضافة إلـى اعتمادها على ما يزرع من نباتات العلف كالذرة والبرسيم والحلبة وغيرهـا. وزادت أعداد الماشية خاصة الأبقار والأغنام. وتمتلك كازاخستان اكثر من خمـس الـثروة الحيوانية في الكمنولث الروسي، ومن ثم تتزايد أهمية المنتجات الحيوانية حتى تلبي حاجات السكان ويصدر الفائض إلى الجمهوريات المجاورة.

تكالب الشركات الأجنبية على التعدين :

كازاخستان منجم معدني ثمين، فهي الأولي في إنتاج الكروم في العالم، كما أنها تنتج ٦٢% من نحاس الاتحاد السوفيتي و١٠% من رصاصه، وتتوفر في البلاد معادن أخرى كالحديد، والفحم، والبترول والغاز الطبيعي، والذهب، والفضة، والنيكل،

والمنجنيز، والتنجستن والبوكسيت وغيرها. ويستخرج الفحم من منطقة كـــاراجنده حيث ينقل جزء منه إلى ماجينتوجرسك عن طريق خـط سـيبيريا. كمـا يسـتخرج النحاس من منطقة بلكاش قرب البحيرة أما البترول فينقل جزء من إنتاج حقوله عبر خط أنابيب إلى معامل التكرير في أورسك في الأورال، وجزء آخر إلى المـدن عـبر الأنابيب، أما بترول التصدير فيتجه بالأنابيب عبر روسيا إلى ميناء نوفورو سيسـك. ومن الحقول البترولية الرئيسية حقل كاراشجناك في أقصى الشمال الغربي. وحقـل تنجيز على الطرف الشرقي لبحر قزوين. وقد تكالبت شركات البترول غير الروسـية على كازاخستان، ومن أهمها شركة شيفرون الأمريكية التي وقعت معـها اتفاقيـة لتطوير حقل تنجيز عام ١٩٩٢ بتكلفة نحو ٢٠ مليار دولار، لتطويـر واسـتخراج ونقل نفطه، وشاركت سلطنة عمان في هذه الاتفاقية، كما وقعت حكومة كازاخسـتان اتفاقية مع شركة البترول الوطنية الصينية لتطوير حقل كراماي ثـاني أكـبر حقـل بترولي في كازاخستان بتكلفة ٤,٤ مليون مليار دولار، يتضمن بنـاء خـط أنـابيب طويل المدى طوله ٣ آلاف كم وبطاقة نصف مليون برميل يوميا، ويمتد هذا الخـط من وسط آسيا إلى الأسواق الصينية شمال غربي البلاد، فضلا عن بناء خط أنـابيب آخر إلى إيران.

وتم التوقيع على اتفاقيتين في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٩٧ مـع مجموعة شركات أمريكية ، روسية، إيطالية لتطوير حقل غاز كارجكناك، الذي يقـدر احتياطية بنحو ٥٠٠ مليار متر٣ وهناك اتفاقيات أخرى لتطوير حقل واعدة شـمال بحر قزوين.

وتشجع كازاخستان الشركات الأجنبية وخاصة الأمريكية للخروج من قبضة الروس الاقتصادية والسياسية. وكانت روسيا قد أرسلت جزء كبير مـن أسـلحتها النووية إلى هناك وإن كان قد تم استكمال إزالة كافة الرؤوس النووية وإعادته إلـى روسيا مرة أخرى عام ١٩٩٥.

الصناعة :

هذا ويتنوع الاقتصاد الصناعي الكازاخي بين الصناعات الثقيلة والصناعات

الخفيفة ولعل صناعة تكرير البترول الذي انتشرت معامله فيها يعتبر من الصناعات الرئيسية لأنه تقوم عليها الصناعات الكيماوية المتعددة، وكذلك صناعات مواد البناء، ومن الصناعات الخفيفة تأتى الصناعات الغذائية في المقدمة. كما أقيمت محطة نووية بالقرب من أتيراو (جوريف).

أوزبكستان

تحيط بها كازاخستان من الشمال والغرب وطاجيكستان من الشرق وتركمانستان من الجنوب، بمساحة تبلغ نحو ٤٤,٤ ألف كم٢ أي تقرب من مساحة العراق أو نصف مساحة مصر، وبسكانها الذين يبلغون نحو ٢٤ مليون نسمة تعتبر أكبر جمهوريات آسيا الوسطي سكانا. وقد ظلت سمرقند عاصمة لها حتى عام ١٩٧٠، حين نقلت إلى طشقند وذلك لمقاومة أهل سمرقند لتغيير الطابع الإسلامي. وتمثل جبال تيان شان والبامير أهم ظاهراتها الطبيعية في جنوبي البلاد، وكذلك تتمثل طبيعتها الصحراوية في سهول كيرقورم الصحراوية، ونظرا لانحدار السطح بوجه عام نحو الشمال نجد سهول طوران الشمالية تمتد فيها حتى تحيط ببحر أرال من الجنوب، وقطعت الأودية النهرية سفوح المرتفعات كالمجاري العليا لنهر سراداريا ووادي فرغانة ووادي طشقند، كما ينحدر نهر زيرافشان الذي ينتهي إلى سهول واحة بخاري بعد أن يمر بسمرقند، وكما يسير خط الحدود بين أوزبكستان وتركمنستان مع المجري الأوسط لنهر أمودرايا الذي يجري جزؤه الأدنى داخل أوزبكستان، ويصب في بحر آرال بدلتا كبيرة نسبيا.

ويسود الاستبس الفقير في شمالي البلاد، على حين يسود الإقليم الصحراوي وسطها وشماليها.

ويتكون سكان أوزبكستان من عناصر الأوزبك بنسبة ٧٥%، يليهم الروس ٧% وينتشر معظمهم في المدن أو النطاق الشمالي الرطب، وبطبيعة الحال هناك عناصر من الجمهوريات المجاورة مثل الكازاخ والطاجيك والتتار، ويتكلمون لغة تركية قريبة من لغة الأتراك العثمانيين وتنتشر إلى جانبها اللغة الروسية، هذا كما يمثل الأرزبك أقليات ذات شأن في الجمهوريات المجاورة ٢٥% في طاجيكستان

١٣% في قيزغيريا، ونحو ١٠% من تركمنستان، لذلك تظهر مقالات في الصحف أحيانا عن " أوزبكستان الكبرى " ويتجمع السكان في البيئة الصحراوية وشبه الصحراوية حيث المجاري المائية وعند حضيض المرتفعات، كما هو الحال في وادي فرغانة في الجنوب الشرقي، وهنا أيضا نجد طشقند العاصمة على أحد روافد نهر سيرداريا. بالقرب من كزاخستان، فضلا عن أهميتها كعاصمة، هي بوابة أوزبكستان نحو الشرق، وظلت لفترة طويلة خلال العصور الوسطي محطة على طريق التجارة مع الصينن ونظرا لأن جميع الأوزبك مسلمون، وأكثر من ٨٨% من السكان مسلمون، أصبحت طشقند مركز المجلس الإسلامي الأعلى للشئون الإسلامية، والذي يشرف على شئون المسلمين في التركستان بعامة، كما تضم طشقند اليوم أكبر تجمع صناعي في آسيا الوسطي إلى جانب إنتاج إقليمها الوفير من القطن والأرز والفاكهة.

أما سمرقند على نهر زرافشان فكانت عاصمة تيمورلنك، لذلك تتجلى فيها العمارة الإسلامية في الوسط، على حين تحولت الأطراف إلى كتل أسمنتية ضخمة تمثل المباني الروسية، فضلا عن مناطق صناعية تنتج السوبر فوسفات والصناعات المعدنية، كذلك يمر نهر زرافشان على بخارى، ويكفيها أنها أنجبت الأمام البخاري من علماء المسلمين، وتشتهر بمساجدها ذات القباب والمآذن العالية، وظلت فترة لها أهميتها الدينية والثقافية وكمركز إسلامي متقدم في تلك الجهات يجتذب الراغبين في الفقه في علوم الدين، وهي بدورها كطشقند وسمرقند كانت محطة لقوافل العصور الوسطي. وقد أخذت بخاري طابعا حديثا بعد ضم السوفيت لأوزبكستان، تمثل في المباني الضخمة، والإنتاج الصناعي القائم على اكتشاف الغاز الطبيعي الذي كان أساس توليد الكهرباء في المحطات الحرارية.

وتعتمد الزراعة أساسا على الري، وأقيمت مشروعات عديدة للسدود والقنوات بحيث تضم أكبر نظام للري في الكمنولث الروسي، وأن كان هذا على حساب البيئة نتيجة لاستنزاف المياه العذبة، وزيادة ملوحة الماء، وتلوثه بمياه الصرف، وبالتالي انتشار الأمراض وكانت هذه المشروعات جميعا من أجل التوسع

في زراعة القطن، حتى أصبحت أورزبكستان تمثل مكانة رئيسية في الإنتاج العالمي له، وقاعدة اقتصادية للبلاد، ونظرا لأهميته فقد نقش شكل النبات على علم البلاد، كما يزرع القمح والأرز من المحاصيل الغذائية، هذا إلى جانب مجموعة من الفاكهة يمثلها العنب، والتين، والخوخ، كما زاد الاهتمام بتربية الماشية والأغنام، وفضلا عن اعتمادها على المراعي الطبيعية، فقد أقيمت لها مزراع خاصة أغنام قره قول التي تشتهر (بفراء الاستراخان) وتربي دود القز على أوراق التوت، وبلغت أوزبكستان في الحرير شأنا رفيعا. وفي صناعتها اعتمدت على مصادر الطاقة الفحمية، الفحم بالقرب من طشقند، والبترول، والغاز الطبيعي، في منطقة بخاري وصحراء كيزل قرم لذلك قامت عدة صناعات كتكرير النحاس، الأسمنت، والأسمدة، والآلات الزراعية، والأدوات الكهربائية، هذا ورغم تطورها الصناعي فمازالت نسبة الحضرية فيها نحو ٣٨%.

بحر آرال يحتضر

- يمتد حوض بحر آرال في جمهوريات كازاخستان وقيرغيزستان، وطاجيكستان وازبكستان ويمده بالمياه نهرا سيرادريا وأمودريا.
- قام المسئولون عن التخطيط فى الاتحاد السوفيتي السابق بتحويل جزء كبير من مياه النهر فى دول أوزبكستان وكازاخستان، وخاصة الأولى وذلك لزراعة القطن حتى زادت المساحة المزروعة منه من ١٠ مليون فدان عام ١٩٦٠ إلى ٢١ مليون فدان عام ١٩٩٠ حتى أصبح الإقليم يحتل المركز الرابع بين اكبر مناطق إنتاج القطن فى العالم.
- وكان معنى هذا انخفاض التصريف المائي لهذين النهرين بحيث بلغت فى الثمانينيات نحو ما كانت عليه عام ١٩٥٠. فارتفعت نسبة الملوحة فى بحر آرال، وبالتالي انتهت الحياة الحيوانية والنباتية، وأصبحت موانى الصيد التي كانت تقع عليه بعيدة عن المياه بعد الانحسار بنحو ١٠٠ كم.
- نتيجة لارتفاع نسبة الأملاح بمعدل ٤ مرات في كل لتر ماء عما تسمح به منظمة الصحة العالمية، ارتفعت نسبة أمراض الكلي والإسهال، والسل الرئوي.
- تبذل المؤسسات الدولية كثيرا من الجهد، ولكن يبدو أن استعادة البحر لحالته الأولي من الأمور المستحيلة، نظرا لأن الاقتراحات التي قدمت مستحيلة التنفيذ، منها تحويل مياه من أنهار سيبيريا، على بعد آلاف كيلو مترات، المشروع الواحد وقد يكلف ٨ مليار دولار، ومنها إعادة النظر في الزراعة فى أوزبكستان، وهذا بدوره يجد معارضة من مزارعي أوزبكستان بصفة عامة، فأوزبكستان من أكبر الدول تصديرا للقطن، ولا توافق بطبيعة الحال على المساس بهذا الوضع.
- الجهد الذي يبذل الآن من جانب المؤسسات الدولية هو تنفيذ بعض المشروعات التي تنقذ حياة الناس، عن طريق توفير مياه الشرب النظيفة وخفض تلوث المياه.

تركمنستان

بمساحة تبلغ نحو ٤٨٨ ألف كم٢ وبسكان يبلغون نحو ٥ مليون نسمة تقع جمهورية تركمنستان بين أوزبكستان، وإيران، وأفغانستان، وهي بذلك أقل جمهوريات آسيا الوسطي سكانا، والظاهرة الطبيعية الرئيسية فيها هي صحراء قره قورم التي تحتل ٨٪ من مساحة الهضبة، كذلك سلاسل جبال كوبت داغ التي تفصل ما بين الهضبة وساحل بحر قزيون متجهة من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي، ممثلة للحدود بين تركمانيا وإيران، ومعظمها في إيران. .

وإذا كانت الصفة الغالبة هي الصحراء بقاريتها وجفافها، فسفوح الجبال ينالها نحو ٢٥ سم، من ثم تخرج من نفوذ الصحراء إلى الاستبس على حين تسود الشوكيات والكثبان الرملية معظم تركمنستان.

وكانت تركمنستان كجارتها ممرا لتجارة الشرق والغرب، لذلك بلغتها جيوش الفاتحين، مرت من هنا قوات ملوك فارس القديمة، والاسكندر إلى أن فتحها العرب، كما وصلتها قوات جنكيزخان، ودمرتها قوات تيمورلنك عام ١٣٩٧، وظلت منطقة نزاع بين شاهات إيران وأمرائها حتى ضمها القياصرة الروس.

وتمثل عناصر التركمان ٧٢٪ ويمثل الروس ٩٪، ومعظمهم في المدن والأوزبك ٩٪، والكازاك، والأكرانيون، والتتار، والأرمن. وقد عاني التركمان كثيرا من سياسة الروس القمعية الخاصة بتوطين البدو، كما عكست الظروف الصحراوية نفسها على توزيع السكان، ذلك أن ١٠٪ من البلاد يعد ضمن غير المعمور، على حين يتجمع السكان مع أشرطة الأودية النهرية والواحات، فضلا عن أشرطة مقطعة على سفوح الجبال، وبمعنى أخر فيتجمع معظم السكان قرب الحدود الإيرانية والأفغانية، أي الأطراف الجنوبية الشرقية والجنوبية (وكانت معروف في العصور الإسلامية ببلاد خراسان وكانت مرو عاصمة لها) كلها واحات مثل خوارزم، وعشق آباد، غير أن هناك تجمعات أخرى في المناطق الصحراوية وهذه ترتبط بوجود الثروة المعدنية فضلا عن حفر قناة تركمانيا التي تربط بين نهر أموداريا وبحر

قزوين. وتقع عشق أباد على الخط الحديدي بين سمرقند وكراسنوفدسك بالقرب من واحة ترويها المجاري المائية المنحدرة من جبال كوبت داغ، من ثم تكثر البساتين بينها وبين حضيض الجبال، تقع في المنطقة الانتقالية بين السهل والجبل، فتجمع بين ميزات الموقع، والموضع وتجمع بين وظائف المدينة المتعددة هناك تشارجو على نهر أموداريا وعند نقطة التقاء الخطوط الحديدية، من ثم كانت ملتقى للتجارة، فضلا عن قيام الصناعة فيها.

وهناك مرو مركز واحة ترويها مياه غاب وتقع على الخط الحديدي الممتد بين عشق أباد وبخاري، وفي منطقة الإنتاج بين الأراضي الزراعية، والصحراء وتشتهر المدينة بسجادها الفاخر، وكراسنوفدسك على الساحل الشرقي لبحر قزوين، وينتهي إليها الخط الحديدي القادم من سمرقند، وهي بدورها وسط الأراضي الزراعية، وكان لمدة قناة قاراقورم في القسم الشرقي للبلاد أثره في قيام زراعة القطن العمود الفقري للزراعة، وإحدى الدعائم الاقتصادية الأساسية للبلاد. ويشغل القطن أكثر من نصف المساحة المخصصة للزراعة فهو على قمة المحصولات الزراعية. وقد نجحت هناك زراعة القطن طويل التيلة، وتقوم عليه صناعة المنسوجات والملابس القطنية من النوع الجيد، وتحتل الخضر المرتبة الثانية بعد القطن من ناحية الإنتاج. وتتركز زراعتها في الواحات ولاسيما واحة عشق أباد، ويُعدّ القمح والأرز والذرة من محاصيل الحبوب الهامة وتستخدم الذرة كعلف للحيوانات إلى جانب البرسيم، أما القمح فإنه يزرع في القطاعات الجافة من مناطق عشق أباد، ومرو، وتشارجو. وتتركز زراعة الفواكه في الجزء الجنوبي الغربي من تركمانيا وأهمها العنب والبلح والتين والبطيخ والشمام والرمان والليمون، وكلها تعتمد على الري. ومازال للثروة الحيوانية أهميتها سواء تربيتها لدى الزراع أو تلك التي يقوم الرعاة بتربيتها، من ثم ظلت شهرتها في إنتاج وتصدير فراء الاستراخان.

الثروة المعدنية والصناعية :

البترول هو الثروة الأساسية لتركمنستان، وهي تنتج الغاز الطبيعي أيضاً. ويستخرج الكبريت والفحم والمغنيسيوم والملح ومعادن أخرى من صحراء قره

قورم. وتدين المدينة الصحراوية نبيت داغ القريبة من قزوين بقيامها لوجود البترول بالقرب منها، وتقوم الصناعات الكيميائية والصناعات الأخرى على الخامات المنتجة محياً. ومن الصناعات التي اتسع نطاقها صناعة المنسوجات القطنية والحريرية والصوفية، والسجاد وصناعة المواد الغذائية. ويعد إنتاج الآلات من احدث فروع الصناعة الثقيلة في تركمنستان، وهمي تنتج الآلات الهندسية (البلدوزرات) والجرارات، وآلات الحصاد، والمعدات، والأجهزة الكهربائية، والزجاج، فضلا عن الصناعات الغذائية.

طاجيكستان

أفقر دول المجموعة في إمكاناتها الاقتصادية بمساحة ١٤٣ ألف كم٢، وبسكان يبلغون نحو ٦ مليون نمسة تقع طاجيكستان شمال أفغانستان وغرب الصين وجنوب قزغيريا. ويمثل المجرى الأعلى لنهر أموداريا الحدود بين طاجيكستان وأفغانستان، وفيها تقع هضبة البامير أوسقف العالم، وتتفرع منها سلاسل جبلية تيان شان، فهندكوش، وقره قورم والهيملايا، وتغطي قممها الثلاجات التي تنحدر منها أودية جليدية.

ومعظم الجمهورية أراضي جبلية، تتخللها أودية عميقة تجري فيها روافد متعددة كتلك التي ترفد نهر أموداريا والذي يمثل حوضه الأعلى معظم طاجيكسكتان التي تفيض بالمياه في الربيع وأوائل الصيف، وبطبيعة الحال يختلف المناخ بحسب الارتفاع فالحرارة منخفضة تصل إلى حد الجليد الدائم فوق ٣٠٠٠ متر، إلى الصقيع الدائم شتاء على الجهات المتوسطة الارتفاع مع حرارة معتدلة صيفا إلى مناخ بارد وجار في المنخفضات، وكذلك يختلف المطر ما بين ٥٠ سم على المرتفعات، ٥٥ سم في المنخفضات.

وكثافة السكان منخفضة بوجه عام، وأن كانت ترتفع نسبيا في الجزء الغربي من البلاد، وكذلك في وادي فرغانه لتوفر مصادر المياه واستواء الأرض

نسبيا. ويمثل الطاجيك ٦٢% من السكان، وأن كانت لهم أقلية كبيرة في أفغانستان وفي الصين المجاورة (التركستان الصيني) ويشترك الطاجيك مع الأوزبك ٢٤% في الغرب والشمال الغربي، وأما الروس (٧%) فهم في حالة إنكماش، هذا إلى جانب الأرمن ويعيشون في المدن.

وتقع دوشنباب العاصمة (ستالين أباد أيام الاتحاد السوفيتي) في أقصى غرب الدولة، وعندما تأسست هذه الجمهورية عام ١٩٢٩ كانت طاجيكستان دولة رعي وحرف يدوية، وأدخل النظام السوفيتي كثير من مشروعات التعدين والصناعة فضلا عن مشاريع الري للزراعة، ومع ذلك فالسكان رعاة وزراع ي المقام الأول. ونظرا لآن البلاد وعرة التضاريس، شبه معزولة عن العاصمة، ترتبط بها بالطرق الجبلية الوعرة (هذا أشبه بجمهوريات القوقاز) فقد تعرضت بعد الاستقلال وزاول قبضة الس فيت إلى كثير من الصراعات الداخلية، ولأن كان ميلها إلى أفغانستان وإيران، ومع ذلك مازالت تعتمد في سد كثير من احتياجاتها على روسيا الاتحادية.

وتنخفض فيها نسبة الحضرية، فالمدن الرئيسية فيها تمثلها العاصمة دوشنباب في الطرف الجنوبي الغربي للدولة وسط مزارع من قصب السكر والجوت والفاكهة هذا فضلا عن زراعة القطن في الأودية، ولا عجب فهي تقع على نهر سورخان داريا، من ثم يتوفر الري، كما تقوم فيها بعض الصناعات الزراعية كالصناعات القطنية، وتجفيف الفواكه، وتعليب اللحوم، ومن مدنها الأخرى كوليباب، ومدينة خوروج على هضبة البامير في حدودها مع أفغانستان وهي عاصمة إقليم جورنو باداخشان المستقل ذاتيا داخل طاجيكستان.

ومازال اقتصادها زراعي رعوى بالدرجة الأولي، زراعة الأرز كمحصول غذائي إلى جانب قصب السكر، والحبوب كالقمح، والذرة والخضر، والقطن والجوت كمحاصيل نسيجية، وهناك أيضا الاهتمام بالثروة الحيوانية من الأبقار والأغنام والطيور.

وقد دخل التصنيع البلاد بعد دخول السوفيت في العشرينيات من القرن

الماضي فكان هناك تعدين الفحم، واستخراج البترول والغاز الطبيعي والرصاص والزنك، ونمت بعض الصناعات كالمنسوجات بأنواعها، والألومنيوم، والجرارات، وبعض الصناعات الهندسية والكهربائية ومع انتهاء السيطرة الروسية، ظهر العداء واضحا ضد الروس الذين كانوا يعملون في الصناعة والتعدين، مما أدى إلى هجرة الكثير منهم، وقد أدي خروجهم السريع غلى حدوث ارتباك في اقتصاد البلاد. كتوقف مصنع الألومنيوم في-تورسوتراد عن العمل، كما ظهرت مشكلات أخرى لم تكن موجودة من قبل فنظراً لأن منابع نهري سيرادريا وأمودريا تقع في أراضيها، أعلنت في تسعينيات القرن الماضي بأحقيتها في كل المياه التي تتدفق فيها، وأن على دول أسافل النهر أن تدفع ثمنا له، كما تدفع هي ثمنا للغاز الذي تنتجه جارتها.

قيرغيزيا (*)

من الدول الفقيرة في آسيا الوسطي، تظهر فيها مشكلة الوحدة الجغرافية، ذلك أن جبال تيان شان تمتطي وسط البلاد، وتمتد حدودها مع سنكيانج الصينية حيث تلتقي جبال تيان شان بهضبة البامير، وتمثل السلاسل الشمالية القسم الغربي من جبال تيان شان والتي تمتد في كازاخستان المجاورة، أما السلاسل الجنوبية فتمتد من الغرب إلى الشرق، وتعرف باسم بجبال آلاي. وترتفع القمم الشاهقة على طول الحدود الجنوبية الشرقية، مع الصين وأعلاها قمة بوبيدي (٧٤٣٩ م).

ونظراً لأن الهضبة قيرغيزيا محاطة بالجبال العالية في معظم جهاتها الأربع فمن الطبيعي أن تكون الأجزاء الداخلية من الهضبة هي المجال لانسياب المجاري المائية ولتكوين الأحواض الداخلية. ومن ذلك بحيرة إيزيك كول المرتفعة التي توجد في الجزء الشمالي الشرقي من الهضبة، ويبلغ ارتفاع سطحها حوالي ١٦٠٩ م فوق

(*) وتعني كلمة قرغيز بالفارسية " الأربعون ابنة "، ذلك أن القرغيز يعتقدون أن ابناً لنوح قد أقام في التركستان بعد الفيضان، وانه أنجب " أربعين إبنه " ومن هذه البنات الأربعين انحدر القرغيز، وشرعوا يمارسون الرعي الذي بقي حتى الآن حرفة قائمة في البلاد إلى جانب كونهم زراعاً ومحاربين.

سطح البحر وهي تكون حوضاً داخلياً تتجمع فيه المجاري المائية. وأراضي الهضبة التي تتخلل الأودية منبسطة تارة ومتموجة أخرى وهي تنحدر تدريجيا بصفة عامة نحو الغرب. وأهم الأودية النهرية التي تخترق الهضبة من الشرق إلى الغرب وادي نهر نارين، وهو جزء من نظام المجري الأعلى لنهر سيرادارياً. ويطلق على هذه الأودية بعد تجميعها في الغرب اسم وادي فرغانة، وهو يمثل حوضاً طبيعياً يمتد بين السلاسل الجبلية. ونظراً لانبساط الأرض في هذا الحوض وتوفر المياه فيه فإنه أصبح معموراً بالقرى، مأهولاً بالسكان، لأنه يشتمل على مساحات واسعة من الأراضي الزراعية.

ويمثل القرغيز نحو ٥٠%، من السكان الذين يبلغون نحو ٥ مليون نسمة في مساحة ١٩٨,٥٠٠ كم٢، ويكون الروس نحو ٢٠%، والأوزبك نحو ١٣%، كما يشغل الأرمن والتتار وأقليات أخرى جيوبا في المرتفعات التي تقسم قرغيزيا. وسكان قيرغيزيا مثل إخوانهم في الدول المجاورة مسلمون سنيون، والمظهر العام للقرغيزي هو حلق الرأس وإطلاق اللحية.

وتقع بيشكك العاصمة على سفوح المرتفعات الشمالية بالقرب من حدود كازاخستان ولذلك فالاتصال بين العاصمة ودولة كازاخستان المجاورة أسهل بكثير من اتصال بيشكك ببقية أنحاء قرغيزستان، فمازالت جبال تيان شان تمثل عقبة كأداء في سبيل ربط أجزاء قرغيزستان بعضها ببعض، وتتكرر الصورة مرة أخرى في مدن القسم الجنوبي الشرقي لقرغيزستان حيث ترتبط بطرق وخط حديدي مع بأوزبكستان ومن أوزبكستان آتت جمهرة من الأيدي العاملة لمزارعها ومصانعها.

ومازالت الزراعة هي الحرفة الأولي بامتياز، وإلى جانب تربية الأبقار والأغنام، فهم يربون حيوان الياك للحصول على لبنه ولحمه، لأن هذا الحيوان يمكنه العيش على السفوح المرتفعة الشديدة البرودة، التي لا تناسب الأنواع الأخرى. هذا وتتجمع القرى الزراعية عند حضيض المرتفعات لسهولة الحصول على الماء، وتنتج القمح والخضروات وبنجر السكر والكروم والبطاطس، فضلاً عن القطن، وجميعها تعتمد على الري، خاصة لأنه بنيت سدود على الأودية النهرية، وأقيمت

شبكات من القنوات، أهمها قناة تشو التي تغذي هي وفروعها مساحات ضخمة، كما حفرت قناة في وادي فرغانة، ثم كان لإدخال الأساليب الحديثة في الزراعة كالتوسع في استخدام الجرارات. أما الصناعات القائمة فمعظمها زراعية كالمنسوجات، تعليب الخضروات والفاكهة، وقد تقوم في المستقبل صناعات على الغاز الطبيعي والبترول.

الفصـــــل الثالث

آسيا الشمالية

سيبيريا

تقع سيبيريا إلى الشرق من جبال أورال بين المحيط القطبي الشمالي، وبين مجموعة السلاسل الجبلية الجرداء التي تكون قلب آسيا، ومن ثم كـــانت المخــارج الرئيسية لها أما في الغرب نحو السهل الأوربي، أو في الشرق نحو المحيط الـــهادي بعد عبور تلك السلاسل الجبلية التي تطوق المحيط الهادي، ويمكن القول أيضا بأنـــها تمتد من بحر قزوين حتى سور الصين العظيم، وتمتد لمسافة ٨٤٠٠ كم، بينما يبلــغ عرضها من الشمال إلى الجنوب نحو ٣٧٠٠ كم، من ثم كانت العقبتان الرئيســـيتان في وجه تنمية هذا الإقليم هو المسافات الشاسعة. فضلا عن صعوبة الوصول إليـــها، وأن كان هذا لا ينفي أن هذه المساحة الضخمة من الأراضي مازالت تنتظر التنميـــة، ورغم الجهود التي تبذل في هذا السبيل منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، فمـــازالت هناك مساحات ضخمة من غابات المعتدلات الباردة ذات الأخشاب اللينة لـــم تمـــس، وكذلك هناك إمكانات تعدينية ضخمة، وأراضي قد تقوم فيها الزراعة، ولكن تنتظـــــر عددا من السكان أكبر مما هو فيها، فهي أشبه ببراري كندا ولكن منذ خمسين عاما، وعادة ما تلحق سيبيريا بالسهول الممتدة في شرقي أوربا ولكن للدقة يمكن تقسيمها فزيوغرافيا إلى عدة أقسام :

سيبيريا الغربية :

ويمثل الجزء الغربي منها حوض أوب، نهر يبلغ طوله نحو ٥٢٠٠ كم، من منابعه في الجنوب حيث تلتقي حدود الصين وروسيا، ومنغوليا. ويصرف حوض نهر أوب سهول سيبيريا الغربية، وتتميز بأنها سهول تمتد في مســـاحات كبـيرة شـــبه مستوية لا يقطعها جبل أو حتى تل، وجزء من هذه السهول يصرفها نهر إرتش أحـد روافده وتقع منابع هذا النهر قرب حدود الصين، ومما يدل على الانحـــدار الضئيـــل للسطح في هذه السهول، أن نهر أوب ينحدر في ألف وخمسمائة كم الأخـــيرة نحـــو

المصب مائة متر فقط.

لهذا تعتبر سيبيريا الغربية واحدا من أكبر سهول العالم كله استواء، ويزيد ارتفاع هذا السهل قليلا على ١٥٠ مترا، بالاتجاه نحو الشرق، هذا مع اختفاء التلال والمرتفعات وبانحدار في اتجاه عام نحو الشمال ومن ثم صح وصف أحد الجغرافيين لهذا السهل بقوله " مساحات يبدو اللاند سكيب فيها (الهيئة) رتيبا كرحلة في محيط، ونقط الرؤيه، الوحيدة هي أبراج الكنائس أو وصوامع الغلال.، لذلك أيضا يختفي تعدد الأحواض، كله حوض واحد هو حوض نهر أوب وروافده المتشعبة وعلى رأسها الإرتش، والإقليم ذو الأهمية في هذا الجزء من سيبيريا. هو القسم الجنوبي، ذلك أن القسم الشمالي تكاد تغطيه الثلوج الدائمة، على حين أن القسم الأوسط تغطيه المستنقعات في الربيع والصيف، بينما يكاد يكون القسم الجنوبي هو الوحيد المأهول بالسكان فمدن مثل أومسك، ونوفوسبيرسك التي تقع على الهوامش الجنوبية لسيبيريا الغربية.

الهضبة السيبيرية :

إلى الشرق من سهول سيبيريا الغربية، على وجه التقريب الأراضي التي تقع بين نهر ينسي ولينا، تقع الهضبة السيبيرية الوسطي، وهي هضبة شديدة التقطع، عرضه لانخفاض الحرارة الشديد شتاء، وصيفها قصير، رغم وجود بعض مكامن المعادن فيها مثل النحاس والنيكل والنحاس والبلاتينوم حول نورليسك Norilsk في الشمال الغربي مع ذلك فمازالت أراضي الهضبة غير معمورة.

السلاسل والهضاب الشرقية المطلة على المحيط الهادي :

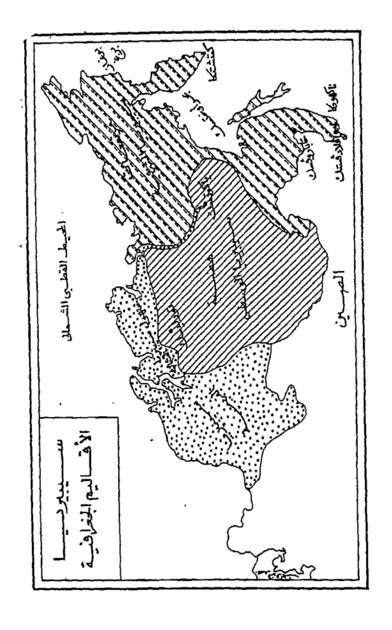
ويمثل القسم الثالث في ذلك الجزء الجبلي الممتد من جبال فرخويئيسك التي تسمو فوق ٣٠٠٠ متر، وكذلك تالهيئة الطبيعية في الإقليم تتمثل في جبال وهضاب مقطعة واودية وحافات جبلية فضلا عن البراكين النشطة، على سبيل المثال تقع بحيرة بيكال في منخفض عرضه يزيد على ١٥٠٠ متر، ي حين ترتفع بعض القمم البركانية في شبه جزيرة كمتشتكا إلى ما يزيد على ٥٠٠٠ متر.

والقسم الشمالي من هذا الإقليم، يعد أسوأ البيئات في روسيا الاتحادية بعامة صلاحية للاستقرار البشري، جليد مستمر، واختفاء الإمكانات الزراعية، وإذا ما اقتربنا من المحيط الهادي يبدأ المناخ يعدل من قاريته، وهنا نجد واديا نهرا أمور واوسوري Ussuri وتربتهما الفيضية التي تسمح بقيام نشاط زراعي، خاصة وأن موسم الزراعة من الطول ليناسب بعض المحاصيل، كما تلعب الغابات دورها في قيام حرفة قطع الأخشاب، والحصول على الفراء، وأن كان تعدين الذهب والماس يستلزم مشقة. وهناك إقليمان لهما أهمية استراتيجية في هذا الإقليم هما جزيرة سخالين الروسية، وجزر كوريل التي يبلغ عددها ٥٦ جزيرة، والتي استولي عليها الروس من اليابان عقب الحرب العالمية الثانية وضموها نهائيا إليهم عام ١٩٤٧، ويطالب اليابانيون بالأربع الجزر الجنوبية منها، ولكن المشكلة مازالت دون حل إلى الآن. هذا وتضم جزر كوريل، وشبه جزيرة كمتشتكا نحو ٧٠ بركانا نشطا. وإلى الجنوب من الأقاليم الثلاثة السابقة تمتد سلاسل مرتفعات وهضاب على الحدود مع منغوليا والصين، من بحيرة بلكاش تقريبا إلى بحيرة بيكال وبذلك تكون قد دخلنا آسيا الوسطى حيث تمتد مرتفعات وسط آسيا.

المناخ :

مناخ سيبيريا كله قاري، فشتاء طويل شديد البرودة، ولكن مع جفاف. وسماء مكشوفة خالية من السحب، وهنا يظهر قطب البرودة في العالم Cold pole في سيبيريا الشرقية، وبالبعد عن قطب البرودة هذا ترتفع الحرارة في جميع الاتجاهات، ويتكون ضغط مرتفع نتيجة البرودة الشديدة، وتهب الرياح في جميع الاتجاهات، وهي المسئولة عن سقوط الثلوج في هذا الفصل.

وينتشر الجليد مغطيا سطح الأرض عاما بعد عام. وحين يذوب صيفا تذوب الطبقات السطحية، وتظل التربة السفلي متجمدة مما يؤدي إلى انتشار المستنقعات، ويختلف سمك طبقة الأرض المتجمدة بين متر ومترين عند بحيرة بيكال إلى ٦٠ متر في أقصى الشمال، وقد وجد حيوان الماموث في تكوينات هذه المناطق المتجمدة.



شكل رقم (٥١)

وهذا الجليد له تأثيره السئ، يخرب الطرق والمباني، ويسبب الانزلاقات الطينية وقد غطي الجليد في العصور الجليدية نحو ثلثي سيبيريا، ووصل جنوبا حتى درجتي عرض ٥٦، ٥٧°، وترك آثاره من ركامات جليدية ومستنقعات. ويتغير الحال صيفا، فيزداد الدفء في سيبيريا بصفة عامة، وتبدأ ظهور رياح غربية مع

أمطار خفيفة، إذا يتراوح المطر في جميع أنحاء سيبيريا بين ٢٥ سم ، ٥٠ سم، ولكن هطول هذا القدر من المطر مع بواكير الصيف يكون خيرا وبركة لمناسبتة للزراعة كما هوة الحال في براري كندا، ومن الظاهرات الرئيسية في هذا الفصل ذوبان مجاري الأنهار في أعاليها، على حين تكون مصباتها مازالت متجمدة، منتشو المستنقعات في مساحات واسعة.

وإذا كان مصدر الرطوبة هو المحيط الأطلنطي التي تتوغل غربياته في فصل الصيف، فإن شرق سيبيريا يتأثر بالمحيط الهادي بدرجة أكبر، ويمكن اعتبار النطاق الأوسط من سيبيريا، هو الفاصل بين نفوذ المحيطين بحيث يمكن القول في النهاية بأن هذا المناخ الذي تتصف به سيبيريا يزداد تطرفا حتى يصل إلى أقصاه في سيبيريا الشرقية.

أقاليم مناخية ونباتية :

<u>التندرا :</u> شمال الدائرة القطبية بوجه عام، وتصل إلى رأس مصب نهر الأوب، شديد القسوة خاصة في الشتاء، قليل التساقط، معظمه يسقط على هيئة ثلوج (٢٥ سم) تطمر هذه الثلوج الحشائش الهزيلة، فإذا ما ذابت ثلوج الجليد وذات الأنهار ظهرت الحيوانات ذات الفراء، وتصبح الأنهار غنية بالأسماك، ويأتي الإقليم أيضا الطيور من الجنوب، من ثم فالسكان هنا أهل صيد (بر وبحر).

<u>التايبجا :</u> اكثر النطاقات اتساعا وإن كانت أكثر اتساعا في سيبيريا الشرقية عنها في الغربية، ينتمي للمناخ دون القطبي والبارد والشتاء أيضا شديد القسوة ومطره القليل، فيبلغ ١٠ سم في فرخويانسك وتتحول الغابات المخروطية أو التاييجا إلى غابات فتغطي أراضيها المستنقعات، وأشجارها أبرية وخشبها لين، لذلك يستخدم في أغراض متعددة كالشربين والصنوبر، وتكثر فيها أيضا الحيوانات ذات الفراء كالسنجاب والأرانب البرية، وعلى حافتها الجنوبية يربي الأهالي بعض الأغنام.

الغابات النفضية المختلطة، وهو أكثر وضوحا في سيبيريا الغربية، قارس، رطوبتة قليلة، وأن كان مطره أغزر عن الأقاليم السابقة إذ يبلغ نحو ٧٠ سم،

وتختلط في كثير من الأحيان الغابات الصنوبرية مع النفضيـة، علـى حين تحتـل مستنقعات اللبد النباتي ثلث مساحة سيبيريا الغربية، وأشجارها بوجـه عـام أكثر صلابة من أخشاب التاييجا كالبلوط والزان والقسطل التي تستغل في صناعة الأثـاث الجيد.

نطاق الاستبس، تتحول الغابة النفضية إلى جزر في محيط الاستبس، ذلـك أن الأمطار صيفية حوالي ٤٠ سم، وهذه الكمية من المطر التـي تسـقط صيفـا لا تساعد إلا الأعشاب على النمو.

السـكان

وتشغل سيبيريا مجموعات من السـكان الذيـن يمكـن تقسـيمهم إلـى مجموعتين : السكان الأصليون من المغول والترك مثل شعب الساموييد فـي أقصـى الشمال القطبي منتشرون بين البحر الأبيض الروسي حتى مصب الينسي، وبعضـهم يمتد جنوبا في تومسك واركوتسك، ويليهم عناصر فنو أوجريـان وبالاتجـاه نحـو الشرق يظهر التنجوس (من المغوليين الأوائل) بشعرهم المسترسل والجلد الأصفر وبقية الصفات المغولية، بينما تظهر العناصر السلافية في جنوبي سيبيريا.

أما المهاجرون فقد وصلوا إلى جنوبيها منذ نحو خمسة قرون ولـم يكـن وصولهم أول الأمر بأعداد كبيرة، ولكنهم بدأوا يتوافدون فعلا بعد الانتهاء مـن مـد خط حديدي سيبيريا عام ١٩٠٢. ولا ننسي أيضا أنها كانت منفي للخـارجين علـى نظام الحكم، والمجرمين بصفة عامة، ومع ذلك فقد كان لكثير منـهم الفضـل فـي استغلال البيئة استغلالا جيدا، وفتح سيبيريا التي ظلت مغلقة قرونا، ويمكن القول أن التركز السكاني بوجه عام هو في نطاق الاستبس والأراضي المعتدلة إلـى الشـمال منه لصلاحيتها للاستغلال الزراعي وقربها من الخط الحديدي أي في الجنوب، من ثم كانت المدن الرئيسية تقع على الخط الرئيسي مثل أمسك Omsk نوفوسيبرسـك،، شيتا، فلاديفستك، وأن كانت تمسك ليست على الخط الرئيسي، ولكنـها علـى خـط

فرعي يتصل به.

ويتبع الخط الحديد نطاق الاستبس وهوامش الغابة النفضية حيث التجمع البشري، ثم يمتد من هذا التجمع نطاقات تتجه شمالا مع وديان الأنهار، وعادة ما نجد التجمع البشري في نطاقي التندرا والغابات المخروطية يتفق وأودية الأنهار والبحيرات (الأسماك)، أما حيث توجد المستنقعات فالتجمعات البشرية تميل إلى اللجوء للمرتفعات أو التلال.

وكانت ثمرة تعمير سيبيريا هي المدن الصغيرة، عند التقاء الروافد بالأنهار، ثم ظهرت حولها بعد ذلك القرى الريفية، التي أخذت فيما بعد طابع المدن الزراعية، ثم ظهرت طفرة مدنية على الخط الحديدي أو بالقرب منه، وحيث بدأ الاتحاد السوفيتي (سابقا) استثمار التعدين وإقامة الصناعات.

رحلة عبر سيبيريا

قطار الشرق بكين ـــ موسكو

تستغرق الرحلة من بيجينج (بكين) إلى موسكو أكثر من خمسة أيام عبر منغوليا. وهي رحلة لا تصلح لقليلي الصبر. في وقت ما، كانت مغادرة القطار للمحطة، وهو يجر عرباته المهجورة مناسبة مهيبة تتم في حضور صف من الحرس يلوحون على أنغام الشرق. أما الآن فهي عملية صاخبة بعدد لا يحصي من السلع التي تسد ممرات القطار المزدحمة.

وبينما يتحرك القطار من المحطة يبدو وكأنه يترنح، كما لو كان يتحرك للمرة الأخيرة. ويلقي بعض المسافرين نظرة متمهلة على أحياء عاصمة الصين النائية، بينما يبدأ أخرون في تكييف وضعهم في الحجيرة الصغيرة التي ستكون بيتهم في الخمسة أيام التالية. خلال الساعات الأولى للرحلة يسير القطار مقعقعا عبر التلال الشمالية في ريف الصين، حيث كان سور الصين العظيم، الذي كان يعين حدود العالم المتمدين في الماضي.

ويشق القطار طريقه عبر منظر طبيعي من الرواسب الطفلية التي تتخللها أحيانا أشجار الصفصاف العجفاء، ثم يتقدم القطار ببطء محدثا أصواتا انفجارية خافته إلى الهضبة المغولية. وتبعا لأي فصل من السنة، يكون المنظر الطبيعي الذي يمر به القطار، إما منهكا بسبب أمطار الصيف، أو متجمدا كالصخر في فصل الشتاء الميت.

ويثير ضجيج القطار المنتظم، والمنظر الطبيعي لهذه الأرض الأسطورية الساحرة، التي تبدو كحافة الشاطئ المتراجعة، حالة من التأمل تستمر حتى يغلب المسافرين النعاس، لا بسبب الملل أو التعب. ولكن بسبب أحلام اليقظة، والقراءة والحديث، والهمس بالأسرار واللحظات المختزنة التي تحررت من الزمن، والتي يبدو أنها كانت قد اختفت في طي النسيان، أو أنها أصبحت على الأقل أهمية. وبالتوغل في شمال بلاد المغول، تمتد سهول الاستبس الرتيبة حتى الأفق، ويبدو فارس يرعى قطيعا من الجمال ذو السنامين وخيمته الجلدية كعلامة على الحياة الإنسانية في الفضاء اللا نهائي، الذي يغطيه بالكاد بعض العشب في منتصف الصيف، والذي يكون مثل سطح القمر من شهر نوفمبر حتى الربيع.

وعندما يحل المساء، تزحف الظلمة، داخل القطار وفي قلب الصحراء تمتلئ المقصورات بدفء غريب، ويحافظ الديكور الذي انقضى عصره في الدرجة الأولى، والذي يتميز بالقطيفة المستهلكة، وأغطية مصابيح المائدة الموضوعة بجانب النوافذ، والمزينة بالشرائط الوردية، والمرايا المشطوفة الحافة، إنه عالم مغلق تحمله قعقعة الصلب على الصلب، وتتكدس الأسرة المثبتة في عربة النوم في ثلاث طبقات بعضها فوق بعض ويسقط ضوء ضعيف على الأجساد المستلقية في كسل في الظلام فيجعلها تبدو مرقطة. وتملأ أمتعة المسافرين المكدسة، والمغلقة بإحكام باقي المكان.

وتمر بنا أولان باتور، وشواطئ بحيرة بيكال، وايركوتسك، وتومسك، ونوفوسبيرسك، وسفيردلوفسك والأورال وتمضي الأيام مع تكات سلسلة الأسماء التي تدور مثل عجلات القطار. التغيير بطئ والمسافرون قد استقروا في عاداتهم. إنهم يعودون من المكان الذي يوجد فيه إناء إعداد الشاي في آخر الممر في خطوات مترنحة، أويتكئون على حافة النوافذ. ومنهكين من رحلة تبدو بلا نهاية، ويلعبون الورق والشطرنج.

وتتغير عربة الطعام في كل بلد، ونوعية الطعام ليست متماثلة، فهي تقدم جولة غير متقنة من الطعام، تبدأ بالصين، ثم منغوليا، وأخيرا روسيا، وسواء كان الطعام من الكانتين أو من المطبخ، فهو جزء من الرحلة، ويجذب تدفقا منتظما من المسافرين، ويضيف لمسته الخاصة من الغرابة، إن رائحة الثوم القوية، وبخار لحم الخروف المسلوق، والنكهة المرة " للسوليانكا " (شوربة الكرنب)، تعادل تأثير تأرجح وصرير عجلات القطار. وتكون عربة الطعام هي أكثر الأماكن حيوية في وقت افتتاحه عندما تضم مجموعة متنوعة من العملاء، فعدد قليل من الغربيين، الذين لديهم فضول حول أدق التفاصيل، يفتحون حوارا مع السكان الأصليين بلغة مشتركة، بينما يفحص الصينيون جيرانهم بحذر، وعلى بعد قليل ينكب الروس على شوربة الكرنب، وقد أربكهم حشد الجانب.

لقد كان عدد قليل فقط من الدبلوماسيين من شرق آسيا، هم المعتادون على ركوب قطار سيبيريا للعودة إلى روسيا. ولكن في السنوات القليلة الأخيرة أصبح هناك الكثير من المسافرين، لأسباب كثيرة مختلفة يستخدمون القطار الأسبوعي، الذي يذهب من بيجنيج إلى موسكو، والذي يسير عبر منغوليا ومنشوريا وأكثر الأسباب هي التجارة، وهي نتاج نقص بعض السلع على الجانب الآخر من الحدود، ودهاء التجار. وتكالب الناس الذين أعادوا اكتشاف المقايضة الآن بعد سنوات من الانقطاع عن نشاط السوق. وهناك أيضا " المتخصصون " الذين تجذبهم القطارات الدولية السريعة بحثا عن فرص مريبة، أو حتى جريمة، ومازالت هناك نساء مغامرات باحثات عن السعادة يبدو عليهن الضياع، وأنهن مستعدات للهجرة، والذين يمتنعون عن ذكر أسمائهن، ويحلمن بأوربا مبهجة، يجبن في العربات.

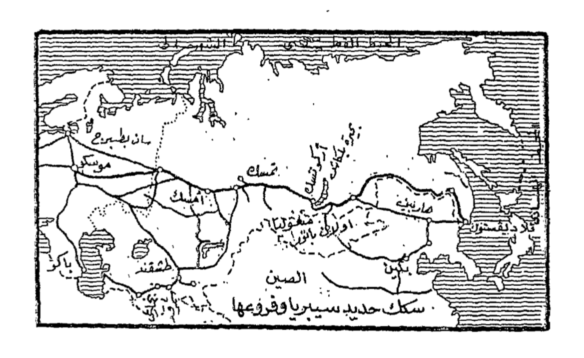
وكلما تقدم القطار نحو سيبيريا، كلما أصبحت الممرات أكثر حيوية. ويقوم موظفو القطار والركاب وجميعهم صينيون، بفك الحمولات التي تحتوي على أكياس من الأرز، والربطات التي تحتوي على ملابس وأدوات من البلاستيك. إن وقفات القطار قليلة ومتباعدة، ولكن عندما يقف يتحول الرصيف فجأة إلى سوق عملاقة. وتُقدم صفوف من النساء الروسيات أكثر الأشياء غير المتوقعة، مثل التوت من الغابات المجاورة، والبطاطس الساخنة، والمصابيح ذات الشكل المبهرج الرخيص، والأحذية غير المريحة، ويسير الرجال والنساء عبر القضبان ويشقون طريقهم بين العربات وهم يحملون أجولة مكتظة بأشياء لا يعلم أحد كنهها، ويخطف أحد المراهقين سروالا يعرضه أحد الصينيين للبيع من إحدى نوافذ القطار، ويهرب، وفجأة تنطلق صفارة القطار فتضع حدا للبيع والشراء، ويهرع الركاب إلى أماكنهم في القطار وهم يفكرون بسرعة في الوقفة التالية.

ويتكرر نفس المشهد حتى يصل قطار سيبيريا إلى ضواحي موسكو مباشرة. وهو ينطلق خلال القرى التي تتخللها أبراج الكنائس البيضاء أو الذهبية التي تشبه شجرة البتول، الذي يغطي الريف الروسي في الخريف.

الشرق الأقصى نموذج للتنمية في سيبيريا ومشكلاتها :

في أقصى الشرق تطل روسيا الاتحادية على المحيط الهادي بساحل يبلغ طوله ٨٠٠٠ كم، ولابد لميناء فلاديفستوك الذي يبدأ بها الخط الحدودي الآسيوي أن تظل مفتوحة طول العام بفضل كاسحات الجليد، نظرا لقسوة الشتاء وطول مداه

(لاحظ تيار كمتشتكا البارد) ومع ذلك يحاول الروس تنمية هذا القسم الشرقي قـدر الإمكان، خاصة وأنه قريب من الصين، فالحدود بينهما هنا هي نهر أمـور ورافـده أوسوري، ورغبة في النهوض بالإقليم وتعميره كانت الحكومة السوفيتية تعطي منحا وامتيازات لهؤلاء الذين يقبلون النزوح إلى هذا الإقليم، وذلك لأنه غـير جـذاب لا لمناخه فحسب، بل لأراضيه المتضرسة الوعرة، من فإسكانه مبعثر يكاد يقتصر على رحلات صيد الأسماك، مرأو قطع الأخشاب، لذلك فالأغذية البحرية هي أساس الحياة، وتجوب الأساطيل الروسية مياه هذا الساحل من فلاديفستك شمالا إلى بحر أوختسـك وراء أسماك السالمون والرنجة، والماكريل وغيرها، تنظيف وتعليـب، ثـم تشـحن بالسكك الحديدية، نحو الغرب أي إلى روسيا.



شكل رقم (٥٢)

أما ثروة المعدنية فمازالت كما هو الحال في سيبيريا بعامة يكتنفها الغموض، وأن كان قد ظهر منها تكوينات فحمية في أحد أودية نهر أمور، وخامات حديد في كومسوملسك Komsomolsik، والتي أصبحت مركزا رئيسيا من مراكز إنتاج الصلب.

ويرتبط النمو الحضري والصناعي في الإقليم بنظام نهر أمور وارفده أوسوري، من فلاديفستك في الجنوب حيث بناء السفن، وأسطول الصيد ومصانع تعليب الأسماك ومعدات حربية وبحرية إلى كومسوملسك في الشمال، وعند التقاء النهرين تظهر مدينة كاباروفسك Kabarovsk، حيث صناعات حديديةى وصلبيةوصناعات كيماوية اعتمادا على بترول سخالين، وصناعة الأثاث باستغلال الأخشاب المحلية.

هذا كما ظهرت أهمية ميناء آخر بعد أن امتدت نهاية الخط الحديدي لمسافة ٩٠ كم من فلادفستك إلى ميناء ناكهودا المواجهة لليابان. والواقع أن التنمية في هذا الإقليم تواجهها صعوبات غير تطرف الموقع وتضرس الأرض، وقسوة المناخ، فهناك ضعف قبضة الدولة على الإقليم لتطرفه، من ثم تنتشر فيه جرائم العنف والسرقة بالإكراه، فضلا عن عدم الاعتماد كثيرا على السكك الحديدية في نقل السلع التي قد تنهب.

موارد سيبيريا :

رغم ما قيل ويقال عن سيبيريا فهي ارض الموارد، فمنذ عهد المكتشفين الأوائل ومغامرات القوزاق، كان اكتشاف الذهب والماس، ثم اكتشفت فيما بعد خامات الحديد والبوكسيت، وظهرت منذ عهد قريب أنها تضم مكامن ضخمة من البترول والغاز الطبيعي سوف تضيف إلى موارد الإقليم من الطاقة، كما أقيمت بعض المشروعات الهيدرولوجية على أنهار أوب، وينسي، ولينا للحصول على الكهرباء المائية التي تستخدم في استغلال الخامات المعدنية، وكذلك قطع أشجار الغابات الصنوبرية، وهناك اتجاه لتحويل جزء من مياه الأنهار السيبيرية المتجه شمالا إلى الجنوب لتوع زراعي على الري.

غابات :

ولا نذكر سيبيريا إلا ونذكر ثروتها الغابية بمساحة تبلغ نحو تيريليون فدان، وتقف عقبات كبيرة أمام استغلالها بدرجة كبيرة، مثل صعوبة النقل، فيما عدا غابات حوض نهر آمور في الشرق وسفوح المرتفعات المطلة على المحيط الهادي، مشكلة ذوبان الأنهار في منابعها قبل مصباتها، وقام الروس بمجهودات كبيرة لاستغلال هذا الإقليم باستخدام كاسحات الجليد، وإذا كانت حيوانات المناطق الباردة كالثعالب والدبب القطبية، كانت بوفرة في الماضي، فقد بدأت في الانقراض نتيجة الصيد المفرط.

رعي وزراعة :

في أقصى شمال سيبيريا حيث تتجمد التربة لفترة طويلة من العام وحيث تنتشر حشائش التندرا وأطرافها الجنوبية غابات التايجا، يقوم السكان برعي الرنه والصيد البري والسمكي.

والإنتاج الزراعي في الجنوب شبيه في محصولاته إلى حد كبير نظيره في براري كندا الشمالية تمثل الحبوب ٩٠% من المساحة المزروعة، القمح الربيعي والقمح الشتوي والشعير والبطاطس والسوفان والسليم، والكتان. والواقع أن التربة الإقليم الجنوبي من سيبيريا هي امتداد لتربة القطن السوداء في شرقي أوربا، يحتل القمح أخصبها، ثم يحل الشعير والشليم الشوفان الأراضي الأقل خصوبة، ونظرا لاتساع المساحات فيمكن أن يطلق عليها مخزن حبوب المستقبل، وان كانت تكاليف النقل قد تقف عقبة في هذا السبيل.

هذا وسوف يزداد التوسع الاستيطاني الاقتصادي شمالا من شريط الجنوب السيبيري خاصة مع استكمال خط حديد بيكال / أمور في الثمانينات، وهذا الخط يقع إلى الشمال من خط حديد سيبيريا وموازي له، ويمتد لمسافة ٣٥٤٠ كم شرقا من تايشات بالقرب من كراسنويارسك ومباشرة إلى كومسوملسك.

الصناعة :

ظهرت عدة مراكز صناعية على الشريط الجنوبي لسيبيريات، وأن كانت المسافات بينها متباعدة بواسطة أراضي شبه خالية، فهناك إقليم كوزباس حول كوزنتس الذي يقع على بعد ٢٠٠٠ كم من جبال الأورال. والتي تستمد فحمهما من كوزباس لاستمرار صناعة الحديد والصلب في الأورال، كذلك تقوم فيها منتجات الصلب والألومنيوم، كما تقوم فيها أكبر مصانع للألومنيوم على المستوي العالمي في كراسنويارسك وسيانسك التي تمد صناعة الطائرات والصواريخ بهذه الخامة، وأن كان إنتاجها قد انخفض منذ التسعينيات بنحو ٧٠%. وهناك مركز صناعي بالقرب من بحيرة بيكال يضم ايركوتسك، معتمدا على الطاقة الكهربائية المولدة من أعالي نهر ينسي ولينا، وفي المناطق المعتدلة نجد التعدين وقطع الأخشاب.

وأخيرا فيما يختص بسيبيريا المفترى عليها يمكن أن نقول أنها

- تكون ثلاثة أرباع الاتحاد الروسي.
- تمد الاتحاد الروسي بكثير من المنتجات التي هو في اشد الحاجة إليها، تنتج نحو ٧٣% من البترول الروسي، ٩٠% من الغاز الطبيعي، وكل الماس، ٣٠% من أخشابه والكهرباء المولدة فيه، فضلا عن مصائد الأسماك، إمكانات التنمية الزراعية في جنوبيها كثيرة، مازالت واعدة في كثير من المعادن التي لم تكتشف ونختتم عنها بالقول :

" إن الموارد الطبيعية غير موزعة توزيعا متساويا على سطح الأرض، بعض جهاتها تتوفر فيه تربة جيدة، وبعضها تتوفر فيه ثروة معدنية، وبعض ثالث قد يكون محروما من هذا أو ذاك، ولكننا لسنا مع الحتميين الذين يقولون أن البيئة هي التي تحدد النجاح أو الفشل، ولكنها في الحقيقة تكافئ الإنسان الذي يتعامل معها بفهم وحكمة، وتعاقب الذي لا يفهمها أو يسئ إليها، فهل سيبيريا اليوم هي سيبيريا منذ نصف قرن، أو ما ستكون عليه بعد نصف قرن آخر ؟ "

